تاريخ جربة
و علمائها الإباضيّة



تأليف:

الشيخ سالم بن يعقوب

2045

2009 م - 1430 هـ

2045 X

تاريخ جربة
و علمائها الإباضيّة



إهداء إلى
الشيخ الحاج سعيد محمد
د. ناصر بن يعقوب

تأليف:

الشيخ سالم بن يعقوب

2009 م - 1430 هـ

بسم الله الرحمٰن الرّحيم
وصلّى الله على سيّدنا محمّد خاتم المرسلين

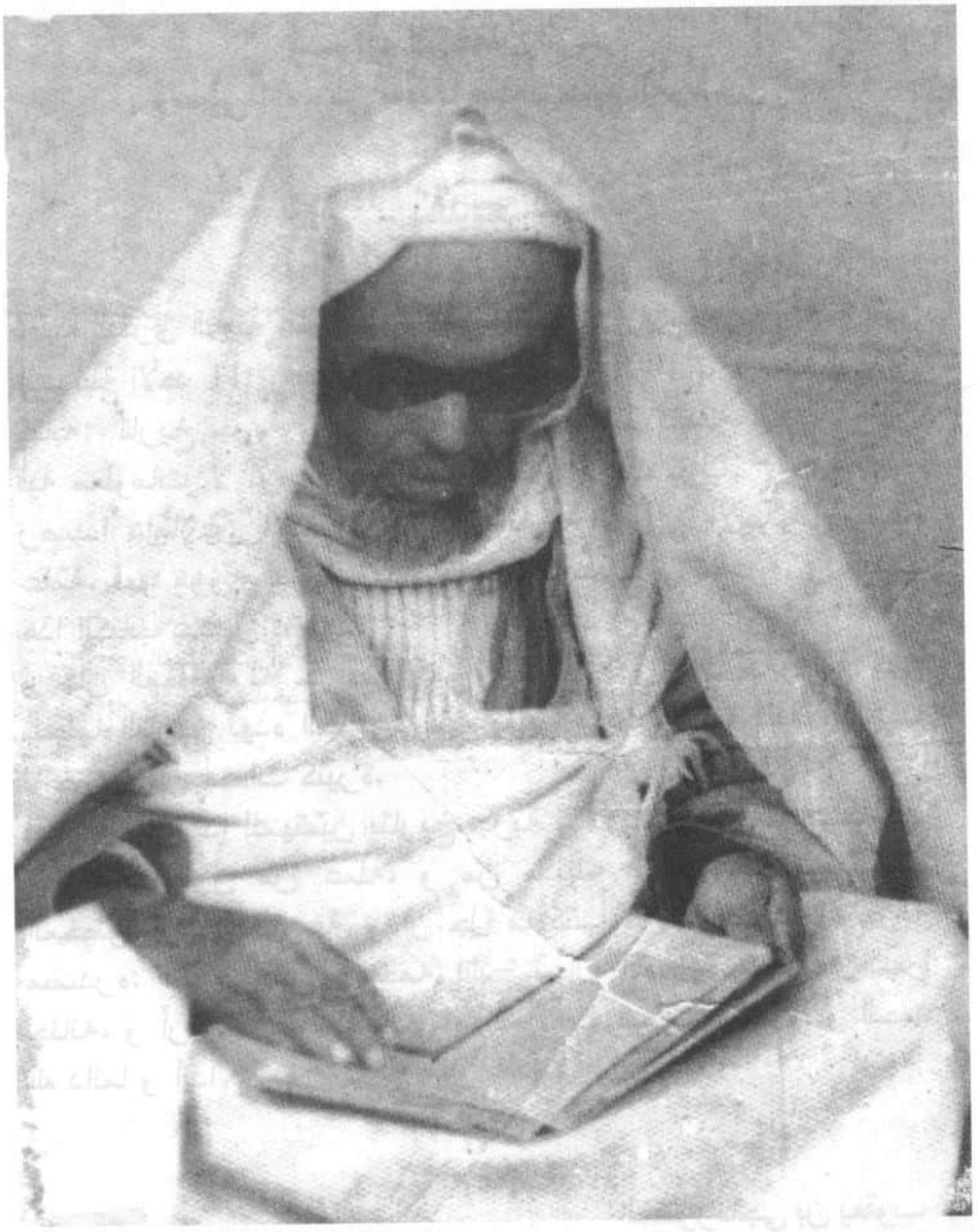
- تقديم -

تخليدا للذّكرى الثامنة عشرة لوفاة جدّي: الشّيخ سالم بن يعقوب-رحمه الله- (تـ ليلة الأحد 11 رجب 1411هـ/27 جانفي 1991م)، أردت إصدار كتابه: "تاريخ جربة و علمائها الإباضية" لتعمّ فائدته خاصّة و أنّ فيه معلومات لا توجد في الكتب الأخرى. فقد ترك -رحمه الله- رصيدا هامّا عن الإباضية و عن التّاريخ العربي الإسلامي بصفة عامّة. فهو مؤرّخ جربة زيادة على كونه فقيها و شاعرا. و ختمت هذا الكتاب ببعض قصائده.

و كان المغفور له حريصا على جمع و تدوين كلّ الوقائع التي سجّلها التاريخ بهذه الجزيرة التي يعتبر ماكتب عنها قليلا أمام ما تزخر به من أحداث كثيرة.

فقد كان مقصدا للمهتمّين بتاريخ جربة و الإباضيّة بصفة عامّة. إذ استفاد الباحثون من عمله، و من مكتبته العامرة بنفائس الكتب المخطوطة و المطبوعة. و إن جلّ ما كتب عن تاريخ علماء جربة مصدره: الشيخ سالم -رحمه الله- نسأل الله أنّ يسكنه فراديس جنانه، و أن يجازيه خير الجزاء إنّه سميع مجيب الدّعاء، و الحمد لله دائما و أبدا.

الدّكتورناجي بن يعقوب
جربة في 27 جانفي 2009



الشيخ سالم بن يعقوب بزيّ العزّابة

التّعريف بالمؤلّف

هو العلامة الشيخ سالم بن الحاج امحمّد بن داود بن يعقوب مفتي، ومؤرّخ جربة، وإمام الاباضيّة بها .

ولد بحومة غيزن يوم 20 مارس 1903م/ 1321هـ . أخذ العلم عن الشيخ عمر بن إبراهيم بن مرزوق (1310-1381 هـ / 1890-1961 م) بمدرسة بن يعلى بحومة بني ديغت، حيث حفظ ألفيّة ابن مالك في النحو. ثمّ بمدرسة الباسي بحومة والغ التي التحق بها سنة 1923م /1341هـ.

وبعد وفاة والده الحاج امحمد - عدل اشهاد يكتب العقود، وغيرها - في أوّل صفر سنة 1346هـ/ 1928 م، واصل تعليمه بجامع الزّيتونة بتونس، طيلة خمس سنوات (1929-1934م). فوصل إلى درجة التطويع. وممّن أخذ عنهم هناك: الشيخ محمّد الزّغواني، والشيخ العربي الماجري. كما لازم دروس العلامة الشيخ محمّد بن صالح الثميني (ت 1977م). صاحب مكتبة الاستقامة، بسوق العطّارين القريبة من مقر إقامته بجامع الهنتاتي. وممّن كان يحضر هذه الدّروس نذكر: الشيخ أبو الأحباس النّفوسي، والشيخ يونس بن قاسم المثني، والشيخ ميلاد بن علي المثني، والشيخ قاسم بن تعاريت.

ثمّ ذهب إلى مصر للدّراسة بالجامع الأزهر بالقاهرة. وبقي هناك خمس سنوات، أيضا (1934-1939 م). وكان يلازم دروس العلامة الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيّش(ت1385 هـ /1965م) مدير قسم المخطوطات بدار الكتب المصريّة. وتحصّل منه على شهادة الإجازة في الافتاء، والتدريس. كتب فيها: " له من الورع والعلم، ما يمكّنه من الجلوس للافتاء والتدريس".

وبوكالة البحّار بحيّ طولون حيث كان يقيم، نسخ عدّة مخطوطات من مكتبة الإباضيّة، ومن المكتبة الوطنيّة بالقاهرة. فكان لا يترك فرصة يتزوّد فيها بالعلم إلاّ واغتنمها. فكلّما سمع بكتاب نفيس، اتّخذ جميع الوسائل للاطّلاع عليه، ثمّ نسخه، أو شرائه إن أمكن. فكوّن مكتبة ثريّة تحتوي على نفائس الكتب المخطوطة، والمطبوعة، خاصّة في التاريخ الإسلاميّ.

قال الإمام أفلح بن عبد الوهّاب الرّستمي :

العلم أبقى لأهل العلم آثارا يريك أشخاصهم روحا وأبكارا

حيّ وإن مات ذو علم وذو ورع ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا

اشتغل بالتّدريس في عدّة مدارس علميّة، منها :

- مدرسة تلاكين.

- مدرسة مدراجن.

- مدرسة بني داود - محراب لواتة-.

- مدرسة الملاّق.

- مدرسة جامع الشيخ بحومة السّوق.

وممّا يؤثر عنه، أنّه لم يتقاض أجرا مقابل التّدريس فكان يقوم بذلك مجانا، اتّباعا لسيرة السّلف- رحمهم الله-

- قال أحمد بن أبي الضيّاف في الأتحاف ص 208:

"إنّ غير المالكيّة- يعني الإباضيّة - من هذه الجزيرة - يعني جربة - يتورّعون عن أخذ الأجر لبثّ العلم".

وإلى جانب القيام بنشر العلم في مجالسه العلميّة القارّة، كان لا يتردّد في حضور المناسبات التي يستدعى إليها في مختلف أنحاء الجزيرة. فيلقي دروس الوعظ والارشاد، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر. وينتصب للفتوى والردّ على أسئلة الحاضرين المتنوّعة.

وكان محققا في التاريخ، وخاصّة في سير الإباضيّة. فاتّخذه الباحثون قبلة يستشيرونه ويستفيدون من معلوماته .

ويعتبر- الشيخ سالم -اخر حلقة من حلقات السّلسلة الذّهبيّة للأئمّة الإباضيّة التي تتّصل بأصحاب الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بجربة. فهو إمام الإباضيّة بها. وبقية السّلف الصّالح - رحمهم الله -.

قال تعالى: " رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا " صدق الله العظيم.

أبرز تلاميذه:

- الشيخ فرحات الجعبيري.

- الشيخ صادق بن مرزوق .

- الشيخ يوسف الباروني .

من مؤلّفاته :

"تاريخ جزيرة جربة " : طبع بدار الجويني للنّشر، سنة 1986م/ 1406هـ.

تحقيق كتاب : "بدء الإسلام وشرائع الدّين " لابن سلام (273هـ/886م).أقدم مصدر يهتمّ بتاريخ الإباضيّة. وذلك بالاشتراك مع المستشرق الألماني "شقارتز". طبع بدار فرانز شتاير بفيسادن بألمانيا . كما طبع بعنوان : "الإسلام وتاريخه عند الإباضيّة " بدار صادر ببيروت – لبنان- سنة 1986م /1406هـ.

- " تاريخ جزيرة جربة ومدارسها العلمّية": طبع بدار سيراس للنّشر، سنة 2006م.

- " نشأة الإباضيّة ووتبرئتهم من الخوارج": مخطوط .

- رسالة في صلاة الجمعة: حكمتها و شروطها.

- " تراجم علماء الإباضيّة الأوّلين": مخطوط.

- قال الرّسول صلّى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له ".

توفّي ليلة الأحد 11 رجب 1411هـ/ 27 جانفي 1991م.

رحمه الله . وأسكنه فراديس جنانه، مع الذين أنعم عليهم: من النبيّين، والصّديقين، والشّهداء، والصّالحين. سبحانه العليّ القدير.

تقديم الطّبعة الأولى

إنّ في تحسّس أخبار السّلف لعبرا لمن يريد أن يعتبر. وهذا هو شأن المسلمين في غرضهم الأسمى من تتبّع سير الذين عمّروا الأرض التي يعمّرونها الآن. وسوف تعمّرها الأجيال تلو الأجيال، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وإنّ هذا الغرض السّامي دفع شيخنا: سالم بن يعقوب- حفظه الله- إلى تكريس حياته في سبيل جمع أخبارالإباضيّة وجزيرة جربة، من أيّام الشّباب: منذ أن كان طالبا بتونس والقاهرة، إلى يومنا هذا. وقد نيّف على الثّمانين. فهو بلا منازع مرجع الإباضيّة في المغرب والمشرق في هذه المادّة التاريخيّة المتشابكة الأطراف. ولا غرابة إذا قلنا : " إنّه أستاذ الجيل بحقّ في هذاالخضم".

وإنّه ليسعنا أن نقدّم لكتابه هذا الذي وسمه:" بتاريخ جربة " . هذا الكتاب الذي طالما انتظره الدّارسون الذين استقوا من مكتبته العامرة الكثير، واستفادوا من توجيهاته أكثر.

وإنّنا لنحمد الله تعالى الذي أعانه على تدوين ذلكم الشّتات الذي تجمّع لديه من بقايا بعض المكتبات التي سهر على تمييز غثّها من سمينها. وقدّم للباحثين أكلا شهيّا. فميزة هذا العمل تكمن في كونه يضع بين يدي الدّارس مادّة خاما، ورصيدا مجهولا، وأخبارا طريفة يمكن استغلالها بوجوه شتّى في ميادين البحث المعاصر.

ويصعب أن ننتظر من مشائخنا الأفاضل دراسات أكاديميّة تخضع لمناهج الجامعة الحديثة. ففضلهم علينا يتمثّل في ما يوفرونه لنا من نصوص متناسقة في العرض ومتكاملة الجوانب. وهذا ما يتجلّى في هذا التّاريخ النيّر: إذ يطوف بك عبر إطار الجزيرة المكاني، والزّماني. ويمخر بك بحار الزّمن، لترسي في النّهاية عند مسلك أهل الاستقامة. ذلك المسلك الذي ارتبطت مبادئه ارتباطا وثيقا بجزيرة جربة، إلى أن صارت هذه الجزيرة تعرف بالإباضيّة، كما يعرف

الإباضيّة بها. وقد توّج هذا الجزء بوقفة صادقة عند مدرسة الجامع الكبير: تلكم المدرسة التي كان لها الفضل الأكبر في الاشعاع العلمي على الجزيرة، وعلى الإباضيّة حيثما كانوا.

وإنّنا لنسأل الله أن يأخذ بيد شيخنا حتّى يتمّ انجاز الجزئين اللاحقين، لنتعرّف عن بقيّة المدارس العلميّة بالجزيرة. وعن أخبارها السياسيّة عبر الزّمن. وصمودها المرير لتبقى تابعة لخريطة العالم الإسلامي. لأنّها لم تسقط شهيدة، كما وقع لصاحبتيها صقليّة والأندلس.

نصر الله الإسلام والمسلمين. وأعانهم على استخلاص الدّروس من الماضي. إنّه نعم المجيب.

د- فرحات الجعبيري

تونس في 13- 7- 1406هـ / 24-3- 1986م

- تقديم الطّبعة الثانية -

رحم الله شيخي . ومتّعه بفسيح جنانه .
لقد أوكل إليّ تقديم الجزء الأوّل من كتابه : " تاريخ جزيرة جربة ". وهاهو القدر يمنّ عليّ مرّة أخرى لأقدّم لهذا الكتاب. لا في جزئه الثاني كما كان مقرّرا في مقدّمته للطّبعة الأولى، ولكن لكامل الكتاب.
وإنّنا لنعتذر لدى القرّاء الكرام، لعدم تمكّننا من اتمام ما خطّط له شيخنا- رحمه الله- لأسباب موضوعيّة، أهمّها انتقاله إلى الرّفيق الأعلى دون أن يترك نسخة محرّرة بقلمه. وذلك لما انتابه من مرض حال دون تحقيق ما تمنّى. لذلك رأينا أن ننتشل ما يمكن انتشاله ممّا توصّلنا إليه من مذكراته. وأن نجمع الكلّ في كتاب واحد، أضفنا إلى عنوانه " المدارس العلميّة". كما أشار- رحمه الله- في مقدمة الجزء الأوّل: على" أن يصدر بقيّة الحديث عن المدارس العلميّة، والمدرّسين بها". أمّا البقيّة التي وعد بانجازها، وكذلك الحديث عن الحياة السياسيّة، وعمّا انتاب جربة من الأعداء الصليبيّين الجبابرة، فيوكل إلى من يريد أن يبحث، لعدم توفّر هذه المادّة فيما وصلنا من مذكراته- رحمه الله-.
وقد تمثّلت خطّة عملنا في ما يلي:
إعادة طبع الجزء الأوّل الذي صار القسم الأوّل من الكتاب الحالي. وقد اشتمل على: الحديث عن جغرافيّة جربة البيولوجية والتاريخية، وحظّها من الحضارات القديمة، واقتصاديّاتها، وسكانها. ثمّ تاريخ فتح المسلمين لها، واستقرارالإباضيّة بها، وانشائهم المدرسة العلميّة الأولى فيها: وهي مدرسة أبي مسور أو مدرسة الجامع الكبير، مع التعريف بأبرز المدّرسين فيها، طيلة عشرة قرون من الزّمن:من أواخر القرن الثالث إلى نهاية القرن الثالث عشر .
أمّا القسم الثاني، فقد وثّقنا فيه جميع ما توفّر لدينا من مادّة علميّة عن عدد من المدارس العلميّة، والمدرّسين فيها. ونحن على يقين من أنّ

هذا الرّصيد المتوفّر لا يستوعب جميع المدارس العلميّة التي عرفتها الجزيرة.

والذي نؤكده هو الآتي :

- إنّنا وفّرنا للقرّاء الكرام مادّة خاما وغزيرة عن أخبار المدارس العلميّة بجربة والمدرسيّن فيها، ناضل شيخنا - رحمه الله- من أجل جمعها وتوفيرها، نضالا نسأل الله تعالى أن يكتبه في ميزان حسناته.

- إنّنا سعينا إلى التثبّت من صحّة هذه الأخبار بكلّ ما أوتينا من طاقة معرفيّة. ومع ذلك لا ندّعي العصمة أبدا.

إنّنا عملنا على التّقريب في الصّياغة بين مختلف النّصوص التي وصلتنا. وإن بقي بعض النّشاز، فعذرنا يتمثّل في حرصنا على سلامة الخبر، وإن كان على حساب الصّياغة.

وللأمانة العلميّة، عزّ علينا أن نتخلّى عن جلّ النّصوص الشّعريّة. لأنّ توالي النسّاخ عليها، وغلبة الطّابع الفقهي على أصحابها، جعل الكثير منها بعيدا عن الشّعر الحقّ. فاستعنّا بأهل الذّكر في فنّ الشّعر. وأخضعنا أغلبها للوزن، مع الحفاظ على المعنى، ولو بتعويض ألفاظ بأخرى تقوم مقامها. رغم إيماننا بأن أيّ لفظ لا يقوم مقام آخر في النصّ البليغ.

ولا يسعني في هذا المقام، إلاّ أن أترحّم على روح - شيخي - الذي عرفته سنة وفاة شيخه المرحوم عمر بن مرزوق، حيث جاء ليعوّضه في القاء درس أسبوعي بجامع الملاّق، بحومتي والغ . ومن هناك انطلقت المودّة الحميميّة بيننا إلى أن توفاه الأجل المحتوم. واعترافا بالجميل واحقاقا للحقّ، لقد استفدت من معرفته العزيزة بأخبار المذهب، وأخبار الجزيرة، استفادة جليلة. ولولا ذلك ما تطوّعت لمراجعة هذا الكتاب.

وأكتفي في هذا التّقديم، بإحالة القارىء الكريم على تقديمي للطّبعة الأولى. واقتطف منه : وميزة هذا العمل تكمن في أنّه يضع بين يدي

الدّارس مادّة خامّا، ورصيدا مجهولا، وأخبارا طريفة، يمكن استغلالها بوجوه شتّى في ميادين البحث العلمي المعاصر.
رحم الله شيخي الكريم ووفّقنا جميعا إلى ما يحبّ ويرضى. ورفع درجاته في جنّات النّعيم. إنّه نعم المجيب.

د- فرحات الجعبيري
تونس في 28 محرم 1427هـ / 27 فيفري 2006 م

- مقدّمة -

إنّ قلّة المعلومات عن تاريخ جزيرة جربة، واختلاط الحقائق التّاريخيّة بتأويلات بعض المؤرّخين، جعلاني أكتب عن هذه الجزيرة، وعن تاريخها المجيد، من سالف العصور إلى وقتنا الحاضر.

وقد تعمّد بعض المؤرّخين الأكاذيب. وكتبوا تاريخ الأمم بأقلام مأجورة. ومنهم من ذكر جربة ونسب إلى أهلها البهتان، كالشريف الإدريسي في كتابه الجغرافي " نزهة المشتاق". وقد كتبه متقرّبا به إلى ملك النّصارى روجار. وعبد الرّحمان بن خلدون الذي جعل ما كتبه الإدريسي والتّيجاني من طعن في سكانها أصلا وقاعدة.

ومن الأخطاء التّاريخيّة، ما ذكر في الكتاب الوحيد عن تاريخ جربة "مؤنس الأحبّة في أخبار جربة" عن مؤلّفه محمّد أبو راس. فقد حاول محقّقه المرزوقي أن ينسبه إلى جربة إلاّ انّ أدلّته على ذلك غير محقّقة. فليس هو أحمد النّاصر صاحب الرّحلة. ولا هو من العائلات الجربيّة الملقّبة ببوراس. إذ انّ محمّد بوراس هو صاحب "الإصابة فيمن دخل المغرب من الصّحابة". أمّا كتاب "مؤنس الأحبّة في أخبار جربة" فمؤلّفه أحمد أبو راس القيرواني. وقد كان موظّفا بجربة زمن الباي حمودة باشا الحسيني. ألّفه سنة 1223هـ/1808م. وذكر فيه القائد: حميدة بن عيّاد المتولّى على جربة في شهر شوّال من نفس السّنة.

هذا بالنسبة للمؤلّف. أمّا عن المقدّمة، فقد ذكر فيها حسن حسني عبد الوهاب ما يلي:

"والمعروف عن البربر الأوّلين أنّهم ينحتون من الجبال بيوتا. وأنّهم لا يميلون إلى بناء المدن والعمارات. ولذلك لم نجد أثرا يذكر في جربة، لمدن بربريّة ذات أهميّة. وإنّما الموجود قرى ومنازل صغيرة

بنيت في العصور الحديثة، حسب الظّاهر. أمّا في العصور القديمة، فقد كان أغلبهم يسكن أخصاصا مصنوعة من جريد النّخيل وأغصان الأشجار. ولم تتغيّر هذه المساكن إلى منازل من الحجر والمدر إلاّ في العصور القريبة حيث انتشر العمران.".

وهذا زعم باطل يكذبه الواقع المشاهد من آثار مدن قديمة ذات عظمة وفخامة: كمدينة القنطرة، ومدينة هنشير الغولة ومدينة بورقو ومدينة أشير الأثريّة، وغيرها. أمّا مزاعم التّيجاني في رحلته فليست من الحقيقة في شيء. إذ هو تابع لجيش يتحرّك معه حيث تحرّك ولا يدري من رسومها إلاّ ما رأى من أخصاص في طريقه من آجيم إلى حصن القشتيل. ومكث هناك لمحاصرة النّصارى . ولمّا لم يفعلوا شيئا، رجع مع جيشه من حيث أتوا. فلم يتجوّل فيها حتّى يرى معالمها.

وأمّا مطاعن ابن خلدون في سكّانها: الإباضيّة، ووصفهم بالوحشيّة والخروج عن الدّين، فيحتاج إلى ردّ بليغ لأنّ الإباضيّة يبرؤون من الخوارج. وإنّ مسألة انكار التّحكيم الذي تمّ سنة 37هـ/ 657 م بين: معاوية بن أبي سفيان والخليفة الرّابع علي بن أبي طالب الذي انشقّ عنه بعض أصحابه وخرجوا عنه قائلين : "ألا حكم إلاّ لله"، فسمّوا بعد ذلك خوارج، فتحتاج إلى توضيح. إذ أنّ ظاهرة الخروج قد وقعت قبل النّهروان. فممّن خرج عنه: طلحة، والزّبير، وعائشة أمّ المؤمنين، في واقعة الجمل ثمّ: معاوية، وعمروبن العاص، في واقعة صفّين .

وخلّط المخالفون بين الخوارج والإباضيّة، نسبة إلى إمامهم عبد الله بن إباض التميمي (67هـ/686م) الذي تبرّأ من المتشدّدين صراحة، بقوله: "إنّنا براء إلى الله من ابن الأزرق وأتباعه من النّاس". فقد مزج الحقّ بالباطل. وزيّف الصّحيح. وعلى المرء أن يتساءل عن التاريخ الإسلامي العامّ، لتظهر امتيازات المذهب الإباضيّ عن غيره من المذاهب الإسلاميّة. فحتّى تسميتهم بالإباضيّة لم تظهر إلاّ في عهد

بني أميّة. فقد كانوا يسمّون بالمسلمين، وأهل الاستقامة، كما هو موجود في المصادر التاريخيّة الأولى: كمدوّنة أبي غانم الخرساني، وكتاب الزّكاة لأبي عبيدة.

والإباضيّة هم أوّل من أنكر الحكم بغير ما نزل الله. وهم أوّل من دوّن الحديث. فكان خاليا من الوضع والتحريف. إذ أنّ أوّل كتاب ألّف في الحديث الشّريف : هو ديوان جابر بن زيد الأزدي، التابعي، الفقيه، والمحدّث (18-93 هـ/ 636-711م) الذي قال "أدركت سبعين بدريّا فحويت ما عندهم إلا البحر". يعني عبد الله بن عبّاس الذي قال فيه : "اسألوا جابر بن زيد. فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه". فقد درس على أوائل الصّحابة : كابن عبّاس. وابن عمر، وابن مسعود، وعائشة التي أخذ عنها ما يتعلّق بحياة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم حتّى يدلّل في فتواه بأمثلة عن السّيرة النّبويّة لتكون قدوة لسائر المسلمين.

وسير الأوّلين: كعبد الله بن وهب الرّاسبي (ت 38 هـ /658 م) وأبي بلال مرداس بن أديّة التّميمي (ت61هـ/ 674 م) وعبد الله بن إباض (ت67هـ /686م) وجابر بن زيد (ت 93 هـ /711م) وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (ت145هـ/762 م) والرّبيع بن حبيب الفراهيدي صاحب المسند الصّحيح في الحديث (ت175هـ /796م) وغيرهم، تشهد على أنّ المذهب الإباضي يرتكز على مبادىء صحيحة مستمدّة من كتاب الله وسنّة رسوله الدّاعية إلى الإيمان والعمل الصّالح. فلم يعتمد الإباضيّة على الأحاديث الموضوعة التي بنى عليها غيرهم عدّة أحكام خاطئة. فكثرت اختلافاتهم، وتفرّقوا، وتعادوا. قال تعالى: "وإنّ هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه. ولا تتّبعوا السّبل. فتفرّق بكم عن سبيله. ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتّقون".

وقد رفع الإباضيّة الإسلام في الشرق والغرب. وانتشر مذهبهم في الجزيرة العربيّة وما جاورها، قبل أن تتكوّن فرقة المعتزلة، والمذاهب الأخرى. وفي حضرموت واليمن وعمان، التي لا تزال

على عهدها إلى العصر الحاضر. وفي بلاد المغرب على يد الدّاعية سلمة بن سعد الحضرمي(ت135هـ /752م) الذي قدم من البصرة مع عكرمة مولى ابن عبّاس سنة 93 هـ /711م، و حملة العلم الخمسة الآتي ذكرهم:

- أبو الخطّاب عبد الأعلى بن السّمح المعاقري اليمني (ت 144هـ/761 م).
- عبد الرّحمان بن رستم الفارسي(ت171هـ/787م).
- عاصم السّدراتي (ت141هـ/757م).
- أبو المنيب إسماعيل بن درار الغدامسي(211هـ/726م).
- أبو داود القبلي النّفزاوي (140هـ/757م).

وممّا يؤثر عن الإمام أبي الخطّاب المعافري أنّه أثناء ولايته لطرابلس، هجمت قبيلة ورفجومة الصّفريّة على مدينة القيروان. فاستعان به أهلها. فكانت الغلبة لجيشه. ولم يأ خذ أيّ شيء ممّا خلّفوه. فمن شدّة ورعه، عدم أخذ شيء من أموال المسلمين، فيه شبهة. وكذلك فعل والي طرابلس: أبو منصور إلياس، لمّا أعان أهل طرابلس على هزم ابن طولون.

ولا يزال سكان جبل نفوسة بليبيا، وجزيرة جربة بتونس، ووادي ميزاب ووارجلان بالجزائر، إباضيّة إلى الآن. وكذلك سلطنة عمان، أيّدها الله.

وإنّ دراسة سيرهم وتاريخهم، لينير السّبيل أمام الباحثين. ويعطيهم صورة واضحة عن التاريخ الإباضي الذي لم يحض بالعناية اللاّزمة رغم أهمّيته.

وإنّني في هذا البحث، أدرس بعض جوانب هذا التاريخ، بجزيرة جربة. هذا التاريخ الذي جمعته من أوراق متفرّقة، ورسائل مبعثرة، في خزائن الكتب القديمة بجربة، وتونس، والقاهرة، أثناء بحثي الموسّع عن التراث الإباضي، أيّام دراستي بجامع الزّيتونة (1929-1934م)، وبالجامع الأزهر(1934-1939م). وقد تكبّدت في جمع

هذه المعلومات كثيرا من المتاعب والصّعوبات مستعينا بالصّبر وحبّ الاطّلاع، خاصّة وأنّ مصادر البحث قليلة جدّا. فهي عبارة عن رسائل : للشيخ سليمان بن أحمد الحيلاتي (ت 1687/1099م) والشيخ علي بن بيان (1120هـ/1635-1710م) وللشيخ سعيد بن علي بن تعاريت (ت1289هـ/1872م) في علماء جربة. ولازمت عدّة مشائخ بجربة. فزوّدوني ببعض الأخبار عن تاريخها. واتّصلت ببعض غواصي الإسفنج بحومة آجيم. وحدّثوني عمّا في قاع البحر من عجائب، وآثار. وجمعت كلّ هذه المعلومات. ودوّنتها في هذا الكتاب.

وجربة أصل تسميتها: " كربة". ثمّ أبدلت الكاف جيما، لكثرة التداول وسرعة النّطق. وقد تسمّت باسم مدينة "كربة" الأثريّة الواقعة شمال حومة غيزن، أين توجد آثارالحضارة البونيّة التي يعود تاريخها إلى القرون الأولى لما قبل التّاريخ. و قد وجد الباحثون وثيقة بهذا الإسم "كربة" إثر الحفريّات الأخيرة التي أجروها بالحصن الرّوماني: برج الغازي مصطفى.

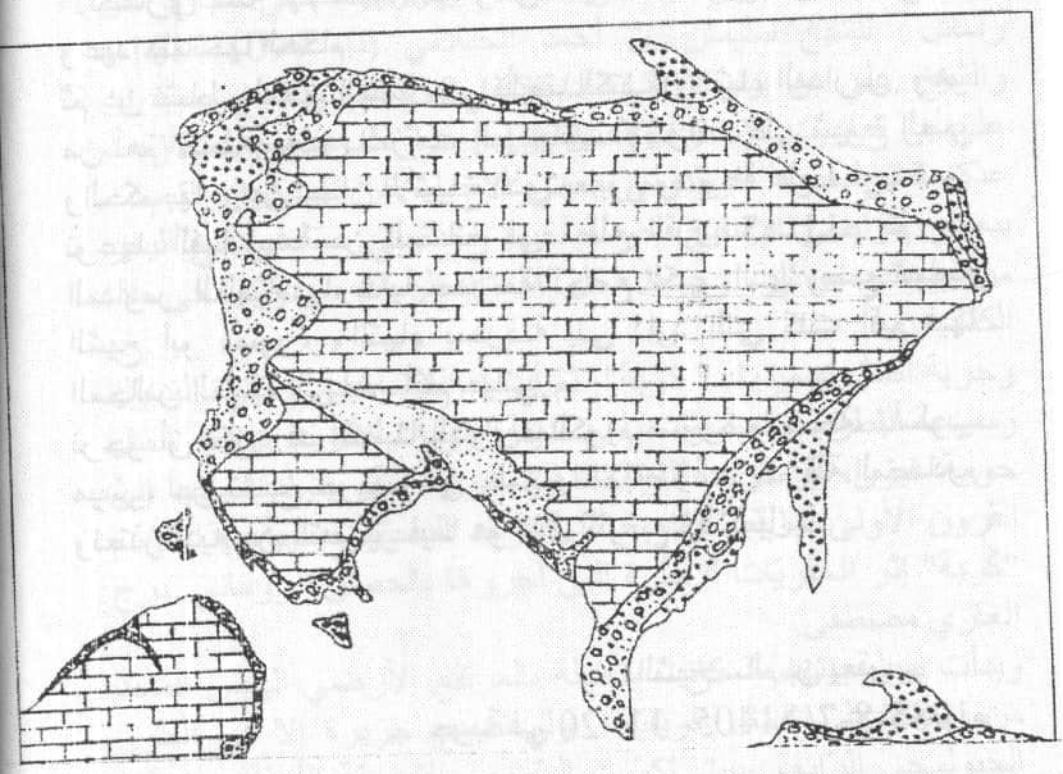
وبدأت بيولوجيتها، إذ كانت متّصلة بالمرتفع الأرضي اليابس الممتدّ من إيطاليا إلى شمال إفريقيّة . ولم تصبح جزيرة إلاّ في الطّور الجيولوجي الرّابع، حيث تكوّنت السّواحل التّونسيّة الليبيّة. وغرقت مدينة الجرف. وتكوّن وادي آجيم.

ثمّ تحدّثت عن جغرافيّتها، واتّساع رقعتها. وعن الجزر المتّصلة بها، و المنفصلة عنها. وعن آثارها، وحظّها من الحضارات القديمة. وعن اقتصاديّاتها. وعن سكانها البالغ عددهم حوالي120 ألف نسمة، حوالي ربعهم بعاصمتها حومة السّوق. وإنّ أصلهم من الأمازيغ. وقد اختلطوا بعناصر أخرى، بسبب الجوار وحسن المعاملة. وأمّا كلمة بربر المزعومة فقد اختلقها أعداؤهم لمّا لم يفهموا لغتهم.

ثمّ تحدّثت عن الفتح الإسلاميّ على يد الصّحابي رويفع بن ثابت الأنصاري سنة 47هـ/667م. وعن عهد أئمّة طرابلس، وتيهرت، وعهد مشائخها الحكام.
ثمّ عن نشاط علمائها المتمثل في تأليف الكتب، وانشاء المدارس. وهو من أهمّ أنشطة مجلس العزّابة، إلى جانب الإشراف على شيوخ العلم، والحكم بها. وعن ديوان الأشياخ الذي يعتبر موسوعة علميّة فريدة من نوعها. ألفها سبعة من المشائخ في مطلع القرن 5هـ/11م. ثمّ عن المدارس العلميّة بها، بداية بمدرسة الجامع الكبير الذي وضع أساسه الشيخ أبو مسور، وانتهاء بمدرسة بني داود التي كنت أقيم فيها المجالس العلميّة إلى آخر أيّام حياتي.
نرجو أن نكون قد أعطينا للقارىء الكريم صورة واضحة، بأسلوب ميسّر، عن تاريخ جربة وعن علمائها الإباضيّة، رغم قلّة المصادر. ونعتذر لديه عن التقصير فيما هو قابل للتوسع والتكميل.

الشيخ سالم بن يعقوب
جربة في 20 -11 -1405هـ/7-8-1985م

الخارطة الجيولوجيّة لجزيرة جربة



رواسب حديثة قاريّة

رواسب حديثة بحريّة (600 عاما)

رواسب قديمة بحريّة (100 000 عاما)

رواسب العهد الرّابع القديم

رواسب العهد الجيولوجي الثّالث (ميوسان)

جيولوجيّة جربة

تمهيد:

الجيولوجيا أو علم طبقات الأرض تبحث في كلّ ما يختصّ بالكرة الأرضيّة من حيث تركيبتها، وكيفيّة تكوينها، والحوادث التي تعاقبت عليها منذ نشأتها. وفي العوامل الدّاخليّة والخارجيّة التي وصلت بها إلى ماهي عليه الآن.

فماهي الحوادث الجيولوجيّة التي تسبّبت في تكوّن جزيرة جربة؟

وصف جيولوجي

1 - التّكوينات القارّة :

إنّ نتائج الحفر العميق الذي وقع بالمنطقة ترجّح وجود مرتفع أرضي، من أصل حركي، في موقع الجزيرة الحالي. وحول هذا المرتفع ترسّبت طبقات صخريّة في مرحلة الميوبليوسين، بقي ظاهرا منها ما نراه في سفح هضاب قلالة مرتّبا كالآتي، ابتداء من القاعدة :

- رمل أصفر: ويمثّل أقدم طبقة صخريّة ظاهرة.
- طين أحمر: معروف باستعماله في صنع الفخّار. ويشوبه قليل من الجبس.
- طبقة من التربة الحمراء يصل سمكها إلى 2م. تعلوها طبقة جيريّة كلسيّة تبلغ عدّة أمتار في بعض النّواحي. وهي تغطّي كامل سهل الجفارة، وترسّبات الحين الثالث. وهذه التربة الحمراء هي التربة الزّراعيّة بجزيرة جربة. وقد ترسّبت على مرحلتين:
- قبل الدّور التريني المبكّر: وهو ما نراه في مقاطع تاقرماس.
- بعد الفترة التّرينيّة، عند انحسار البحر: وهو ما يظهر بالشاطئ الشمالي، قرب سيدي سالم.

2 - التّكوينات البحريّة والسّاحليّة:

وهي تنتسب إلى ثلاثة أدوار : التريني المبكّر، و المتأخّر، والفلندري: أي من 120.000 سنة إلى 6000 سنة.

أ - الدّور التّريني المبكّر:

تتكوّن معظم ترسّباته من :

- رمال بها بقايا أصداف مختلفة. وهي ترسّبات محيط بحري قليل العمق.
- أحجار جيريّة، خاصّة بتيليوين، ورأس الخسير.
- رمال متفاوتة الصّلابة تنتصب في صورة هضاب قليلة الارتفاع على طول السّاحل الشّمالي والغربي بالجزيرة: بين سيدي سالم و الشيخ يحي. وبها عدّة مقاطع لحجارة البناء.
- حجر تلات الرّملي: ويمثّل بقايا سيلان، إثر فترة تجمّد. يلاحظ بحومة تلات، عند سفح هضاب منطقة قلالة. ويمتدّ من جامع البرّادي إلى بومنديل.
- كثبان رمليّة كوّنتها الرّياح من بقايا ما يخرجه البحر، أو ما ينحسر عنه من اليابسة. و ذلك على طول السّاحل الشّرقي، من آغير إلى رأس المرمور .

ب - الدّور التريني المتأخّر أو الجديد :

أكثر ترسّباته من الحصى، والحجر الرّملي، وهي تغطّي في كثير من الأحيان الترسّبات السّابقة. كما نراه في مقاطع آغير. أمّا الترسّبات السّاحلية فهي صلبة في معظمها. كما نراه بجهة جليج.

ج - الدّور الفلندري:

هو عامّة ما انحسر عنه البحر حديثا من رمال الشواطىء. ويظهر متصلّبا في صورة ترس على حافة البحر.

التّراكيب والعوامل الحركيّة

إنّ نوعين من التّراكيب لعبا دورا أساسيّا في ظهور المنطقة، على ماهو عليه الآن:

- **النّوع الأوّل** : يتمثل في صدوع وانحناءات ذات تجاه: 145 درجة شمالا تقسم المنطقة إلى مقاطعات متوازنة. فتظهر هضاب حومة قلالة، وخاصّة الجزء المرتفع منها. ويرجع أصل هذا العامل إلى بداية الحين الرّابع، إثر تمطّط رصيف الجفارة، من جراء الصدّوع التي انتابت القاعدة. فانحلّت أجزاء منها لتكوّن فيما بعد جزيرة جربة وشبه جزيرتي الجرف وجرجيس .

النّوع الثاني: يتمثل في طبقات متطوّرة الاتّجاه، محورها 70 درجة شمالا زادت في انحناء القشرة الأرضيّة، وارتفاع أماكن منها. فبرزت جزيرة جربة من جديد وارتفعت شبه جزيرتي الجرف وجرجيس .

وتسبّب انخفاض خليج جرجيس في نشأة بحيرة بوغرارة .

التطوّر الجغرافي في الحين الرّابع :

في بداية الحين الرّابع، كان المناخ يتميّز بتتابع الجفاف والرّطوبة. فنتج عنه تكوّن القشرة الكلسيّة المعروفة في كامل الجفارة، و بالخصوص في جزيرة جربة. فامتداد هذه القشرة يعطينا فكرة عمّا كانت عليه مساحة الجزيرة أنذاك .

وبعد الجمع الفوري، وقع أكبر زحف بحري في المنطقة. فكانت أجزاء من هذه الجزيرة مغمورة في أوجّ هذا التجمّد: أي قبل 120000 سنة تقريبا.

ثمّ تعود للظّهور بعد ذلك، إثر الفترة الحركيّة التيرينيّة، وانحصار البحر عنها : في حدود ما يقارب 80.0000 ألف سنة فتكون الحدود الأوّليّة للجزيرة قد رسمت. ويبقى البحر في التردّد بين المدّ والانحصار، والمناخ بين الرّطوبة والجفاف، حتّى الفترة الفلندريّة : أي قبل 6000 سنة عندها تكون حدود جزيرة جربة على ما هي عليه الآن. ويكون المناخ قد بدأ في التطوّر نحو الجفاف.

مشاهد في بحر آجيم

هذه بعض المشاهد وصفها لي بعض الغوّاصين على النشاف في أعماق بحر آجيم مع أسماء بعض الأماكن هناك .

- شمال بحر آجيم، حيث المياه العميقة، توجد جدران بيوت، و أقواس واسعة كأقواس الفنادق جعلت ما وراءها في ظلمة مرهبة. كما أنّ قاع البحر هناك مغطّى بنباتات مختلفة مثل الطحلب، حيث تمكث الحيتان الكبيرة كالمنّاني، وغيره.

- شمال مرسى الجرف يوجد مخزن به عدّة أواني فخّاريّة مصنوعة على النّمط القديم. ولقد استخرج منه الفرنسيّون عدّة مصنوعات قديمة تعدّ من آثار مدينة الجرف الغارقة.

- جنوب مرسى الجرف، وفي عمق 30 مترا، توجد جدران قليلة الارتفاع بمكان يسمّى قبلة القلاعين. وبجانبه في عمق 10 أمتار، مكان يسمّى "محمود". وشماله توجد قنطرة مبنيّة في عمق 20 مترا. وبعدها برج مساحته 24 مترا مربعا، ويزيد ارتفاعه عن أربع أمتار. و بالجهة الشماليّة كذلك، توجد آثار "برج الذيب" في عمق 20 مترا. وغربيها، مكان يسمّى : "ناقة تصطافت". وشمال هذا المكان يوجد أثر ناظور، في عمق 30 مترا. أمّا غربيه، فتوجد آثار "قنطرة الفلوكة"، في عمق 20 مترا. ويقال أنّ سفينة غرقت هناك. فبقيت فوق أثر بناء، في قاع البحر.

- وغربي قنطرة الفلوكة، وفي عمق 40 مترا، مكان يسمّى : "قنطرة بو نجمة". وبقربه "حفرة بونجمة". عمقها 60 مترا، وعرضها 40 مترا. وبها يوجد النّوع الرّفيع من النّشاف ذي اللّون الأبيض النّاصع. ودائما في اتّجاه الغرب، توجد "قنطرة الحاج امحمّد"، نسبة إلى مكتشفها. ثمّ "قنطرة غلوغر"، في عمق 50 مترا. وتقدّر مساحتها ب15 مترا مربّعا. وبعدها، مكان يسمّى: "قش المركب"، في عمق 30 مترا. ويقال أنّ سفينة محمّلة بالفخّار غرقت في ذلك المكان فتحجّر شققها هناك.
- وفي نهاية الوادي، نجد أثر ناظور في مكان يسمّى : "مرسوان".

بحر آجيم (1)

تغيّر مستمرّ في عوالمنا ... سبحانه خالقا سبحان باريها
في الأرض والبحر مدّ إثره ج ... وكم زوابع هدّ الماء عاليها
والأبيض البحر قد كان منقس ... ما بين نصفيه أرض بين بحريه
والأرض لم يستقر حالها أبدا ... ولا ثبات لها ولالما فيها
و الانقلاب دؤوب في تقلبه ... والخفض والرّفع فيها من بواقيه
والضّغط يشتدّ والاعصار يدفعه ... حتّى يضيق فضاء في نواحيها
فتضعف القشرة العليا وتأخذها ... نحو الحضيض ولا تنجو مبانيها
هذا الذي كان في آجيم جربتنا ... حتّى غدت أثرا في قاع واديها
يا واد آجيم هل في القاع من خبر ... لمن أتى سائلا عن حال أهليها
كم غائض كشف الأسرار فائض ... أحياؤها ورسوم من مبانيها
ما بال تلك القرى كانت منعّمة ... يجبيها الرّزق رغدا في مغانيها
الزّرع والضّرع و الأسواق نافقة ... أمّا الفخّار فأمر كان يعنيها
لكنّها لم توحّد خالقا أحدا ... وأشركت تعبد الأحجار تأليها
وهكذا رتعت في الجهل لاهية ... حتّى أتاها قضاء من دواهيها
فعمّ ماء بحار كلّ منخفض ... آجيم من قابس شرقا وغربيها
فانساب مندفعا والسّيل يغمره ... فالأرض صارت بحارا غاب ما فيها
في الواد مختلف الآثار ظاهر ... غربيّه فالمياه عند مرسيها
فيه القناطر والقصور غارقة ... فيه المنائر تهدي السّفن تؤتيها
تلك المعالم كانت أصل جربتن ... لكنّ طوفانها غطّى روابيها
تلك المنائر والقصور كانت على ... واد من الحلو قبل أن يفاجيها
طوفان نوح فعمّ كلّ منخفض ... لم تنج إلا التلول أو أعاليها
والأرض ملتقة الأشجار يانعة ... شرقا وغربا بها من كلّ دانيها
حتّى أتاها عظيم صبّ نقمته ... فأصبحت في الفضا تهوي مهاويه
قد قاسه الغائصون في نقاوته ... جنوبه وشمال الغرب داهيها
فكان تقديرهم في القيس مختلفا ... وفق الأماكن في أرجاء واديها
نحو الثلاثين عمقا أو يزيد إلى ... نحو الثمانين غربا من نواحيها
فيالها هوّة في الأرض ساحقة ... بعيدة القعر صارت قبر هاويها

(1) نظمت هذه القصيدة، عند بداية التفكير في طبع " تاريخ جربة " سنة 1980.

جغرافيّة جربة

- موقعها:

إذا نظرنا إلى الشمال الإفريقي على الخريطة، وجدناه منقسما إلى قسمين:
- منخفض شرقي: يبتدئ من قناة السّويس، وينتهي بانتهاء سهل الجفارة بجنوب البلاد التونسيّة .
- مرتفع غربي يبتدئ من السّواحل التونسيّة الشّرقيّة. وينتهي عند مضيق جبل طارق .
وتقع جزيرة جربة عند ملتقى هذين القسمين : في الجزء الجنوبي من خليج قابس، سرت الصّغير، بين خطّي الطّول (10 د و11 د) شرقا وخطي العرض (33 د و 34 د شمالا). فهي تمتاز بموقع جغرافي هامّ، في حوض البحر الأبيض المتوسّط يربط بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب.

- شكلها :

جزيرة جربة مربّعة الشّكل تقريبا، مع زيادة مساحة بالجنوب الشرقي والشمال الغربي إذ تبلغ مساحتها حوالي 514 مترا مربّعا ويبلغ محيطها حوالي 150 مترا: بطول 40 م وعرض 35 م. ويقدّر طول سواحلها ب 125 م. فهي أكبر جزيرة في جنوب حوض المتوسّط.
وهي قليلة التعاريج والفجوات إلاّ من جهة الجنوب حيث الرّؤوس، والخاجان الصّغيرة. كما في شبه جزيرة تاربلة، غربي القنطرة. أمّا شرقي هذه الأخيرة، فالسّاحل مستقيم، إلاّ سبخة مرسيل فداخلة في البحر وعلى شمالها صخور جيريّة .
وبعد أغير، يدخل البحر في دائرة هلاليّة إلى سيدي قاروس.
وبساحلها الشّرقي سلسلة من الكثبان الرّمليّة تمتدّ إلى رأس الرّمل.
وهناك صخور جيريّة بجهة سيدي زكري .

- أمّا السّاحل الغربي، فيبدأ بسبخة ملّيتة. ويمتدّ رمله من جهة سيدي جمور إلى جهة الشيخ يحي.
كما توجد بالجنوب الغربي جزيرتان صغيرتان مشهورتان باسم "القطعاية" : البحريّة والقبليّة.

وأرض الجزيرة أشبه بالهضبة التي تنحدر برفق ناحية الشّمال الشّرقي. فهي سهول منبسطة، قليلة المرتفعات. بها بعض التّلال كقلالة، وتلات التي ترتفع عن سطح البحر بنحو 50 مترا. حيث أنّ أعلى ارتفاع نجده بهضبة قلالة. ويبلغ: 54 مترا ومنها يتجلّى مظهر غروب الشّمس كأبهى ما يكون .

- حدودها:

تحدّ جزيرة جربة:
- من الجنوب: بخلجان تاربلة، وبحر أغير، والقنطرة. وهي الجسر الرّوماني الممتدّ على طول 7 كلم، من الجنوب الشرقي. والذي يربطها بشبه جزيرة جرجيس. وتفصلها عن شبه جزيرة الجرف، من الجنوب الغربي، مسافة 2.5 كلم تقطع بركوب العائمات.
- ومن الشرق: ببحر قويّ متّصل بالسّاحل اللّيبي، وجزر مالطة.
- ومن الشمال: ببحر متّصل بخليج قابس، وبصفاقس وقرقنة .
- ومن الغرب: ببحيرة بوغرارة التي تمتدّ على مساحة 50.000 هـا، وببحيرة قلالة، وببحر آجيم .
ويختلف اتساع البحر من جهة إلى أخرى :
- فمن الجنوب: أي من شرق تاربلة إلى ميناء أغير، بحر قليل المياه و الاتساع .
- ومن الغرب: ابتداء من تاربلة إلى شمال آجيم، بحر قليل الاتساع وكثير المياه.
- أمّا من الشّمال والشّرق، فبحر واسع عميق.

- أشباه الجزر المتّصلة بها -

1- شبه جزيرة تاربلة :

تسمّى أيضا:الأرض الجميلة، كما تعنيه كلمة تاربلة الرّومانية الأصل. وتتّصل بالجزيرة، من الجهة الجنوبيّة. وهي واسعة المساحة، ذات رؤوس صغيرة وألسنة مائيّة من الغرب والجنوب. ويفصل بينها وبين أرض جرجيس مضيق مائي من الجنوب. و بينها "وبرج العقرب" طريق يسمّى: "طريق الجمال": وهي كثيرة التعاريج والمنعطفات. وضعت فيها علامات تهدي المارّين. وتوضّح لهم أماكن المرور المأمونة والقليلة المياه، عند انجزار الماء. وسمّيت كذلك لأنّها كانت معبرا لقوافل الجمال النّاقلة للسّلع بين جزيرة جربة وشبه جزيرة جرجيس، قبل حدوث القنطرة الرّومانيّة. وقد كانت طريقا للدّواب القادمة من الجنوب التونسي، والمحمّلة بالملح وغيره من المواد الصّالحة للاستهلاك المحلّي. وكذلك للتصدير عبر موانى الجزيرة. كما كانت طريقا لجيوش السّلطان أبي فارس عزّوز الحفصي عند قدومهم إلى جربة في إحدى الوقائع الصّليبيّة.

وكانت شبه جزيرة تاربلة مركزا دفاعيّا هامّا. إذ توجد بها حصون معدّة للحروب وموان قديمة، وغيرها.

2- شبه جزيرة القشتيل :

تقع جنوب شرقي القنطرة وتبلغ مساحتها حوالي 5 كلم مربّعا.
بها أودية صغيرة ونباتات: كالحماضة والغردق.
وفي أقصي جنوبها يوجد "برج القشتيل" الذي شيّده الأميرال الإسباني روجي دي لوريا سنة 668هـ/1289م.
وغربيها يوجد مقام "سيدي مرسول": أي مبعوث وهو مقام أحد المجاهدين. كان يرابط على العدوّ مع رفاقه، بذلك المكان وقد أرسله مقدّمو أهل الجزيرة، إثر غزوة مسيحيّة، إلى أهل نفوسة لطلب الإعانة على محاربة الأعداء. فقتل عند رجوعه. ودفن هناك - رحمه الله.

3- شبه جزيرة الحضريّة :

تقع على السّاحل الشرقي لجربة، جوفي مرسى السّاقية .
والحضريّة: هو إسم إحدى زوجات المرابطين على العدوّ في ذلك المكان، في أوّل القرن 9هـ/15م. وضريحها فوق ربوة صخريّة، جنوب منارة تاقرماس. ومقامها أصبح مقصدا للزّوار.
وتوجد بها صخور كلسيّة، وبقايا ميناء وقد قطع منها البحر قطعا ضخمة نتيجة لتلاطم الأمواج القويّة بها. كما كانت بها نخيل كثيرة، خاصة من جهة الشمال. أمّا من الجهات الأخرى فيحيط بها بحر قليل المياه.

4- شبه جزيرة الحشاني :

تقع على السّاحل الشمالي الشرقي لجربة. ويفصل بينها وبين البحر شريط رملي طويل داخل في الماء، من الجهة الغربيّة.
وكانت توجد بها نخيل كثيرة، وفسقيّة، ومسجد صغير. ومن الجهة الجنوبيّة هناك سبخة واسعة.
وقد سمّيت باسم أحد المرابطين على الشواطئ يدعى: أحمد الحشاني- نسبة إلى حومة الحشّان- وذلك في أوائل القرن 10هـ/ 16م.

- الجزر المنفصلة عنها -

أثناء حملة مياه البحر الهائلة، لم يغمر وادي آجيم جميع ماكان حوله. بل بقيت بعض الأراضي يابسة. فأصبحت جزرا منفصلة عن تراب جزيرة جربة ومن بين الجزر التي صمدت في مكانها مستهزئة ببحر آجيم، ما يلي :

1/ جزيرة تاوسخت أو القطعاية الشماليّة :

تقع شمال ميناء آجيم. ويقابلها على الشاطىء الشّرقي مسجد "تاوسخت" نسبة إليها. وعلى الجهة الجنوبيّة مسجد الحاج امحمّد.

2/ جزيرة تغليسة :

تقع جنوب ميناء الجرف.

تقابلها بحيرة بوغرارة، حيث الأسماك و النّباتات البحريّة.

وسمّيت بهذا الإسم بسبب معركة وقعت بذلك المكان، في آخر الليل المظلم: في تغليسة، بين جند الأمير عبد الرّحمان بن جلود الذي جمعهم ليستعين بهم على أخيه. فنزلوا بهذه الجزيرة وناموا بها ثمّ هبّت ريح قويّة أيقظتهم فظنّوا أنّ العدوّ هاجمهم. فاقتتلوا. وقتل بعضهم بعضا.

ويوجد بها مسجد صغير، وصهريج لخزن مياه الأمطار، إلى جانب أشجار الزّيتون.

3/ جزيرة جليج:

تقع جنوب بحيرة قلالة، غربي شبه جزيرة تاربلة.

4/ جزيرة أدزيرة :

تقع على السّاحل الشّمالي لجربة، في بحر جليج بحومة مليتة، شرقي المنارة.

- وبها آثار مندثرة .

وقد نظّمت هذه الأبيات في جزيرة جربة :

جزيرة في خليج قابس برزت ... تزهو بأنوارها في عين رائيها

صديقة المغرب الأدنى وزهرته ... وفصّ خاتمه سبحان منشيها

أحاطها البحر من جهاتها حذرا ... أن يطأ أرضها ممّن يعاديها

ريحانة مالها مثل تقاس به ... ولا لها في الشّطوط ما يضاهيها

خارطة المعالم الأثرية



آثار جربة

أبراجها:

الأبراج هي الحصون العسكريّة التي جعلت للدّفاع عن الجزيرة. فهي مبنيّة بأحجار ضخمة، ومحاطة بأسوار منيعة، وموجودة على ساحل البحر، حيث يكون هجوم الأعداء. إذ أنّ البحر كان مصدر خطر على الجزيرة. فإذا كانت للمساجد السّاحليّة وظيفة دفاعيّة، زيادة على وظيفتها الدّينيّة، فإنّ الأبراج كانت ملجأ للسّكان أثناء الحملات الصليبيّة.

1- البرج الكبير أو برج الحصار:

يقع في الجهة الشمالية لجربة، على حافّة البحر، بجانب ميناء حومة السّوق شرقي المرسى.

وهو من أضخم آثار الجزيرة وأكبرها. لذلك يسمّى :"بالبرج الكبير".

والحصار: كلمة تركيّة الأصل معناها: القلعة أو الحصن.

وسمّي كذلك برج "الغازي مصطفى" نسبة إلى القائد العثماني غازي مصطفى الذي اتّخذه مقرّا له ولحاشيته. وأشرف على ترميمه، بتكليف من درغوث باشا الذي تولّى على طرابلس إثر وفاة عاملها مراد آغا سنة 963هـ/1555م، في عهد سليمان القانوني (1520-1566م / 926-973م). وقد تمّت الأشغال سنة 968هـ/1567م، حسب اللاّفتة التّذكاريّة الموجودة بداخله.

أمّا أصل بنائه فيعود إلى الإسبان. لذلك يعرف" بالحصن الإسباني".

ثمّ زيد فيه في عهد الدّولة الحفصيّة بأمر من السّلطان أبي فارس عبد العزيز بن أحمد الحفصي (796-837هـ/ 1394-1434م) الذي تنقّل

سنة 836هـ/1432م،إلى جزيرة جربة لردّ الحملة الإسبانيّة التي كان يقودها الملك الأراغواني ألفونس الخامس بنفسه. وتمكّن من اخراج أساطيل النّصارى منها خائبة. ثمّ قام باصلاحه الأتراك العثمانيّون سنة (1162هـ/1748 م).

وهذا المعلم الأثري يعتبر من أشهر مباني الجزيرة التّاريخيّة. وهو مستطيل الشّكل، تبلغ مساحته حوالي 3600 مترا مربّعا. ويتوسّطه صحن فسيح. ويضمّ عدّة مرافق منها: بيوت، ومسجد، واصطبلات، وغيرها. وتحيط به جدران عالية يبلغ طولها حوالي 15م مبنيّة بأحجار مصقولة. ويوجد حوله خندق في عرض 15م، يملؤه ماء البحر ليكون سياجا دفاعيّا حصينا. فقد كان الدّخول إلى هذا البرج يتمّ عبر جسر متحرّك. ثمّ عوّض بآخر مبنيّ .

قال التيّجاني في رحلته ص 128:

" رأينا برجا يهول النّاظر اتقانا. وحسنا في كلّ ركن منه برج. إثنان منهما مستديران، وإثنان مثمّنان. وبين كل برجين، في وسط الحائط، برج صغير. ويدور بجميع ذلك حفر متّسع" .

فهو يمتاز بشكله المعماري، وبضخامة بنائه. وإنّ بقاءه صامدا، وتحدّيه للزّمن رغم الحروب، والمحن التي مرّت على جربة، يبرز شموخ أهل الجزيرة وعراقتهم في التّاريخ . وتكفي زيارته لاكتشاف ذلك .

2 - برج الجماجم :

يقع غربي البرج الكبير، بمرسى حومة السّوق.

وهو في شكل هرم: قطره السّفلي يساوي 130 قدما، وارتفاعه 30 قدما.

بناه الأتراك إثر انتصارهم على النّصارى في شهر شعبان سنة 967 هـ/ ماي 1560م فقد أمر درغوث باشا فرقة من الجيش التّركي ، بجمع رؤوس القتلى الإسبان وشيّد بها هذا البرج تخليدا لهذا النّصر. وجعله شمال برج الحصار. وفي سنة 1848 م، نقل برج الجماجم إلى مكانه الحالي، على بعد 100 م غربي البرج الكبير. وذلك بأمر من السّلطان أحمد باشا باي .

3- برج جليج :

يقع غربي حومة ملّيتة، في منعطف البحر الممتدّ إلى ناحية آجيم.
أنشأه علي باشا سنة 1157هـ /1744م. وأتمّه حمودة باشا الحسيني سنة 1209هـ/1794م، بعد حملة عليّ برغل على جربة.
يوجد غربيه ناظور قديم جعل لحراسة البحر، ولهداية السّفن في اللّيل .

4- برج آجيم :

يقع بمرسى آجيم، على السّاحل الغربي، عند مدخل الجزيرة من الجهة اليمنى للميناء.
أنشئ في عهد حمّودة باشا الحسيني(1189-1229هـ/1783-1814 م.)

5- برج العقرب:

يقع بين شبه جزيرة تاربلّة والقنطرة .
شكله مستدير. وتبلغ مساحته حوالي 10 مترا مربعًا. وتحيط به مياه البحر في عمق ثلاثة أمتار تقريبا. وما تزال قواعده متينة، وجدرانه قائمة. وهو مقسّم إلى ثلاث حجرات صغيرة .
ويقال أنّ أحد أمراء جربة بناه لابنه، خوفا عليه من لدغ العقرب. وذلك بعد أن مات عدد من أبنائه بذلك السّبب. وقدّر الله أن يبعث إليه هديّة تتمثل في سلّة من العنب، بها عقرب، لم ينتبه إليها الإبن ولسعته، فمات. ولا فرار من قضاء الله.

6- برج الوسط:

يقع وسط القنطرة، عند الوادي.
أقيم للحراسة. وبه أثر سقالة من الخشب. كانت توضع، وترفع، للمرور عليها.

7- برج القشّتيل :

يقع في أقصى الجنوب الشّرقي للجزيرة، شرقي القنطرة، فوق حاجز رملي يفصل بين البحر والسبخة. تحيط به من الغرب والشّمال، سبخة بها أودية. وتنبت فيها الحماضة. وتبلغ مساحتها حوالي 5 كلم مربّعا.
وقد شيّده الأمرال الإسباني روجي دي لوريا سنة 668هـ/ 1289م.
وهو حصن مربّع الشكل، ومتين البناء. طول ضلعه حوالي 40 م.
يحتوي على بيوت صغيرة، كان يقيم بها الحرّاس.

8- برج قصر مسعود :

يقع على السّاحل الجنوبي للجزيرة عند مدخل القنطرة.
وينسب الى الأمير مسعود بن صالح السّمومني: اخر أمراء السمومني على جربة (997 هـ/1588م) .

9- برج أغير :

يقع شرقي سبخة القشتيل، على السّاحل الجنوبي للجزيرة بني بأمر من علي باشا بن محمّد بن علي التّركي، سنة 1157هـ/1744م.

- أسواقها القديمة -

كانت بجزيرة جربة أسواق عديدة اندثرت جلّها في أزمنة متفاوتة منها :

1- السّوق الكبير:

- مكانها: حومة السّوق، أمام مقر البلديّة الحالي.أين توجد حديقة بومسور.
- أحدثها:الشيخ أبو مسور يسجابن يوجين اليهراسني، في آخر القرن 3 هـ/ 9م وقد بنى فيها محرابا ومسجدا للعبادة.
وجعل فيها مكانا للاجتماع، والاستفتاء وآخر للبيع و الشّراء، كل يوم خميس، لذلك كانت تسمّى: "سوق الخميس".
ثمّ أصبح التسوّق يومي الإثنين والخميس، كما هو الحال في وقتنا الحاضر .

2- سوق أبرّان :

- مكانها :جنوب غربي جامع ولحي بحومة جعبيرة .
- من آثارها : بناءات قديمة. ممّا يدلّ على أنّ تلك الجهة كانت عامرة بالسّكان. ومنها آثار مسجد يسمّى باسمها: "مسجد أبرّان".
- ويوما التسوّق هما : الإثنين والخميس. حيث يذكر المرحوم الفقيه امحمّد بن أحمد زكري أنّه كان يبيع فيه الصّوف المغزول.
وكانت عامرة إلى أواخر القرن 13هـ/19م .

3- سوق أزيان :

- مكانها : بين حومتي قشعيين وغيزن. وتسمّى تلك الجهة بحومة "أزيان".
- من آثارها : آبار تسمّى" آبار أزيان" كما توجد بها بقايا متاجر، و فرن وغيرها.
ويرجع تاريخها إلى ما قبل الفتح الإسلامي.

4- سوق حيدوس :

- مكانها : شمال شرقي الجزيرة جنوب حومة أزيان.
- من آثارها : فرن يسمّى: "كوشة حيدوس".

5-سوق البورجية :

- مكانها : شرقي سوق حيدوس.
من آثارها: معصرة تسمّى "معصرة البورجية" إلى جانب صهاريج لخزن المياه.

6-سوق الثّلاثاء أو سوق زواغة :

- مكانها : شرقي حومة الماي، وشمال حومة بدوين:
- تقام كلّ يوم ثلاثاء: لذلك تسمّى سوق الثلاثاء و تسمّى: أيضا سوق زواغة - نسبة إلى قبيلة زواغة التي سكن بعض بطونها جربة.
- من آثارها: بقايا بنايات كثيرة، تدلّ على أنّ تلك الجهة كانت عامرة بالسّكان قبل الفتح الإسلامي، وبعده.

7- السّوق "القبلي":

- مكانها : على السّاحل الجنوبي الشرقي للجزيرة، بين سبخة القشتيل وحومة غرداية، شمال الطّريق المعبّدة بين القنطرة وآغير .
من آثارها : بقايا غيران في جهة التافزة، ومنتوجات فخّارية، وصهريج للمياه .

8- سوق المثناية :

- مكانها : شرقي سوق آجيم الحاليّة، على بعد 2كلم تقريبا.
- من آثارها: بقايا متاجر تدّل على أنّها كانت سوقا تجاريّة هامّة.

- مناخها -

مناخ جربة معتدل. فهي قليلة البرد شتاء، وقليلة الحرّ صيفا بسبب تطويق البحر لها.
والجهتان الشرقيّة والشماليّة ألطف هواء، وأدنى رطوبة، لاتّساع مساحة البحر بهما.
والرّياح التي تهبّ على الجزيرة عادة ما تكون شماليّة، وشرقيّة ممّا يزيد في تلطيف حرارة الطّقس.
وقد بعث هذا الجوّ المعتدل النّشاط والحيويّة في أهلها.

- تربتها-

تربة جربة رمليّة خصبة، وصالحة للزّراعة، خاصّة في الجهات الشّرقيّة، حيث الأرض المنبسطة. أمّا في الجهة الجنوبيّة الغربيّة، فتوجد بعض الصّخور الصّلصالية، إلى جانب الصّخور الجيريّة التي تمتدّ على الجهة الشماليّة لتصل إلى منارة جليج، غربي حومة ملّيتة.
والأحجار الجيريّة الممتدّة على طول الشاطىء الشمالي تمثل أحجار البناء الأكثر استغلالا. وهي معروفة باسم "الشخش" وتستغلّ في نطاق مقاطع بدائيّة. والقشرة الكلسية التي تمتدّ على كامل مساحات الجزيرة، كانت في زمن مضى من مواد البناء المفضّلة خاصة لصناعة الجير .
كما يستغلّ الحجر الرّملي لتلات في بعض المقاطع بمنطقة القرع .
أمّا الطّين الأحمر فيستغلّ في شبه مناجم، تحت أرضيّة. ويستعمله أهالي قلالة في صناعة الفخّار .

- مواردها المائيّة -

لا توجد بجربة عيون تنبع من الأرض. وكلّ مياهها من الأمطار. وإنّ عدم انتظام نزول الغيث النّافع، دفع بالأهالي إلى بناء الفساقي، و الآبار التي توجد بها مياه عذبة أو مالحة.

وتنتشر الآبار السّطحية في كامل أنحاء الجزيرة. وهي غالبا ما تكون مالحة إلا ما وجد منها في المناطق الشّرقيّة، حيث تستغلّ المائدة المتكوّنة من رمال الميوبليوسين. أمّا الآبار العميقة التي تستغلّ مياه الميوسين فقليلة العدد. وتستعمل عادة لتزويد المركبات السّياحيّة الموجودة بالجهة.

وتشمل المياه العذبة السّاحل الشّرقي: من رأس الرّمل شمالا، إلى آغير، جنوبا. وبوسط الجزيرة: من وادي الزّبيب إلى تاقرماست، مرورا بالماي، ووالغ، وصدغيان، والمحبوبين، وميدون، في عرض يتراوح بين خمس وستّ كيلومترات. وهذه المياه العذبة مياه فوقيّة. فإذا زيد في حفر آبارها أصبحت مالحة كالمياه التي توجد في السّاحل الجنوبي: من شرقي القنطرة إلى السوق القبلي القديم.

قال الشّيخ قاسم بن سليمان الشمّاخي مادحا المناطق المشهورة بالمياه العذبة، والغلال الرّفيعة بها :

مقامك بالجزيرة في هوان سوى وادي الزّبيب وصدغيان

وقد نظمت هذه الأبيات في وصف حومة صدغيان وجربة عامّة:

أرى خير الأماكن والبقاع بجربة صدغيان بلا نزاع
سعادة الخير فيها لهم نفوس قلّت فيها القبائح والخداع
رماني الدّهرفي وطر إليها وفيها للمكارم كلّ ساعي
حمدت الله إذ بقيت بقايا من أهل الفضل فيها والدّفاع
فمنهم من بني عيّاد خلّ عظيم القدر عال في ارتفاع

*****

أيا جربة الغرّاء روضك مزهر وليلك مضمر وربعك عامر
وزهر رباك تخجل الشمس إن رأى به وجهها صبحاعليه يفاخر
تراه إذا مالاح عند شعاعها وصار نسيم البحر ناه وآمر
يميد كأعلام اليواقيب زاهرا كأنّ له زهر الرّياحين ناصر

اقتصاديّات جربة

ـ الفلاحة:

ليس بين جهات البلاد عموما، جهة اعتنى سكانها بالفلاحة كاعتناء أهل جربة بها . وإنّ وجود أرضهم داخل البحر، وانقطاعها في بعض الفترات التاريخيّة عن العالم الخارجي، له الأثر الكبير في توجّه سكانها لخدمة الأرض واستغلالها، لتسديد حاجيات معيشتهم. فالـ 60 ألف هكتار التي تشتمل عليها مساحتها جلّها مزروعة،إلاّ ثلاثة هكتارات تقريبا سباخا لا تنتج. فالجربيون كانوا يحاولون استغلال كلّ شبر من أراضيهم.
وتنتج من الحبوب: الشعير والقمح والعدس وغير ذلك. وتظلّل هذه المزارع أشجار النّخيل، والزّيتون، والتّين، والعنب، والرّمان، وغيرها. كما أنّها تنتج الخضروات بجميع أنواعها.

الزّيتون

عرفت جربة غراسة الزّيتون منذ الحضارة الإيجيّة (3000-6000ق م). وقد اعتنى سكانها بغرس أصوله بكلّ جهات الجزيرة، في سائر عهود الحضارات المتعاقبة عليها. ويقلّ عدد الزّياتين في سواحلها بينما يكثر البذر.
وقد ازدهرت غراسة أشجار الزّيتون أيّام الرّومان. وكثرت المعاصر المبنيّة فوق، وتحت الأرض، خشية من الأعداء. وراج تصدير الزّيت الرّفيع من جربة إلى روما، وإلى إسبانيا، وغيرهما.

وتعود جودة الزّيت الجربي إلى المناخ الطّبيعي للجزيرة، وإلى طريقة العصر القديمة و المتطوّرة.
وظهرت عظمة جربة بين المدن الأخرى: كسبيطلة، والقصرين، والجمّ، وغيرها.
أمّا أنواع الزّياتين الموجودة بالجزيرة فهي: الزّلماطي، والشّملالي، والجراصي. وهي تتماشى مع مناخها المتوسّطي.

النّخيل

أصل وجود النّخلة بجربة قديم جدّا. سبق غراسة الزّيتون.
والنّخيل إلى جانب الزّيتون، من الأشجار الأساسيّة التي يعتمد عليها اقتصاد جربة. ويقدّر عدد النّخيل بالملايين.
وأنواعها عديدة وأفضلها: ما يعرف " باللّمسي"، و"المتاتة". ومنها ما يدّخر قوتا. ومنها ما يصدّر إلى الخارج.
وقد راجت بجربة صناعة :السجّاد، والمظلاّت، والقفاف، وغيرها.

الأشجار المثمرة:

اشتهرت جربة بتنوّع الأشجار المثمرة بها، منذ العهد الفينيقيّ.
ونجد بها أشجارا مختلفة: كالتّين، والعنب، والمشمش، والقوارص، والرّمان واللّوز، والتّفاح ذي الشهرة العالميّة. وينتج خاصّة في سواحلها الشرقيّة، حيث الرّمال الذهبيّة، كجهة مزراية.
قال التيّجاني في رحلته ص122:
"وتفّاحها لايوجد له نظير في بقاع الأرض لما لها من صفاء، وطيب مذاق، ورائحة تشمّ على أميال عديدة. وكان النّصارى يأخذون منه كمّيات كبيرة ليتحفوا بها ملوكهم وكبراءهم".

وذكر مقديش الصّفاقسي في نزهة الأنظار:
"إنّ بها من الثمارما لا يوجد في غيرها. وإنّ ثمارها تستمرّ على طول السّنة. وتبقى في أشجارها إلى انتهاء نضجها، لقوّة استتباب الأمن بها، وانعدام الخيانة في نفوس أهلها".

الصّيد البحري:

عرف سكان جربة صيد الأسماك منذ أن نزل بها أوائلهم، وعمّروها. ويعيش من يسكن على سواحلها خاصّة، من خيرات البحر الغنيّ بمجموعة كبيرة من الأسماك المتنوّعة.
وكان سكانها من أمهر السبّاحين، والصيّادين، والغوّاصين. وكانوا، قبل الاستعمار الفرنسي، يملكون 170 سفينة ساحليّة، و100 قارب صيد، و600 زورق ومركب من ذوات المحرّكات الآليّة، والأشرعة العاديّة.
ويبلغ عدد الصيّادين بها حوالي 1500 صيادا، أغلبهم من حومة آجيم. وتأتي مراكبهم بأحمالها إلى موانى الجزيرة :كميناء آجيم، وحومة السّوق، وآغير، والقنطرة.
فالصّيد البحري، من سمك وإسفنج، يحتلّ مكانا هامّا في اقتصاد جربة.
وكان السّمك، وخاصّة المجفّف منه، يصدّرمن جربة إلى قرطاج، في العهد الرّوماني.
وقد اختصّت حومة آجيم بصيد الإسفنج. إذ نجد بها غوّاصين ماهرين يغوصون في أعماق البحرإلى 40 مترا. ويلتقطون الإسفنج بسرعة عجيبة. ومنهم من يمكث طيلة 4 دقائق تحت الماء، بدون آلة تنفّس.
والإسفنج الجربي عند اخراجه من البحر: لونه أسمر، وجودته متوسّطة .

- الصّناعة -

1- صناعة الفخّار :

عرفت جربة صناعة الفخّار منذ الحضارة الإيجيّة (3000-6000ق م).والآثار المطمورة في أرض قلالة وغيرها تدلّ على ذلك.
وقد ازدهرت هذه الصّناعة خاصّة في العهد الفينيقيّ. حيث كان انتاج جربة من الأواني الفخاريّة وغيرها عنصرا تجاريّا هامّا.
وكانت في بداياتها صناعة بسيطة. ثمّ تدرّجت في التحسّن والاتقان، بتطوّر حضارة السّكان، وحاجاتهم للأواني: للشراب، والغسل، واعداد الطّعام، وادّخار التّمور والحبوب والزّيوت، وغيرها .
ويصنع الفخار من طين خاصّ، ذي لون يميل إلى الحمرة. ويستخرج من مقاطع رئيسيّة ببطون تلال، بحومة قلالة. ثمّ ينقل إلى حيث يعجن. ويخمّر. ثمّ يصنع بالمعمل أواني مختلفة، بأياد ماهرة. وبعد التّجفيف في الظلّ، تنضج في الأفران النّاريّة. فتصبح بيضاء طبيعيّة: إذا عجنت بماء البحر، وحمراء: إذا عجنت بماء البئر أو مزوّقة: إذا دهنت قبل دخولها الفرن .
وازدهرت هذه الصّناعة خاصّة في حومة قلالة، حيث تكثر المصانع و الأواني الفخاريّة: كالجرار الضّخمة والمتوسّطة، والأواني الصّغيرة التي تستعمل: للطّعام والشراب، والزّينة، وغير ذلك.
ويتميّز فخّار جربة بنوعيّة الطّين الذي يصنع منه، وبحرفيّة منتجيه. لذلك كانت المصنوعات تصدّرإلى الدّول المطلّة على البحرين: المتوسّط والأسود، لما اشتهرت به من خزف مزركش، غير مطليّ .

2- صناعة الصّوف :

عرفت جربة صناعة الصّوف منذ أقدم العصور. ففي العهد الرّوماني، كثرت مصانع الصّوف، ومعامل دبغ الجلد.
وكانت هذه الصّناعة منتشرة في مختلف جهات الجزيرة، حيث تمثل لأهلها موردا اقتصاديّا هامّا.
وتصدّر منتوجاتهم المتنوّعة إلى: طرابلس، والقاهرة، والجزائر، وإسطنبول والخرطوم، ودكار، وغيرها .
ومن مصنوعاتهم: الصّوفي: كالبطّانية، والوزرة، والقطني أو الممزوج بالصّوف أو بالحرير: كالألبسة النّسائيّة، وغيرها. إلى جانب صناعة الشّاشيّة.
وكانت أغلب مناسج أهل جربة بالقرب من محلاّت سكناهم. فداخل المنازل كانت توجد أماكن الحياكة، وصناعة الصّوف، وتحويله إلى خيوط ثمّ غزلها. وكانت المرأة الجربيّة تستعمل أنوالا يدويّة ثمّ عوّضتها بأنوال آليّة لغزل الصّوف، والقطن، والنّسيج.
وقد أخذت صناعة الصّوف في التقلص غزلا ونسجا، لمزاحمة الإنتاج الخارجي لها. وانحصرت بحومتي السّوق و تيواجن.
ومنسوجات جربة الصّوفية لها شهرة ذائعة منذ القدم. وأسواق تونس: كسوق الجرابة، وسوق اللّفة، وسوق القماش، تشهد على ذلك.
وإنّ تميّز جربة بصوفها اللّين والنّاعم، جعلها تسيطر على منتوجات تونس الصّوفيّة وعلى صادراتها.
قال التّيجاني فى رحلته ص 122:
"واختصّت هذه الجزيرة دون غيرها من البلاد، بحسن الأصواف المحمودة الأوصاف التي ليس لها بإفريقيّة نظير. وذلك معلوم من أمرها شهيرا."

وقال مقديش الصفاقسي في نزهة الأنظار ج1 ص142 :
"يحمل بهذه الجزيرة من أصناف ثياب الصّوف السّاذج، والممزوج بالحرير، كلّ مفتخر يعمّ افاق الدّنيا وأقطارها. وإليها يجلب قناطر الأموال. فيحمل طيالسهم، وأحرمتهم، وأكيستهم، وبرانيسهم بجميع الأراضي. ويعملون أيضا شيلانا من صوف البحر، لتغطية الرّأس".
ووجود أيّام سوق خاصّة ببيع الصّوف و "الطعّام" والمنتوجات الصّوفية: "اللقّة" يدلّ على أهميّة هذه الصّناعة عند سكّان جربة .

- التّجارة -

لأهل جربة خبرة كبيرة بأصول التّجارة، ووسائل ازدهارها. فقد نشأوا على الجدّ وتحمّل الغربة، ومشاقّ السّفر. فكانوا أمّة تجاريّة فاقت بتقدّم تجارتها أمم إفريقيا.
ومرسى آجيم: "تيبازا" الذي أنشئ منذ العهد الرّوماني، دليل على أهميّة الحركة التّجاريّة بالجزيرة. فقد كانت التّجارة رائجة بينها وبين بلدان المتوسط ودول جنوب الصّحراء.
ذكرت دائرة المعارف الإسلاميّة مجلد 6 ص 234- ما يلي:
"وأهل جربة مجدّون، معروفون بالرّزانة، مقدّرون للأمور. فهم رجال أعمال من الطّبقة الأولى، في الاقتصاد. وقد افتتح أكثرهم حوانيت، ومحلاّت تجاريّة في المدن التّونسيّة، وغيرها. كما فعل أهل ميزاب، في الجزائر. ولهم محلاّت في طرابلس، ومصر، والجزائر، وغيرها. ولهم نظامهم الخاص في التّجارة".
فقد اشتهر الجربي بأمانته وذكائه لذلك تجده يحسن استثمار رأس المال، في جميع فروع التّجارة، وعلى الأخصّ تجارة مواد المعاش. فأصبحت كلمة العطّار: أي التّاجر، ينصرف معناها عند النّاس إلى الجربي .

قال مقديش الصّفاقسي، في "نزهة الأنظار" :
فيهم حسن عهد، وكرم نفس، وضيافة. يسالمون النّاس ما سالموهم. ولا يخونون. ولهم صبر زائد على الاغتراب، في الأوطان. ويصبرون على الشدّة أكثر من غيرهم. فكثرت بذلك أموالهم".
ويكمن سرّ هذه الشهرة ذائعة الصّيت، في اتّصافهم بصفات الرّجل النّزيه، المسلم.
وقد كانت التّجارة تتصدّر اقتصاديّات الجزيرة. حيث كانت أهمّ مصدر من مصادر ثروة سكانها. وقد لعبت الموانى البحريّة دورا كبيرا في تنشيط التّجارة الخارجيّة بين: جربة وتونس، وبنغازي، والقاهرة، والإسكندريّة، وطرابلس وإسطنبول. وقد جعل خير الدّين بربروس، وأخوه عرّوج، من جربة، مركزا لأساطيلهما البحريّة، في حوض البحر الأبيض المتوسّط. حيث ازدهر النّشاط التّجاري.
والتّاجر الجربي يمثل، في كامل البلاد، ظاهرة في حدّ ذاته. فقد التصقت كلمة التّاجر: بالجربي.
وقد بنى يوسف داي (1610-1637م - 1019-1046هـ) سوقا خاصّا بتجّار جزيرة جربة: "سوق الجرابة" بتونس العاصمة.
و هكذا تعرف جربة بتجّارها لما يتمتّعون به من خصال حميدة.

حظّ جربة من الحضارات القديمة

تمهيد:

كان لموقع جزيرة جربة الاستراتيجي، في حوض المتوسّط ،الأثر الكبير في لفت أنظار الدّول إليها. فهي صالحة لتكون مركزا تجاريّا هامّا، يموّن سكّان سواحل إفريقيّة. خاصّة وأنّ البحر الأبيض المتوسّط كان محور التّجارة الدوليّة فكان لجربة الحظّ الأوفر من الحضارات القديمة. و حصلت لأهلها فرصة التّعرّف على مدنيّات الأمم المتعاقبة عليها منذ قرون ما قبل الميلاد.

فجزيرة جربة كانت عرضة لتعاقب الحضارات: اليونانيّة، والفينيقيّة، والرّومانيّة، ثمّ العربيّة، والإسلاميّة.

- الحضارة الإيجيّة :

أوّل حضارة عرفتها جزيرة جربة: هي الحضارة الإيجيّة (3000-6000 ق.م) فقد سبقت الحضارة الفينيقيّة، واليونانيّة، والإغريقيّة. وفاقت الحضارة المصريّة أيّام الفراعنة.

وأصحابها هم اللّوبيّون الأوّلون، السّاكنون بالصّحراء الكبرى. ولمّاكثر الجفاف بها، انتقلوا إلى شمال إفريقيا ،لاعتدال مناخها.

ومنذ ذلك العهد البعيد، أخذت جربة تتحضّر. وتنشط في المجال الاقتصادي، و الاجتماعي، والسّياسي. فقد عرفت غراسة شجر الزّيتون، وصناعة الفخّار، زمن الحضارة الإيجيّة.

ـ الحضارة الفينيقيّة:

لمّا جاء الفنيقيّون إلى الشّمال الإفريقي، أنشأوا مراكز لتجارتهم. وابتدأوا ببناء ميناء طرابلس. وجعلوا مراسي لسفنهم بجزيرة جربة التي اتّخذوها محطّة بين الشّمال والجنوب، والشّرق والغرب. كما كانت بضاعتهم تنقل بواسطة قوافل الإبل إلى بلاد السّودان، عبر الصّحراء العامرة في معظمها، ببقايا الحضارة الإيجيّة.
وكان الفينيقيّون يجوبون البحارلترويج تجارتهم. وصارت قواربهم تستعمر المرافىء، وتنشىء المستودعات التجاريّة التّي منها: طرابلس ،وجربة، وسوسة. وذلك حوالي عام 1000 ق م. وأصبحت تلك المراسي مع مرور الزّمن مدنا كالتي بشاطىء القنطرة، في خليج تاربلة. حيث لا تزال بعض الآثار مدفونة هناك.
وقد كانت المعاملات التّجاريّة رائجة بين الفينيقيّين والجربيّين في مجال تجارة: الصّوف، والحرير، والزّيت، والغلال، والفواكه، و الحبوب. وكثرت المحلاّت التّجاريّة بجربة التي أصبحت ذات عمارة، وحضارة تنافس مدينة بوغرارة في عهد الحضارة الفينيقيّة.

ـ الحضارة الرّومانيّة:

عرفت جزيرة جربة الرّومان، في الفترة الأولى، عند مرورهم بها أثناء الحرب الفينيقيّة الثّانية، سنة 217 ق م. وقد تنبّه هؤلاء، إثر استيلائهم على المغرب وتدمير قرطاجنّة سنة 146 ق م، إلى أهميّة هذه الجزيرة، وموقعها الإستراتيجي. فنزلت بها أساطيلهم. واستوطنوها. وكوّنوا فيها الضّيعات الزّراعيّة، والمراسي التجاريّة. وأنشأوا فيها مدنا على الشّواطىء ،وأخرى في الدّاخل:كمرسى تيبازا بحومة آجيم، ومدينة هاريبوس بحومة قلالة، ومدينة هنشير الغولة

بحومة بني معقل، ومدينة بورقو بحومة صدغيان. وقد امتدّت سيطرتهم قرابة ستّة قرون.
ومن منشآتهم الهامّة: جسر القنطرة، الرّابطة بين جزيرة جربة ومدينة جرجيس على مسافة 7 كلم. وهي الطّريق البرّيّة الوحيدة، للدّخول إلى جربة أو الخروج منها، بدون ركوب العائمات. وقد سمّيت بقنطرة: "النّصر". وشيّدت في عهد أنطونيس وفيروس. وهما ملكان من قياصرة الرّومان، وذلك في القرن الثالث للميلاد. ثمّ وقع ترميمها. وقد قطع وسطها، عند الوادي العميق، عدّة مرّات. آخرها أثناء الحروب الصليبيّة التي وقعت على جربة، مخافة دخول الأعداء منها. ووقع اصلاحها في عهد السّلطان أبي فارس عزّوز الحفصي. ثمّ أصلحت في عهد فرنسا. وزيد في عرضها.
وأوتي بالأتربة لردم البحر، من أنقاض مدينة "هارييوس" الواقعة غربيّ حومة قلالة. وبنيت حواشيها. فأصبحت طريقا واسعا معبّدا، صالحا لمرور مختلف أنواع السيّارات الغادية والرّائحة بين جربة وجرجيس. وجعل في وسطها، عند الوادي، منفذ للمياه من أجل تدافعها في حالتي: المدّ والجزر.

المدن الرّومانية بجربة

كانت جزيرة جربة، في العهد الرّوماني، وافرة الرّخاء، رائجة التّجارة، مكتظّة بالسكّان. وكانت بها عدّة مدن منها :

1- مدينة مينانكس :

- مكانها : شمال القنطرة .
- من آثارها: ميناء، وصهاريج لخزن المياه، وأعمدة رخاميّة تدلّ على وجود كنيسة، وحمامات، بها. فقد كانت مدينة واسعة العمران ومتطوّرة الصّناعة.

وقد وجدت بها أدوات ملوّنة. ممّا يدلّ على أنّ جربة عرفت الأصباغ في العهد الرّوماني. بعد أن كانت كلّ المصنوعات طبيعيّة، في العصور التّي سبقتهم.

وكانت مينانكس مركزا تجاريّا هامّا بين دول المتوسّط وجنوب الصّحراء.

2- مدينة هاريبوس :

- مكانها : غربي حومة قلالة، شمال البحيرة .
- من آثارها: مصنوعات فخّارية، وبقايا بناءات نقل أكثر أنقاضها لترميم القنطرة في العهد الفرنسي .

3- مدينة هنشير الغولة:

- مكانها: جنوب شرقي حومة سدويكش .
- من آثارها: أعمدة رخاميّة، وصخور منحوتة، أخذ معظمها للبناء .

4- مدينة بورقو:

- مكانها: شمال حومة تنازفت، بجهة صدغيان .
- من آثارها: دهليز مرتفع المساحة، له بابان: علويّ وسفلي. نحو مترين. فوقه إسطوانة ضخمة، مرتفعة نحو خمسة أمتار، ومبنيّة بالحجارة المنحوتة .

وهذه المدينة التي يعود بناؤها إلى القرن الأوّل قبل الميلاد كانت متّصلة بالبحر، لمّا كانت الجزيرة أضيق مساحة ممّا هي عليه اليوم.

5- مدينة تيبازا:

تيبازا كلمة فينيقيّة الأصل، تعني: الممرّ أو المعبر .
- مكانها : شرقي حومة آجيم، فوق ربوة " مرمش".
- من اثارها : بقايا بناءات متفرّقة.

6- مدينة بني ديغت:

- مكانها: بين حومتي تغديمس ووالغ .
- من آثارها: مسجد يسمّى بمسجد:" المدينة"، ودهليز وسط صخور منحوتة، إلى جانب حصن فوق ربوة.

7- مدينة كربة:

- مكانها : شمال حومة غيزن، فوق ربوة.
- من آثارها : قبور بونيّة، وحجارة منحوتة، وبناءات مطمورة: منها قاعة مجلّزة بالفسيفساء .

وكانت تمثل شبه جزيرة. أمّا الآن، فقد انحسرت عنها مياه البحر إلاّ من الشّمال.

وجربة تسمّت باسم هذه المدينة: "كربة". وقد أبدلت الكاف جيما: لكثرة التداول، وسرعة النّطق. وقد وجد الباحثون وثيقة بهذا الإسم"كربة" إثر الحفريات الأخيرة التي أجروها ببرج الغازي مصطفى.

8 - مدينة الحفصيّة :

- مكانها : جنوب حومة القشعبيّن، فوق ربوة.
- من آثارها: بناءات، وغيران وبقايا أسلحة حجريّة، وقذائف حديدية، وغيرها.

9- مدينة غرداية (1):

- مكانها: جنوب حومة بني معقل، وشرقي حومة سدويكش.
- من آثارها: صهاريج ، وبقايا رخاميّة، وقصر كان ملجأ لابن يخلف الذي انهزم إثر محاربة قائد الإمام يوسف بن محمّد بن أفلح التّندميري. وقد هرب ولد ابن يخلف منه. واستترعند رجل من زواغة ، يقال له : معقل المستاوي. فأدخله في قصر من قصوره يسمّى: "غرداية ". ولمّا حلّ بهم أبو منصور إلياس النّفوسي، سلّم إليه. فسجنه. وكانوا عندما تشكل عليهم مسألة من المسائل، يتوجّهون إليه بالسّؤال . فقال قولة جابر المأثورة : " أتحبسونني وتستفتونني".

---

(1) غرداية تطلق كذلك على عاصمة وادي ميزاب، بالجزائر.

- سكّان جربة -

عرف سكّان جزيرة جربة بانسجامهم وتضامنهم، في سائر الأحوال والمجالات. فقد استطاعوا أن يحتفظوا بوحدتهم. وأن يعزّزوها كلّما داهمتهم الأحداث والغازات الخارجيّة.

فقد كان تاريخ هذه المجموعة البشريّة نموذجا فريدا من نوعه، بحفاظها على خصائصها، ومميزاتها وتقاليدها، وأصالتها، مع مرور الزّمن وتعاقب الأحداث. فمن هم هؤلاء السّكان ؟.

-اللّوبيّون :

كان الإغريق يسمّون الشّمال الإفريقي باسم: ليبو. والاسم الصّحيح لهذه المنطقة هو: لوبيا - نسبة إلى لوبي بن كعنان بن حام بن نوح - عليه السّلام-. لذلك فإن سكانها يسمّون: اللّوبيّن. وإنّ هذا الاختلاف في النّطق راجع إلى أنّ حرف الواو في اللّغة الإغريقيّة ينطق قريبا من حرف الياء، في اللّغة العربيّة. ومع السّرعة في النّطق، وكثرة التّداول، صارت اللفظة: "ليبيا."

وقد سمّى الرّحّالة الإغريقي: هيرودوت(484-425 ق م)الخطّ الجغرافي الممتدّ من غرب مصر إلى المحيط الأطلسي باسم ليبيا: وأطلق على سكانه إسم :اللّبيّن تمييزا لمن جاورهم وراء خطّ الرّمال من الزّنوج.

ويعود استقرار اللوبيّن بجزيرة جربة،إلى عصور متقادمة ،لا تقلّ عن ثلاثين قرنا قبل الميلاد.

- الأمازيغ :

سكن جزيرة جربة منذ عصور ما قبل التّاريخ ،عنصرالأمازيغ نسبة الى لغتهم الأمازيغية : " أمازيغن" : الجمع "وتمازيغت" المفرد. وهم السكان الأصليّون. وتسمّى لغتهم :" تمزيغت" أو "الشلحة" كما هو متداول. ومعنى كلمة الأمازيغ : الأحرار، والأشراف. فهم يعتزّون بهذا الاسم.

قال السلاوي(1):" قدم على عمرو بن العاص، بمصر، ستّة أنفار من سكّان المغرب. فقال لهم عمرو: ما جاء بكم ؟ فقالوا : رغبنا في الإسلام، فجئنا له . فوجّههم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولمّا قدموا إليه، وهم لا يعرفون العربيّة، كلّمهم الترجمان على لسان الخليفة عمر، سائلا: من أنتم؟. فقالوا نحن أبناء مازيغ . فقال لهم : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلّم يوم حنين: "ياعمر، لا تحزن. إنّ الله سيعزّ هذا الدّين بقوم من المغرب". فالحمد لله الذي منّ عليّ برؤيتكم. ثمّ أكرمهم وقدّمهم على سواهم من الجيوش القادمة إليه . وكتب إلى عمرو بن العاص ليجعلهم في مقدّمة المسلمين.

وإن سكّان قلالة وسدويكش من أصل أمازيغي. وعائلات المزابي، وزكري، وبكير، من وادي ميزاب. وإنّهم لا يزالون محافظين على اللّغة الأمازيغيّة التي من خصائصها:

- الكلمات المؤنثة تبدأ و تنتهي بحرف التاء : مثال كلمة "تازمورت" التي تعني زيتونة وكلمة " تاقلة" التي تعني نخلة. وكلمة "تفويت" التي تعني الشّمس. وكلمة "تادرت" التي تعني المنزل. وكلمة "تاقمرت" التي تعني الفرس.

- الإسم المذكّر في اللّغة الأمازيغيّة يبدأ ب:" أ" أو "إ" أو"أ" مثلا: " أبريد : الطريق إدجاق: الرّعد. أرسمان: البرق

- الكلمة الأمازيّغية تبدأ بالسّاكن. وفيها تتابع للسّواكن مثلا " تفويت": الشّمس وتوكسي: الحرارة.

المثنى في الأمازيغيّة مركّب من كلمتين .

-أمّا الأرقام فتنطق كالآتي: واحد: إيجن – إثنان: تين – ثلاثة: شارد. أربعة: شاردإين- إيجن: خمسة: أفوس: ستّة -أفوس إين إيجن - سبعة :أفوس إين تين. - ثمانية: افوس أين شارد.- تسعة: أفوس إين إيجن عشرة : أكرادش.

---

(1) محمّد علي دبّوز. تاريخ المغرب الكبير. ج2.ص 7.

- كلمة بربر -

لقد تواطأ المؤرّخون(1): الرّومان والعرب، والأوروبيّون، على تسميّة سكان شمال إفريقيا بكلمة هجينة تعبّر عن مرحلة بدائيّة من التّنظيم الاجتماعي . هي كلمة «بربر". وإنّنا نفضّل تسميتهم بما سمّوا به أنفسهم أي: بالأمازيغ.

وهي كلمة أطلقها بعض الحاكمين، تكبّرا على غيرهم من المحكومين واحتقارا لهم. فوصفوهم بالهمجيّة والوحشيّة . وقد ظهر هذا الاحتقار قديما عند فراعنة مصر، لمّا وصفوا الملوك الآسيويين بأنهم رعاة متبربرون. وأطلقوا عليهم كلمة "هكسوس " أي: الرّعاة، البدويّين. وزادوا على ذلك بأن وصفوهم بالبرابرة، لأنّهم غزوهم واستولوا على مصر وحكموها(1657 ق م –1601م)

كما اعتبر الرّومان الوندال برابرة متوحشيّن لمّا غلبوهم. وانتزعوا منهم المغرب وأروبا ونسوا توحّشهم وهمجيّتهم، وفضائحهم التي ارتكبوها مع الفينيقيّين لمّا خرّبوا مدينة قرطاجنّة سنة 146 ق م. وقد دارت حروب أهليّة بين الرّومانين أنفسهم . وأصبحت الجثث ملقاة في شوارع المدينة آكاما تشهد على ظلم القادة وقتلهم للنّاس، بغير شفقة. ونهبهم للأموال والأراضي، دون مراعاة لحقوق الإنسانيّة .

والرّومان هم أوّل من أطلق هذة الكلمة على الذين لا يمتون إليهم بقرابة أو نسب، لذمّهم بهذا الاسم. ويقصدون به الشّعوب الغير متحضّرة، بحضارتهم الإباحيّة .

ولمّا كانت للعرب علاقة بالرّومان، والبيزنطيّين، عرفوا هذه الكلمة بمعناها التي عرفته به روما.

تلك هي كلمة "بربر" المزعومة التي اشتهرت عند المؤرّخين، رغم أنّ شهرة الألفاظ لا تدلّ دائما على صحّة معناها.

---

(1) لقبال موسى : المغرب الإسلاميّ.ص15

القبائل الأمازيغية التّي سكن بعضها جربة

1- قبيلة لواتة :

تنسب قبيلة لواتة إلى لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك . وكانوا إذا أرادوا العموم في الجمع، زادوا حرف التّاء. فقالوا: لوات. ولمّا عرّب العرب هذه الكلمة، حملوها على الافراد وألحقوا بها الهاء. فأصبحت لواتة .

وهذه القبيلة التي كانت تقطن بمدينة برقة، شرقي طرابلس، هي الأولى التي قصدها، في أواخر القرن الأوّل للهجرة، الدّاعية: سلمة بن سعد البصري، القادم من العراق، يدعو إلى نشر مبادىء المذهب الإباضي، وتكوين إمامة عادلة تحكم بما أنزل الله قبل أن ينتقل إلى القيروان، لترسيخ قدم الإسلام في جهات إفريّقية.

- ومن علمائها: الشّيخ عمر بن مكتن اللّواتي الإباضي، وهو أوّل من حفظ القرآن الكريم بالشّمال الإفريقيّ من أفواه القبائل القادمة من الشّرق. وقدعيّنه الإمام أبو الخطاب عبد الأعلى المعارفي والياعلى سرت.

ومن بطون لواته: بنو مكي: أمراء قابس وما جاورها.

وبعض سكان حومة صدغيان أصلهم من هذه القبيلة.

- ومن آثارهم بها: مسجد بني داود الذي يسمّى: "محراب لواته". ويعود بناؤه إلى القرن الرّابع للهجرة .

وقد أقمت فيه مجلسا علميّا أسبوعيّا طيلة 30 سنة(1950-1980م).

2- قبيلة هوّارة:

تنسب قبيلة هوّارة إلى هوّار بن أوريغ. وهم من البرانس.
وكانت تقطن غربي سرت. والعاصمة: لبدة دليل على الدّرجة العظيمة التي كانت عليها.
وقد انتقل بعض بطونها إلى جزيرة جربة. وإليهم تنسب عائلة الهوّاري بحومة مزراية. ولهم مسجد هناك "مسجد الهوّاري". ومنهم كذلك أسرة "هقار". كما سكن بعضهم غربي الحارة الكبيرة. وبنوا فيها مسجد "تاورغت". ومن آثاره الماجل الذي يوجد بسانية الرّايس.

3- قبيلة نفوسة :

تنسب قبيلة نفوسة إلى نفوس بن زحيك بن مادغيس. وهم من البتر .
وكانت تقطن بمدينة طرابلس، وما جاورها. وبالجبل الذي يسمّى باسمهم:" جبل نفوسة" إلى الآن. وهي من أشهر القبائل في العلم والفروسيّة.
- ومن رجالاتهم: الإمام إسماعيل بن زياد النّفوسي الذي خلف عبد الجبّار والحارث المستولي على مدينة قابس في أواخر الدّولة الأمويّة. ثمّ خلفه الإمام أبو الخطّاب عبد الأعلى المعارفي سنة 140 هـ/757م .
وقد انتقل أكثر أبناء هذه القبيلة إلى جزيرة جربة. فأكثر عائلات حومة غيزن أصلها من نفوسة. وكذلك عائلة ابن تنفوست التي تسكن بميدون، منهم. كما أنّ عائلات: الشمّاخي، والباروني، والجادوي، والفسّاطوي، والطّمزيني، والبعطور، والجريجني، والكباوي ، و النّالوتي، والنّفوسي، من جبل نفوسة.

4- قبيلة زواغة:

زواغة قبيلة بتريّة. لها ثلاثة بطون : دمّر بن زواغ، بنو وطيل بن زحيك بن زواغ ، وبنوماجر بن تيفون بن زواغ .
وكانت تقطن بنواحي مدينة صبراتة .
وقد احتمى بها الطيّب بن خلف بن السّمح بن الإمام أبي الخطّاب عبد الأعلى المعارفي: إمام الإباضيّة بطرابلس(140-144هـ).
وكان دخول بعض بطون هذه القبيلة إلى جزيرة جربة ، في أواسط القرن الأوّل للهجرة. وأكثر سكّان حومة بني معقل منهم. وكذلك حومة بدوين. وبقربهما سوق يسمّى" سوق زواغة" .
- ومن علمائها :الشّيخ يعيش بن موسى الزّواغي، والشّيخ أبو مجبر توزين الزّواغي (ق5هـ /11م): وهو من مؤلفي ديوان العزّابة بغار مجماج.

5- قبيلة كتامة:

تنسب قبيلة كتامة إلى جدّها كتام. وقد نصر بعض بطونها العبيديّين ضدّ الأغالبة سنة 296 هـ .
وبعضهم انتقل إلى جزيرة جربة وسكنوا بحومتي: صدغيان وسدويكش، منذ القرن الثالث للهجرة .
- ومن علمائها :الشّيخ عبد الله السّدويكشي الذي بلغ اليمن. وتوفّي بمكّة المكرّمة ودفن بمقبرة المعلى، بالحرم المكّي- رحمه الله-.

6- قبيلة زنّاتة :

كان الملك والسّلطان في المغرب الأوسط، قبل الفتح الإسلامي وبعده، لقبيلة زناتة. وكان موطنها غربي طرابلس. وكانت مدينة وارجلان: عاصمة الصّحراء أنذاك، تابعة لها .
ومن زنّاتة: بنو يفرن بجبل نفوسة. ومنهم يزيد بن فندين الذي خرج على الإمام عبد الوهّاب الرّستمي سنة 172هـ/788م .
وقد سكن بعض بطون هذه القبيلة، جزيرة جربة. ومنهم: أولاد بن يغلان، والبوزيري، وغيرهم .

7- قبيلة لماية :

ترجع قبيلة لماية في نسبها، إلى قبيلة بني فاتن المنحدرة من فاتن بن تمصيت بن دارس بن زحليق بن مدغيس الأبتر .
وقد حملت المذهب الإباضي .ونشرته في نواحي شمال إفريقيّة، منذ القرن الثاني للهجرة. وأسّست ثلاث إمارات شرعيّة بطرابلس. آخرها سنة 144هـ/761م، ثمّ أسّست إمامة تيهرت الرّستمية سنة 160هـ/776م.
وقد سكن بعض بطونها جزيرة جربة. ولا يزال إسم هذه القبيلة مسمّى لأحد مناطقها، ألا وهي: حومة الماي. كما أنّ بعض سكان حومة ريّانة منهم .
وأمّا في خصوص مايراه بعض المؤرّخين، من أنّ جزيرة جربة يرجع إسمها إلى فرع من قبيلة لماية، فإنّه من المستبعد لأنّ اسم جربة معروف قبل الإسلام ووجود مدينة أثريّة بها تسمّى:" كربة " بحومة غيزن، دليل على ذلك. إذ باسمها تسمّت. فآثار هذه المدينة يعود إلى الحضارة البونيّة، أي إلى القرون الأولى لما قبل التّاريخ. وقد وجد الباحثون وثيقة بذلك الاسم إثر الحفريّات الأخيرة التي أجروها ببرج الغازي المصطفى.

الجالية اليهوديّة بجربة

لقد لجأ اليهود إلى الشّمال الإفريقي ،على ثلاث دفعات :
- الدّفعة الأولى: في العهد الرّوماني، لمّا اضطهدوا. ومنهم طائفة قدمت إلى جزيرة جربة، بعد غارة بختنصر البابلي على بيت المقدس: مقام سيّدنا سليمان، سنة 587 ق م. وسكنوا بالحارة - أي الحيّ- الصّغيرة. مكان إقامتهم الأوّل بحومة بني ديغت - الرّياض حاليا. وبنوا بيعتهم :"الغريبة"هناك.
ويقال أنّه لمّا هجم عليهم الملك بختنصر، هدم هيكل سيّدنا سليمان، بالقدس وإنّ الطّائفة التي لجأت إلى جربة، جلبت معها قطعة من هذا الهيكل. ووضعتها في أساس هذه البيعة. وإضافة إلى هذه القطعة، توجد بمعلم "الغريبة " نسخة من التوارة من أقدم النّسخ في العالم .
ويهود جربة يتمتّعون بحريّتهم الدينيّة. وهم متعلّقون بالتوراة: الكتاب المقدّس المنزّل على سيّدنا موسى عليه السّلام. ولا يزالون محافظين على تقاليدهم الخاصّة في اللّباس، وغيره.

- والدّفعة الثانية من الهجرة اليهوديّة إلى شمال إفريقيا، كانت من الأندلس نتيجة الاضطهاد المسيحي الكاثوليكي، في القرن السّابع للهجرة. فإثر سقوط الأندلس، تعرّض يهود إسبانيا إلى الطّرد. فانتقل بعضهم إلى جربة وسكنوا بالحارة الكبيرة: مكان إقامتهم الثاني بالجزيرة .

- أمّا الدّفعة الثالثة: فقد كانت في العهد التركي العثماني. ثمّ تزايد عدد اليهود بجربة. حيث وجدوا بها الأمن والأمان . فقد تعامل سكّان الجزيرة مع اليهود، وكذلك المسيحيّين، حسب أصولهم السّمحة. و إنّ بيعتهم " الغريبة " التي لا تزال على حالها، منذ عدّة قرون لخير دليل على ذلك.

وإنّ تعايش مختلف العناصر بجربة من: يهود، ومسيحيّين، ومسلمين، يعود إلى روح التّسامح العالية لدى الجربيّين، وتفتّحهم على الحضارات الأخرى.

الفتح الإسلاميّ لجربة

تمهيد:

إنّ الفتح الإسلاميّ: هو فتح مبادىء، ومثل عليا. إذ لم تكن الحرب، في الإسلام إلاّ آخر الحلول. فكانت تعاليم الإسلام تنصّ على ثلاثة مبادئ:

- أوّلها: الإسلام، ثانيها: الجزية، وثالثها: الحرب.

فكان الجنود المسلمون يحملون: المصحف أوّلا، والسّيف ثانيا. وكانوا دعاة بالدّرجة الأولى. وهكذا كانت الدّعوة الإسلامية تسير جنبا إلى جنب مع الفتح الإسلامي. يحملها قادة يريدون أن تكون كلمة الله هي العليا

ولقد لقي الفاتحون لجزيرة جربة الموافقة التامّة، والدّخول المباشر في الإسلام. فكيف تمّ ذلك ؟.

التفكير في الفتح أيّام الخليفة عمر- رضي الله عنه-:

بعد أن فتح عمرو بن العاص مصر والإسكندريّة سنة 20 هـ/640 م، واصل فتوحه إلى برقة وطرابلس، ثم صبرة. ففتحها سنة 23هـ/643م. ولم يبق من المدن التّابعة لإقليم طرابلس غير جربة، وجرجيس، وقابس المحتصّنة من طرف جريجريوس –جرجير– في المصادر العربيّة.

وقد فكر القائد عمرو في التقدّم إليها. لكنّ الخليفة عمر- رضي الله عنه- لم يوافقه لأنّه خشي أن تتهوّر الجيوش الإسلاميّة في بلاد المغرب البعيدة. أو أن تخرج عن رقابته. كما أنّ أحوال مصر الدّاخلية كانت تتطلّب عودة عمرو سريعا، إلى الفسطاط. لأنّ الرّوم يريدون نكث العهد، ونقض ما كان بينهم وبينه.

وبعد عودته بقليل، كانت وفاة الخليفة عمر- رضي الله عنه- سنة 23هـ/ 643م.

فتح الجزيرة

لقد تعطّلت الفتوحات الإسلاميّة مدّة 17 سنة (28 - 45هـ/ 648/665م) نتيجة الفتن الأربعة: الدّار، والجمل، وصفّين، والنّهروان.
و ظلّ الهاشميّون والأمويّون يتحاربون على الخلافة، لتكون من نصيب الإمام عليّ بن أبي طالب.
ولمّا تمّت الغلبة لهذا الأخير، وآل له الملك ، بعث معاوية بن أبي سفيان بن حديج السّكوني الكندي سنة 45هـ/666م، في عشرة آلاف جنديّ، إلى إفريقيّة ليفتحها.

ولابن حديج ثلاث كرّات في فتح المغرب :

- الأولى: وقعت سنة 34هـ/654م، في أواخر أيّام الخليفةعثمان بن عفّان.
- والثانية: في أوّل عهد معاوية بن أبي سفيان (40-60هـ/661-681م).
- والثالثة: سنة 45هـ - 665 م.

وفي هذه الغزوة الأخيرة ،سارمعاوية بن حديج حتّى وصل طرابلس. ففتحها سنة 46هـ/667م ونصّب الصّحابي: رويفع بن ثابت الأنصاري واليا عليها.
ثمّ سارهذا الصّحابي رويفع صحبة حنش الصّنعاني وفضالة بن عبيد، إلى جزيرة جربة، ففتحها سنة 47هـ/668م.
وألقى على جيشه الفاتح خطبته المشهورة التي تركت الأثر القويّ في أهلها. حيث قال :
" شهدت فتح خيبر مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فسمعته يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يبيع مغنما حتّى يقسم. ولا يركب

دابّة من فيء المسلمين، حتّى إذا أعجفها، ردّها فيه. ولا يلبس ثوبا من فيء المسلمين، حتّى إذا أخلقه ردّه فيه".

وقد طبّق الفاتح رويفع، في جزيرة جربة ما اختاره الرّسول صلى الله عليه وسلمّ لمّا فتح خيبر فضمن ملكيّة الأرض لأصحابها . وفرض عليهم الخراج.

أمّا الطّريق التي سلكها الصّحابي رويفع لدخول الجزيرة، فنرجّح أن تكون برّيّة، من الجهة الجنوبيّة :أي ما يقابل جهة القنطرة ،حيث توجد مدينة " مينانكس " لأنّنا نستبعد توفر أسطول ضخم لحمل الجيش الكافي، عن طريق البحر. ولأنّ المسلمين لا يزالون حديثي العهد بطرابلس.

-التعريف بمعاوية بن حديج:

هو معاوية بن حديج السّكوني الكندي. يكنى أبا نعيم. وقيل أبا عبد الرّحمان. وأمّه الشاعرة كبشة بنت معدي كرب. وكان صغيرا على عهد الرّسول صلّى الله عليه وسلمّ. هاجر إلى الخليفة أبي بكر الصدّيق- رضي الله عنه- ووفد على الخليفة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-. شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص، وفتح النّوبة تحت لواء عبد الله بن أبي سرح.

لقد بقي مواليا للخليفة: عثمان بن عفّان، في فترة المحنة. واستقرّ له الأمر بخربتا، من كور مصر، قرب الإسكندريّة زمن تولية قيس بن سعد الأنصاري على مصر من قبل الخليفة عليّ بن أبي طالب.

وفي سنة 50هـ/670 م، أقرّه معاوية بن أبي سفيان على مصر. وعزله عنها سنة 51هـ/671م وبها توفّي سنة 52هـ/672م- رحمه الله-.

-التّعريف برويفع بن ثابت الأنصاري :

هو الصّحابيّ الجليل رويفع بن ثابت بن سكن بن عدي بن حارثة الأنصاريّ: فاتح جزيرة جربة. روى عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وروى عنه جماعة من التّابعين. شهد معارك كثيرة برّيّة، وبحريّة، تحت لواء عمرو بن العاص لفتح مصر، وبرقة، وبلاد النّوبة سنة 21هـ/641م. كما شهد المعارك التي خاضها عبد الله بن أبي سرح لفتح إفريقيّة بسبيطلة، سنة 27هـ/647م، ومعاوية بن حديج لفتح المغرب، سنة 45هـ/666م. فقد قضى حياته مرافقا للفتح الإسلاميّ من أرض الجزيرة العربية إلى الشّام، وإلى المغرب العربيّ. ثمّ نصّب واليا على برقة، من قبل مسلمة بن مخلّد سنة 53هـ/674م وبها يوجد ضريحه، بمدينة البيضاء، في الجبل الأخضرفي ليبيا . - رحمه الله-.

- التّعريف بحنش الصّنعاني وفضالة الأنصاري :

التّابعي حنش بن عبد الله الصّنعاني دخل مع الصّحابي رويفع بن ثابت الأنصاري إفريقيّة. وحضر معه فتح جزيرة جربة. وروى خطبته المشهورة هناك. وغزا بعد ذلك الأندلس مع موسى بن نصير. ثمّ سكن القيروان. واختطّ بها دارا، ومسجدا ينسب إليه، إلى الآن. وبها توفّي سنة 100هـ/718م.

وضريحه ملاصق لأبي زمعة البلوي المعروف" بسيدي الصّحبي ".

والصّحابي فضالة بن عبيد بن ناقد بن قيس الأنصاري الأوسي له في الصّحيحين خمسون حديثا. وهو ممّن بايع تحت الشّجرة. وشهد أحدا، وفتح الشّام، ومصر. وولي بها القضاء. ثمّ ولاه معاوية بن أبي سفيان قضاء دمشق. وبها توفّي سنة 53هـ/674م - رحمه الله-.

قبول أهل جربة للإسلام

كان موقف سكان جربة من الفتح الإسلامي موقفا مسالما لا عنف فيه. فقد دخلوا في دين الله وأيّدوه من أوّل الأمر.لأنّهم رأوا أنّه خير دين ينتشلهم من أدناس الجاهليّة، واستعباد الرّومان، وظلم البيزنطيّين المتمثل في خنقهم للحرّيات والاكثار من الضّرائب، والميل إلى أبناء جلدة الأمبراطور. فقد كانوا يتطلّعون إلى اليوم الذي تطأ فيه أقدام الفاتحين أرضهم ليخلّصوهم من الكابوس الثقيل الذي يعيشونه. فكان في وسع الجماعة الإسلاميّة أن تنزل في نفوسهم منزلا قويّا. وأن تساعدهم على اخراج الرّوم من جزيرتهم .

فقد كان الجّربيون ذالون واحد :أسلموا. وبقوا على إسلامهم. فقد دخل الإسلام جربة، ولم يخرج منها. فلم يثبت تاريخيّا أنّها، بعد أن تشرّفت بالدّين الحنيف واطمأنّت بمبادئه وتعاليمه ، ارتدّت عنه كما وقع في بعض الجهات من إفريقيّة، حيث لم يثبت الإسلام لأنّ أصحاب الدّعوة الإسلاميّة لم يقوموا بها على وجه الاقناع، والبيان. فقد كان همّهم الأكبرالحصول على الغنائم والتقرّب إلى الملوك. وقد اعتنق سكّان جزيرة جربة وأغلب الشّمال الإفريقيّ مبادئ الإباضيّة العادلة التي جاء بها الدّاعية سلمة بن سعد(96هـ/714م). هذه المبادئ المرتكزة على أسس صحيحة من القرآن والسّنّة .

و الإباضية نسبة إلى الإمام عبد الله بن إباض تلميذ التّابعي جابر بن زيد، أصله من بني مرّة بن عبيد بن تميم. وكانت له مراسلات مع عبد الملك بن مروان (86هـ/705م)اعتبرها المؤرّخون بمثابة دستور للمذهب الإباضيّ .

وقد ظهرت هذه التّسمية زمن الأمويّين، تميّزا لهم عن الفرق الأخرى. ففي زمن الرّسول محمّد صلّى الله عليه وسلّم، كان المسلمون على رأي واحد، تحت راية الإسلام: دين الإنسانيّة جمعاء.

فهو دين عالميّ، صالح لكلّ النّاس، في كلّ زمان ومكان. ولكنّهم تفرّقوا رغم أنّه أوصاهم بالعمل: بكتاب الله وسنّته .
وقد اتّبع الإباضيّة الصّحابة - رضي الله عنهم - . واقتدوا بالسّلف الصّالح. فكانوا خير خلف، لخير سلف. وما السّلسلة الذّهبيّة لأئمّتهم، المتواترة طبقة بعد طبقة، من زمن الرّسول عليه الصّلاة والسّلام،إلى زماننا الحاضر، إلاّ دليل على ذلك .
وإنّ إمامهم أبو الشعثاء جابر بن زيد (18-93 هـ) من التابعين. وهو تلميذ الإمام عبد الله بن عبّاس: ابن عمّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم. وقد حوى ما عند الصّحابة من العلم، إلاّ أستاذه. حيث قال :" اجتمعت بسبعين رجلا من الصّحابة. فحويت ماعندهم من العلم ،إلاّ البحر". يعني ابن عبّاس. وذلك لغزارة علمه .
قال أنس بن مالك: خادم الرّسول عليه السّلام:" مات أعلم من على ظهر الأرض"، عندما سمع بوفاته - رحمه الله- .
وإلى جانب الإمام عبد الله بن إباض، والإمام جابر بن زيد، نذكر الإمام أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة التّميمي: أستاذ حملة العلم الخمسة إلى المغرب.

وتتميّز عن الفرق الأخرى، ببعض النّقاط منها :

- **إنّ الصفات الالهيّة** : هي عين ذاتها، نفيا لتعدّد القدماء.
- **إنّ رؤية الله تعالى:** غير ممكنة دنيا واخرة ، تفيا للتحيّز .
- **إنّ القرآن:** مخلوق، محدث.
- **إنّ عصاة المؤمنين** : كفّار، كفر نعمة ،لا كفر شرك .
- **إنّ الإيمان**: قول، وتصديق، وعمل.
- **إنّ الشفاعة** : لا ينالها إلاّ من تاب إلى الله ، توبة نصوحة.

كما أنّ الإباضيّة الوهبيّة تتميّز عن النّكار: الخلفيّة ومستاوة، بما يلي :
- الخلفيّة : أتباع خلف بن السّمح بن أبي الخطّاب عبد الأعلى المعارفي، الذين أرادوا مبايعة خلف، بعد موت والده، رغم أمره من طرف الإمام عبد الوهّاب بالتّخلي عنّ الولاية.
- مستاوة : أتباع عبد الله بن يزيد الفزّاري، البصري .
وبسبب انكار الخلفيّة، ومستاوة امامة عبد الوهّاب الرّستمي الذي كانت مبايعته من أكثريّة النّاس ، سمّوا: نكّارا . فأراد بعضهم أن يشتهروا بما ينافي هذا الإسم، فسمّوا: محبوبين . واشتهروا بذلك إلى الآن. وسمّيت الجهة التي يسكنونها: بحومة المحبوبيّين.
وبعد أن بايع النّاس الإمام عبد الوهّاب بن رستم سنة 171 هـ /787م، وقف يزيد بن فندين اليفرني، وقال :
" إنّا نقدّم لك بيعتنا يا عبد الوهّاب، على شرط واحد: وهو أن لا تقطع أمرا دون اتّفاق جماعة معلومة معك، عليه ".
وإنّما قال ذلك لأنّه فاتته الإمامة . فهو يرى أنّه أولى بها. حيث قال فيمن ولاّهم الإمام عبد الوهّاب :
- " إنّهم ليسوا بأحسن منّا سيرة. ولا أقوى منّا اقتدارا على أشغال الدّولة، وتدبير أمر الرّعيّة. بل نحن أولى بالتّقديم ".
وقد ارتكز ابن فندين وأتباعه في دعواهم بطلان صحّة الإمامة لعبد الوهّاب على مستندين إثنين :
1- لا تصّح إمامة المفضول مع وجود الأفضل.
2- تصّح الإمامة بشروط إذا شرطها النّاس عند البيعة، وتسقط لمخالفة تلك الشروط.
وتميّزا عن النكار، سميّ أتباع الإمام عبد الوهّاب الرّستمي: بالوهبيّة.
وموطن الوهبيّة :الجهة الشماليّة -الغربيّة لجربـــة بحوم : صدغيان، ووالغ، وغيزن، ومزراية، وقلالة وآجيم ، وسدويكش، وغيرها.
أمّا النّكار فموطنهم: بالجهة الجنوبيّة – الشرقيّة للجزيرة بحوم: ميدون، وبني معقل، والمحبوبيّين وغيرها.

الاستقلال الدّاخلي لجربة بعد الفتح

كانت جزيرة جربة، إثر اعتناق أهلها للإسلام، مستقلّة استقلالا داخليّا لاستقرار الدّين الحنيف فيها، من أوّل فتحها .

ولم يثبت أنّ فاتحها رويفعا ترك بها من جنده أحدا ، وإنّما أوكل أمرها إلى أهلها، بعد أن وثق من حسن إسلامهم وطيب نواياهم .

وإنّها لم تكن تابعة للقيروان ،لأنّ ولاة هذه الأخيرة كانوا في شغل عنها بسبب الفتن، والثورات، وعدم استقرار الحالة السّياسيّة في البلاد. إذ أنّ غزو عقبة كان غير منظّم. فلمّا وصل إلى مدينة طنجة، قال له أميرها:

" قد تركت الرّوم وراء ظهرك".

فقد ترك مدينة قرطاجنّة. وهي عشّ الرّوم وعاصمتهم. لذلك أخذوا عليه خطّ الرّجعة.

كما أنّ جربة لم تكن خاضعة للدّولة الأمويّة،لأنّ عمّالها لم تكن لهم سياسة ثابتة. فقد تنازع الولاة عن الحكم. وثار عليهم رعاياهم،لأنّهم حادوا عن الطّريق التي رسمها الله، في دستوره العظيم، لتنظيم الدّول و اسعاد الشّعوب .

ولم تشترك الجزيرة في الثورات التي كانت تقع أنذاك، بل حافظت على الحياد. فعاشت في ظلّ الإسلام: حرّة سعيدة، دون أن تخضع لأهواء الولاة التي تفرضها غطرسة الحكام الغير ملتزمين بأحكام الله. وقد ذاق سكان جربة حلاوة الاستقلال، في ظلّ الإسلام، منذ أن امتزج الإيمان بدمائهم. فاستقامت أحوالهم واعتزّوا بدينهم .

جربة في عهد أئمة طرابلس وتيهرت

تمهيد:

وجد سكان جربة أنفسهم، وهم يعيشون في ظلّ الإسلام مرتاحين من عنف الكفار وطغيان المستعمرين. فقد حافظوا على الدّين الحنيف ،بفضل مشائخهم الحريصين على تطبيقه. ممّا يسّر حياتهم اليوميّة .
وكان عهد جربة زمن حكام طرابلس، ونفوسة، وتيهرت، شبيها بعهود الاستقلال. إذ كانت تتمتّع بجميع المزايا التي يكفلها نظام الحكم الإسلامي حين يقام لأمّة مسلمة. فقد صان الإسلام دماء سكانها، وأموالهم، وأعراضهم، وأتاح لهم من فرص الحياة الكريمة ما يسّر لهم أن يعيشوا أ حرارا سعداء.

عهد أئمّة طرابلس

1- إمامة عبد الله بن مسعود التّجيبي :

الإمام عبد الله بن مسعود التّجيبي: رشّحه السكان للإمامة سنة 122 هـ /740م وذلك لعلمه، وتقواه، وقوّة شخصيّته، وحسن تدبيره. ولقد امتدّ نفوذه من سرت إلى نفوسة، إلى طرابلس .
وكان والي العبّاسيّين غير راض على هذا الصّنيع. فبعث أخاه إلياس مع قوّة عسكريّة كبرى، لمنع الإباضيّة من المحافظة على إمامتهم العادلة، ظنّا منه أنّهم من الضّعفاء، بحيث إذا عزل إمامهم سيفشلون. ولكنّهم اغتاظوا من هذا الاعتداء الغاشم. وبايعوا أبا الحارث بن تليد الحضرمي إماما عليهم. فطهّر طرابلس، وما حواليها، من الظّلم والطّغيان.

2-إمامة الحارث بن تليد الحضرمي(ت 131هـ/748م) :

الحارث بن تليد الحضرمي وقاضيه عبد الجبّار بن قيس المرادي كانا من جنود القائد أبي حمزة المختار بن عوف الذي أرسله الإمام طالب الحقّ عبد الله بن يحي الكندي لفتح مكة والمدينة .

وقد بايعت قبائل هوّارة، ونفوسة، وزنّاتة، ولماية، الإمام الحارث والتفّت حوله فنظّم شؤونها. ورتّب أمورها. وساسها بالعدل، والدّين. فتنفّست طرابلس الصّعداء. وزال عنها كابوس الظّلم، والجبروت.

ولم يرض عبد الرّحمان بن حبيب الفهري بهذه العدالة. وقرّر استخدام العنف فيما لم تنجح فيه السّياسة. فسيّر من القيروان إلى طرابلس، قوّة عسكريّة بقيادة محمّد بن مفروق. وكتب إلى يزيد بن صفوان بالمسير معه ضدّ الإمام الحارث. ولكنّ هذا الأخير انتصر على هذه الجيوش، في أرض هوّارة .

وجرحت هذه الهزيمة كبرياء ابن حبيب وطأطأت رأسه. فحشد أقوى جيوشه، تحت قيادة أبرع قوّاده عمر بن عثمان. ولكنّه انهزم ثانية، بأرض زنّاتة.

ثمّ قام عبد الرّحمان بمحاولة ثالثة، بقيادة مجاهد بن مسلم. ولكنّه اضطرّ إلى الهروب عبر الصّحراء ويئس من القضاء على إمامة الحارث.

وكان الإمام الحارث، وقاضيه عبد الجبّار يتّبعان سيرة الخلفاء الرّاشدين، في الاختلاط بالنّاس، والاطّلاع على أمورهم. وكانا يجلسان بين الصّلوات في المسجد، لالقاء الدّروس، وتعليم النّاس دينهم. كما كانت الشكاوى والمظالم ترفع إليهما. فيحكمان فيها بحكم الله. ويصلحان بين المتخاصمين. وكانت لهما دار للنّدوة يستقبلان فيها كلّ من أراد ملاقاتهما. فقد كانا على سماحة تامّة - رحمهما الله-.

3-إمامة اسماعيل بن زياد النّفوسي(ت 140 هـ /757م):

بويع إسماعيل بن زياد النّفوسي بعد الإمام الحارث بن تليد الحضرمي. وعرفت إمامته توسّعا. حيث امتدّ نفوذه إلى مدينة قابس التي دخلها سنة 132 هـ /750م. ولكنّ مكيدة عبد الرّحمان بن حبيب باغتته فاستشهد. - رحمه الله- وبايع الإباضيّة أبا الخطّاب عبد الأعلى بن السّمح المعارفي إماما عليهم.

4- إمامة أبي الخطّاب(140-144 هـ /757-761م):

التفّ سكّان طرابلس حول الإمام أبي الخطّاب عبد الأعلى بن السّمح المعارفي: تلميذ الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التّميمي إمام الإباضية بالبصرة، بعد الإمام جابر بن زيد و انظمّوا تحت لوائه. وعاهدوه على المناصرة. فنظّم دولتهم. ونعموا بالعدل والمساواة .
وفي سنة 141 هـ /758م، بسط نفوذه على مدينة قابس. وجعل عليها عاملا، ثمّ على مدينة القيروان. وعيّن عليها عبد الرّحمان بن رستم. وامتدّ سلطانه شرقا إلى برقة، وجنوبا إلى فزّان.
وفي سنة 144 هـ /761م أرسل الخليفة العبّاسي أبو جعفر المنصور (ت158 هـ/774م) جيشا بقيادة محمّد بن الأشعب الخزاعي بعدّ أربعين ألفا، إلى الإمام أبي الخطّاب الذي استشهد في تاورغا. حيث كان راجعا إلى طرابلس. وتقدّم ابن الأشعث إلى القيروان. فاحتلّها.

5-إمامة يعقوب بن حبيب الملزوزي النفوسي (145-155 هـ/761-771م) :

بعد استشهاد الإمام أبي الخطّاب عبد الأعلى بن السّمح، اجتمع أصحاب الشّهامة والكرامة، ليبحثوا موقفهم، وموقف الأمّة من الطّغاة الظالمين. وقدّموا عليهم أبا حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي - نسبة إلى قبيلة ملزوزة البتريّة. وبايعوه على أن يعمل بكتاب الله، وسنّة رسوله، وهدي السّلف الصّالح. فقبل. واستعدّ للكفاح.

وما إن سمع الوالي العبّاسي بهذا الحدث، حتّى بعث جيشه للقضاء على هذه الإمامة، ومحاربة أبي حاتم. ولكنّ هذا الأخير انتصر عليهم سنة 153 هـ /770م.

وقد كان له موقف مشرّف من الأسرى في هذه الحرب. فما إن علم بأنّ بعضا من أتباعه سلب بعض القتلى، حتّى أمرهم بردّ أسلابهم، وإعلان التّوبة. ففعلوا.

وهدأت الأحوال في طرابلس. واستتبّ الأمن، والأمان. وشعر النّاس بالحياة الكريمة.

ثمّ اتّجه الإمام أبو حاتم إلى القيروان سنة 154 هـ /771م، ليخفف عن أهلها ما أصابهم من كرب، وما لحق بهم من أذى.

ولكنّ أبا جعفر المنصور: والي إفريقيّة (ت158 هـ /774م) جهّز الجيوش. وأرسلها لمحاربته.

واستشهد -رحمه الله- بجبل نفوسة، في ربيع الأوّل سنة 155هـ/771م. وبعد استشهاد هذا البطل المؤمن، انتقل أتباعه إلى مدينة تيهرت. وانتخبوا الإمام عبد الرّحمان بن رستم، حاكما عليهم.

عهد أئمّة تيهرت

تيهرت مدينة تقع بالهضاب العليا الجزائريّة، مشهورة بمسجدها الجامع وقصورها، وأسوارها الحصينة، وعيونها اليانعة.
وهو بلد كثير الخير، رشيق الأسواق، غزير الماء، وجيّد الأهل.
قال ابن الصّغير: في أخبار الأئمّة الرّستميين ص 36:
"ليس أحد ينزل بهم من الغرباء، إلاّ استوطن معهم. وابتنى بين أظهرهم، لما يرى من رخاء البلد، وأمانة على نفسه، وماله، وحسن سيرة إمامه، وعدله، في رعيّته.
قال الشيخ سليمان باشا الباروني :

بنو رستم من قام بالعدل ملكهم فأمست بهم تيهرت كالرّوضة الزّهرا
تحفّ بها الأزهار والزّهر باسم بروض بساتين هي الجنّة الخضرا
أقاموا منارالدّين دهرا وشيّدوا معالمه واستسهلوا البّرو البحرا

1-إمامة عبد الرّحمان بن رستم(160-171هـ/777-788م):

هوعبد الرّحمان بن رستم بن بهرام بن سام بن كسرى أبو شروان الملك الفارسي.
ولد بالعراق في العقد الأوّل من القرن الثاني للهجرة. توفّي والده عند ذهابه إلى الحجّ. وتزوّجت أمّه برجل من المغرب العربي. فقدم به إلى القيروان. ذهب إلى البصرة للدّراسة على الإمام:
أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (ت145 هـ -762م). ثمّ عاد مع حملة العلم الخمسة، إلى المغرب.

حاول نجدة الإمام أبي الخطّاب من أبي الأشعث لكنّه لم يفلح. فتحصّن بجبل سوفيج . حيث لحقه ستّون من مشائخ الإباضيّة بطرابلس. ثمّ اتّجه إلى مكان يسمّى " تيهرت": أين أسّس الدّولة الرّستميّة -نسبة إلى والده: رستم.
وقد بويع بالخلافة سنة 160 هـ /776م. فتولاها. وأقام الحدود. وقام بالأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر. كما هو شأن الأئمة العادلين. وكان أهل جربة من الأوائل الذين رحّبوا بميلاد الدّولة الرّستميّة، في المغرب الأوسط.

ولتأييده على إقامة العدل، وتوطيد الملك، أرسل إليه المشارقة إعانتين :

- الأولى: كانت الدّولة في حاجة إليها. لأنّها لاتزال في طور التّكوين.
- الثانية: كانت الدولة في غنى عنها. نظرا لتوفّر الدّخل، وكثرة الواردات على الخزينة، من الأموال العامّة، لاتساع رقعة العمران ونموّ الخيرات، لذلك اعتذر الإمام عن قبولها.

واستمرّ المترجم له على ماهو عليه من زهد في الدّنيا، وتواضع لله، سالكا مسلك الخلفاء الرّاشدين الذين سبقوه في إمارة المؤمنين، إلى أن توفّي سنة 171 هـ /788م .-رحمه الله-.

2-إمامة عبد الوهّاب بن رستم (171-211 هـ /781-826م):

على إثر وفاة الإمام عبد الرّحمان الرّستمي، بايع المسلمون إبنه: عبد الوهّاب بالاجماع، لتولّي الإمامة. فانتشر حكمه بتيهرت وضواحيها، ممتدّا إلى جبل نفوسة .
وقد بعث الإمام عبد الوهّاب عامله وطفان بن سلمة الزّواغي لفتح قابس، ومطماطة، ودمّر. وعيّن وزيره السّمح بن أبي الخطّاب عبد الأعلى المعافري على طرابلس . كما رتّب عمّاله في جزيرة جربة.

3-إمامة أفلح بن عبد الوهاب (211-240 هـ):

تولّى الإمام أفلح بن عبد الوهّاب بن عبد الرّحمان بن رستم بعد والده الإمام عبد الوهّاب. فسار في النّاس بالعدل، والاحسان. وبسط في البلاد الأمن والأمان واهتمّ بترقيتها. فتقدّمت تقدّما سريعا. واتّسع نطاق التّجارة اتّساعا واسعا. وصل إلى بلاد السّودان .
وإثر وفاته، تولّى إبنه أبو بكر الإمامة. وما إن عاد أخو هذا الأخير من أداء فريضة الحجّ، حتّى بويع مكانه.

4- إمامة محمّد بن أفلح (241-281 هـ):

بويع أبو اليقظان محمد بن أفلح بن عبد الوهّاب بن رستم بالإمامة، سنة 241هـ/855م. فكان إماما شهما، ومصلحا اصلاح من لا ينسى نصيبه من الدّنيا ولا يغفل عمّا تتطلّبه الحياة الأخرى، من زاد، وعمل ، وورع.

وكان بيته عبارة عن مسجد يتلى فيه القرآن الكريم. وتدرّس فيه العلوم المختلفة.
ورغم الاضطراب والفوضى التي وقعت في فترة إمامته، كانت عزيمته قويّة. وثقته بالله، وبنفسه أقوى.
وتغلّب على المصاعب التي اعترضته. وشمّر على ساعد الجدّ. وجيّش الجيوش. واستنجد برجال نفوسة، لإخماد فتنة ابن عرفة وأتباعه. ثمّ كرّ على محمّد بن مسالة. وأخرجه من العاصمة تيهرت .
وقد حكم طيلة أربعين سنة، موّليا وجهه نحو الاصلاح، والتّنظيم، وبسط الأمن متّخذا العدل شعارا في جميع أعماله -رحمه الله-.

5-إمامة يوسف بن محمّد الرّستمي:

بويع أبو حاتم يوسف بن أبي اليقظان محمّد الرّستمي بالإمامة إثر وفاة والده سنة 281 هـ /893م، لحزمه، وذكائه وشجاعته. وكان كأسلافه حسن السّيرة، مجدّا في الاصلاح، مؤثرا للعدل، محبّا للأمّة، ومحسنا إليها. ولا يألو جهدا فيما يعود بالخير عليها.
وفي عهده، وقعت واقعة "مانو" سنة 283 هـ /896م. حيث هاجم إبراهيم بن أحمد بن الأغلب على طرابلس. فقاتله سكّان نفوسة هناك.
وعلى إثرها انقطعت الامدادات من نفوسة إلى تيهرت.

6-إمامة اليقظان بن رستم (294-296 هـ /906-908م):

تولّى اليقظان بن محمّد بن أفلح بن رستم الأمر، بعد وفاة أخيه أبي حاتم سنة 294 هـ /906م. وبقي حوالي سنتين مهّدد الجوانب، مضطرب الأحوال ومقطّع الأوصال.

ولم يستطع أن يعيد الدّولة إلى مجدها، بسبب استفحال أمر الشّيعة في المغرب العربيّ.

وأحرق أبو عبد الله الصّنهاجي المكتبة الكبرى-المعصومة- بتيهرت.

ومن ثمّ فقدت أكثر مؤلّفات الإباضيّة. ولله الأمر من قبل، ومن بعد.

عهد مشائخ جربة

بعد اضمحلال الدّولة الرّستميّة: بتيهرت سنة 296 هـ /908م، كثرت الفتن والثّورات. وافتقد الأمن على النّفس، والمال، والعرض. فالتجأ الكثير من النّاس إلى جزيرة جربة، لمناعتها بالبحر. فمن دخلها كان آمنا، من ظلم القبائل القويّة التي ألفت استغلال الضّعفاء، تدفعها العصبيّة القبليّة والمذهبيّة. ويقودها الطّمع وحبّ السّيطرة.

وكانت جربة، بحكم موقعها الاستراتيجي، داخل حوض البحر الأبيض المتوسّط حيث تتوسّط الجهتين: الشّرقية والغربيّة منه، مطمعا للغزاة الرّاغبين في نهب خيراتها من: زيت، وصوف، ونسيج وحصير، وفخّار، وخيل، وإبل وغيرها . فقد كانت مركزا تجاريّا هامّا، يغري أصحاب الأساطيل. لذلك تعدّدت الغزوات عليها، رغم دفاع أهلها على أنفسهم، بقيادة شيوخها المجاهدين، الذين استشهدوا في سبيل جزيرتهم. وفازوا بوعد خالقهم.

قال تعالى:" ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا، بل أحياء عند ربّهم يرزقون ".

فلمّا ظلم الفاطميّون أهل جربة ،سنة 311 هـ /925م، ثار عليهم أبو يزيد مخلّد بن كيدان الذي أخذ أصول المذهب الإباضي والتحق بمدينة تيهرت ليستزيد العلم من علمائها. فأصبحت الجزيرة تدير شؤونها باشراف أحد شيوخها المسمّى: "ابن كلدين ".

وإثر الحملة التي شنّها المعزّ بن باديس الصّنهاجي ضدّ جربة سنة 431 هـ /1039م، استشهد: الشيخ أبو محمّد كمّوس الزّواغي، والشيخ أبو عمرو النّميلي- رحمهما الله-.

وأخذ السّكان يدعون للانتقام من الأمراء الصّنهاجيّين، حتّى تولّى الأمير علي بن يحي بن المعزّ سنة 510 هـ /1116م. ودعاهم إلى صلح: على أن تترك جربة مستقلّة، مقابل عدم تضييق التّجارة على المهديّة.

وهكذا بقيت الجزيرة تحت إدارة شيوخها، دون أن تتعرّض لها الدّولة الصنهاجيّة .

وإثر حملة النّورمان، لمّا هجم الملك الصقلي: روجار على جزيرة جربة سنة 529 هـ /1135م دافع أهلها عن أنفسهم. واستطاعوا بقيادة الشيخ داود بن ويسان، والشيخ قاسم الزّواغي، أن يتخلّصوا من هذا الاحتلال المسيحيّ، سنة 548 هـ /1153م. كما طلب أهل جربة المساعدة من سلطان الموحّدين: عبد المؤمن بن علي سنة 555 هـ /1160م، لطرد النّورمان الذين هاجموهم للمرّة الثانية.

I- مشيخة آل بني سمومن

1- الشيخ أبو زيد بن أبي نوح السّمومني:

استشهد سنة 638 هـ /124م إثر حملة النّصارى على جربة.
وفي سنة 642 هـ /1244 م، وقع تبادل بين سكان جربة، بأمر من مجلس العزّابة.وذلك ليتمتّعوا بالرّاحة و الطّمانينة، ولتحسم بينهم النّزاعات واالخصومات.
فقد انتقلت عائلات الرّقدال و بالرّيش، من حومة سدويكش إلى حومة غيزن. وانتقلت عائلات الهوّاري ودالي وبلحاج امحمّد من حومة سدويكش إلى حومة مزراية. وانتقلت عائلة ابن تعاريت، من حومة آجيم إلى حومة غيزن ثمّ إلى حومة صدغيان.
وانتقلت عائلة الآجيمي من حومة اجيم إلى حومة مزراية. وانتقلت عائلة الباروني من حومة آجيم إلى حومة والغ.
وقد وقع انتقال العائلات بين الحوم، للمرّة الثّانية سنة 682 هـ /1248م.
وفي سنة 683 هـ /1284م، قام ملك الأرقوان بحملة على جربة. ونهب، الأموال والزّيت، في سبعين سفينة من أسطوله الحربيّ، و ثلاثين سفينة من سفن أهل الجزيرة. و قد بيّنت الكنائس إثر هذه الحملة.
وفي سنة 738 هـ /1337م، حاصر القائد الحفصّي مخلوف بن كمّاد هذا البرج وأجبر من فيه على الانصراف. فتحرّرت الجزيرة من الصّليبيّين. ونشط سكّانها في بناء المساجد، على سواحلها، للدّفاع عنها.

وأعان أبو عبد الله بن محمّد بن تافراجين أهلها، على اخراج القائد الحفصيّ أحمد بن مكّي، المنحدر من عائلة بني مكّي اللّواتيّة الأصل ، من الجزيرة، بعد أن استولى عليها. ولم يحسن السّيرة في أهلها. وذلك سنة 763 هـ /1362م .

2- الشّيخ أبو عبد اللّه محمّد السّموني:

استشهد سنة 688هـ /1289م، في معركة ضدّ النّصارى الذين بنوا برج "القشتيل" في تلك السّنة، بعد أن دخلوا جربة سنة683 هـ /1284م، بقيادة روجاردي لوريا الصّقلي.

3- الشّيخ سليمان بن صالح السمّوني:

استشهد سنة 699هـ / 1300م ، إثر محاصرة الإسبان لبرج القشتيل.

4- الشيخ أبو يحي زكرياء السّمومني:

في عهده، هجم الإفرنج على جربة سنة 835 هـ /1432م، بقيادة الملك ألفونسو الرّابع. فاستمدّ سكّانها العون من السّلطان أبي فارس عبد العزيز بن أحمد الحفصي الذي كان بعساكره، في أرض الجريد. فقدم إليهم سريعا عن طريق تاربلّة، ووجدهم في أشدّ القتال. وحين نزل المسيحيّون للبرّ هجم عليهم المسلمون هجمة واحدة ،عند نزوح البحر. فلم يجدوا للفرار سبيلا وهزموهم.
وهكذا يظهر مرّة أخرى، صمود أهل جربة في وجه الصّليبيّن الغزاة.

5- الشّيخ يحي بن زكرياء السّمومني:

لمّا دخل الأسطول الإسباني، بقيادة الكونت بيدرودي نافار، متكوّنا من مائة وعشرين سفينة حربيّة ، محمّلة بشتّى أنواع الأسلحة الحديثة إلى جربة، من جهة القنطرة، بشبه جزيرة القشتيل، سنة 916 هـ /1510م، تصدّى له أهلها بقيادة شيخهم المجاهد: أبي زكرياء يحي السّمومني الذي رتّب جيشه القليل العدد على صفّ واحد يضمّ: المتطوّعين، والخيّالة، والمرابطين بالمساجد السّاحلية، وغيرهم من المجاهدين البالغ عددهم حوالي: ثلاثة آلاف مجاهد. مقابل صفوف العدوّ المتراصّة والمتتالية. بحيث إذا انهزم صفّ تقدّم الذي يليه. فعددهم يبلغ: خمسة عشر ألفا من الجنود المدرّبين، والمسلّحين.

فأخذ الشيخ يحي يتفقّد المدافعين الأبطال: يشجّعهم. ويشدّ من عزائمهم. ويدعوهم إلى الصّبر، والثّبات. ويهوّن عليهم أمر العدوّ. ويحرّضهم على القتال. ويذكّرهم بما أعدّه الله من النّعم، للمجاهدين في سبيل الله .

قال تعالى : " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة، بإذن الله. والله مع الصّابرين "

وجرت يوم الجمعة 24 جمادى الأولى 916 هـ /29 أوت 1510م، معركة حامية بين الفريقين، في جوّ خانق من الحرّ، وفقدان المياه. ووقع النّصارى في الفخّ الذي نصبه لهم المقاومون. فما إن بدأ الأعداء في الهجوم.وشرعوا في التّقدم داخل الجزيرة، حتّى طوّق بهم جيش أبي زكرياء من كلّ مكان. فلم يعد في مقدور الضّبّاط الإسبان التّحكم في المعركة. فاختلّ النّظام. وعمّت الفوضى. وتهافت الجنود المسيحيّون الذين استبدّ بهم العطش، حول

أحد الآبار، طلبا للماء وتزاحموا هناك. فهجم عليهم فرسان الجهاد الذين كانوا يترصّدونهم. وألحقوا بهم الهزيمة التّي لم يتوقعوها.
وهكذا تحطّم أضخم الأساطيل، على أيدي أبناء جربة المجاهدين.
قال الأستاذ عليّ معمّرفي الإباضيّة بتونس ص 173:
" إنّه لموقف مشرّف ذلك الذي سجّله التّاريخ لأبي زكرياء حيث أقامه الأهالي في جربة مقام حامي الحمى، والدّين. فردّ الأساطيل الإسبانيّة الضّخمة التي احتلّت الشواطئ الإسلاميّة في بلاد المغرب العربيّ الكبير. مثل: مرسى الجزائر، ووهران، وطرابلس. ولمّا بلغت إلى جزيرة جربة الصّغيرة أرجعت على أعقابها. تجرّ أذيال الخيبة.
قال تعالى:"ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. والله ذو الفضل العظيم".
وقال سبحانه: "وما ذلك على الله بعزيز".
وقال سبحانه وتعالى: " وأن استغفروا ربّكم. ثمّ توبوا إليه يمتّعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمّى".

6-الشّيخ أبو عثمان يحي السّمومني :

تولّى المشيخة سنة 924 هـ /1517م. وفي عهده قام الجيش الإسباني بحملة أخرى على جربة، بقيادة الأميرال "منكادا"، انتهت بالخسارة الفادحة كالحملات السّابقة. ولكنّ الإسبان سيطروا على الجزيرة، سنة 942 هـ /1535م. وجعلوا برجها الكبير قاعدة عسكريّة لنشاطهم البحري.
و رغم ذلك فإنّ إدارة الحكم بقيت بيد شيوخها.

7- الشيخ أبو نوح بن صالح السّمومّني :

تولّى الحكم سنة 953 هـ /1546م. وأقام علاقات متينة مع السّلطة العثمانيّة لذلك كانت لتجّار جربة امتيازات للتّجارة بالموانى التركيّة، وجلب ما يستحقونه. وخاصّة القمح، من هناك .

وفي يوم 18 شعبان 967 هـ /17ماي 1560م، قضى الأسطول العثماني على الأسطول الإسباني، بعد معركة دامت ثلاثة أيّام وثلاث ليال، تلقى فيها درغوث باشا حاكم طرابلس الأوامر من السّلطان العثماني: سليمان القانوني (926-973 هـ/1520-1566م) الذي اشتهر بذلك اللقب لكثرة الاصلاحات، والأنظمة التي وضعها في حكومته. فقد طبّق جميع القوانين الموجودة في عهده .

وبعد احتفاله بالنصر، كلّف فرقة من الجيش التّركي بجمع رؤوس القتلى الإسبان. وشيّد بها برجا سمّي: "برجم الجماجم" تخليدا لهذه المعركة.

بناه في شكل هرم: قطره السّفلي يساوي 130 قدما، وارتفاعه 30 قدما.

وقد نقل هذا البرج سنة 1848م، إلى مكانه الحالي: على بعد 100م، غربيّ البرج الكبير الذي كلّف القائد غازي مصطفى بالإشراف على ترميمه.

لذلك سمّي أيضا: برج "الغازي مصطفى" الذي لعب دورا هامّا في الأحداث التاريخيّة التي توالت على جربة.

8- الشيخ مسعود بن صالح السّمومني :

بعد أن تولّى درغوث باشا بن علي التّركي، في شهر مارس سنة 960 هـ /1553م وهو الوالي الثاني بعد مراد آغا(1): أوّل حاكم تركيّ على طرابلس، عيّن على جربة الشيخ مسعود بن صالح السّمومني الذي أبرم صلحا مع الإسبان سنة 967 هـ/1560م يقضي ببقاء قائدهم بالبرج الكبير، مقابل ترك بقيّة المناطق، تحت نفوذ مشيخة آل السّمومني .

فقد كان حكّام عائلة السّمومني (638-976 هـ / 1240-1560م) يستمدّون سلطتهم من نظام العزّابة. ويعملون بآراء مجالس العلم، الحكم، فيما يتعلّق بتطبيق الأحكام الشرعيّة، والدّفاع عن الجزيرة، وتسيير شؤونها، في الدّاخل والخارج. فلا يقدمون على أمر إلاّ بعد استشارة شيوخ العزّابة.

وبذلك نجحوا في مقاومة الحملات الصّليبيّة. وسيطروا على الأوضاع في الجزيرة. وحافظوا على استقلالها. وقد كان تعاملهم مع السّلطة العثمانيّة على قدر المصلحة.

قال ابن خلدون: "الظّهور، والرّئاسة على الكلّ، لبني سمومن".

---

(1) مراد آغا: عيّنه سنان باشا: كأوّل حاكم تركي على طرابلس بعد أن افتكّها من النّصارى، في شهر شعبان سنة 958 هـ / 1515م. وقد بنى بها مسجد "تاجوراء" سنة 959 هـ / 1552م.

II- مشيخة آل بني جلود

إثر وفاة الشيخ مسعود بن صالح السّمومني سنة 976هـ /1560م، انتقل الحكم من آل بني سمومن إلى آل بني جلود الذين كانوا من الأثرياء، بما يملكونه من عقارات كثيرة، داخل جربة وخارجها. وخاصّة بحومتهم والغ .

1-الشيخ موسى بن عمر جلود :

أوّل من حكم جربة من آل بني جلود هو الشيخ موسى بن عمر بن جلود (967-1000هـ/1560-1591م). ثمّ خلفه إبنه محمّد (1000-1005هـ/1591-1996م).
وفي سنة 1007هـ/1599م تولّى إبنه عمر.
وفي سنة 1008هـ/1599م، كان للشيخ أبي يعقوب يوسف بن أبي مسور اليهراسني (ت 1013هـ/1604م) الفضل في استقبال النّاس في منزله، والتّخفيف من فزعهم، إثر خوفهم من هجوم درغوث بن علي التّركي، على جربة. فقد كان رسولا بين الجربيّين، والأتراك. واتفق مع الأعداء على دفع غرامة ماليّة مقابل اخماد الفتنة. فأخذوا المبلغ المتّفق عليه. وخرجوا راجعين.
قال ابن تعاريت:
"هو أحد السّادات، من أسرة أبي مسور. كان مهابا في ملاحقة الجبابرة. وله اليد العليا في إصلاح ذات البين."
وأضاف: "أمّا البركة فأثرها باق فيهم أولاد الشيخ أبي مسور رحمهم الله".
وقد اشتهر إبنه: الشيخ سعيد بالصّلاح، والتّقوى. وكان مقصد النّاس بعده.

2- الشيخ أبو عثمان سعيد بن عمر بن جلود:

إثر وفاة أبيه سنة 1028هـ/1618م، تولّى الحكم: الشيخ أبو عثمان سعيد بن عمر بن موسى بن جلود (1028-1062هـ/1618-1652م). وإليه ينسب مسجد "الشيخ" بحومة القشعيين. وقد بناه سنة 1034هـ/1624م.

3- الشيخ أبو عمران موسى بن جلود :

تولّى الشيخ أبو عمران موسى بن سعيد بن جلود المشيخة سنة (1062 هـ /1652م) .
وأصدر أمرا بأداء أوّل صلاة جمعة، بجربة. وذلك في جامع الشيخ بحومة السّوق، في شهر صفر سنة(1079 هـ /1668م). أي بعد وفاة الشيخ سليمان بن عبد الله بن أبي زيد، بعام ونصف (18 شهر). وممّن عارض صراحة، هذا الأمر: الشيخ عبد الله السّدويكشي. وكتب رسالة في حكم صلاة الجمعة، وشروطها.
وهكذا يظهر عدم انسجام حكم آل بني جلود، مع مجلس العزّابة.

4- الشيخ أبو عثمان سعيد بن موسى بن جلود:

حكم الشيخ أبو عثمان سعيد بن جلود، إثر وفاة أبيه. وبقي في المشيخة إلى سنة 1097هـ/1686م. ثمّ خلفه أخوه عبد الرّحمان (1097هـ-1100هـ/1686-1689م).
و في سنة1100هـ/1689م، عيّن الشيخ أبو عبد الله محمد بن صالح بن جلود الذي بقي في الحكم إلى أن توفي، سنة 1108هـ/1697م.

5-الشيخ سعيد بن موسى بن جلود:

تولّى المشيخة سنة 1108هـ/1697م، وفرض سياسته على السّكّان ممّا أغضب الباي: يونس بن علي باشا. فدبّر لقتله سنة 1152هـ/1739م.

6-الشيخ موسى بن صالح بن جلود: (1152-1170هـ/1739-1757م).

7-الشيخ أحمد بن موسى بن جلود: (1170-1177هـ/1756-1764م):

وهو آخر حكّام آل بني جلود.

ورغم أنّ حكّام عائلة ابن جلود (967-1172هـ/1560-1759م) حاولوا أن تكون ولايتهم مستقلّة عن سلطة الأتراك العثمانيين. إلاّ أنّ العلاقة توترت والعداوة اشتدّت، بينهم وبين هذه السّلطة بسبب الخطايا، والعقوبات التي سلّطتها عليهم.

III- قادة آل بني عيّاد

بانتهاء مشيخة آل بني جلود، انتقل الحكم إلى قادة آل بني عيّاد، وأوّلهم:

الشيخ أبو الفضل قاسم بن عياد الذي تولّى الحكم سنة 1172هـ/1759م.

وأشهرهم: **القائد حميدة بن قاسم بن عيّاد** المقرّب من الباي أبي محمّد حمّودة باشا الذي كان يجالسه ويستعين برأيه، ويؤثّره على غيره (1).
فبعد أن تولّى الحكم سنة 1209 هـ/1794م، بنى القصر المشهور إلى اليوم بحومة صدغيان "بقصر بن عيّاد". كما بنى مسجد "القائد" سنة 1200هـ/1785م. وعيّن به الشيخ: قاسم بن أحمد بن سعيد المثني.
وبعد وفاته يوم الإثنين 15 شعبان 1232هـ/30جوان1817م، عيّن أخوه القائد محمّد .
وممّن حكم جربة من آل بن عيّاد، نذكر كذلك:
-**القائد عبد الرّحمان بن محمّد بن عيّاد** (1240هـ/1824م).
- **القائد رجب بن يونس بن عيّاد**(1245 هـ /1829م).
-**القائد محمود بن محمّد بن عيّاد**(1260 هـ /1843م).
-**القائد عمر بن عيّاد**(1265 هـ/1848م) :
وهو آخر حكّام عائلة ابن عيّاد(1172-1265هـ/1759-1848م).

وهكذا نرى أنّ حكّام جربة كانوا من أبنائها. ينتخبهم مجلس العزّابة، لتنفيذ قراراته، وأحكامه. وقد اتّخذوا لأنفسهم قصورا يسكنونها. ويجلسون فيها للحكم فمثلا بحومة آجيم، هناك ثلاثة قصور:

-قصر الورديان: يقع شرقي سوق آجيم، على بعد 50م.

-قصر ابن ميلاد: نسبة إلى عائلة ابن ميلاد. وهي فرع من عائلة ابن جلود ويقع شرقي السّوق، على بعد 1.5كلم .

-قصر البوزيديّين: يقع جنوب دكاكين المثانية، على بعد 1كلم.

---

(1) ابن أبي ضياف : أتحاف أهل الزّمان. جزء 7. صفحة 103.

الحركة العلميّة بجربة

احتفظت جزيرة جربة بالوضع الإسلامي الذي اختارته لنفسها. يقيم مشائخها البارزون حكم الله فيها. ويطبّقون نظم الإسلام في شوؤنهم، مراعين مصالح النّاس الدينيّة، والدّنيويّة.
كما اعتنى شيوخ جربة بتعليم النّاس دينهم. واجتهدوا في نشر العلم. وأنشؤوا المدارس في المدن والقرى والبوادي. وجلبوا لها المدرّسين المجدّين.
وأقبل السّكان على الإسلام يتعلّمون مبادئه، وتشريعاته. وانتشر العلم في ربوع الجزيرة. فقد كوّن المشائخ مدارسا لتعليم اللّغة العربيّة، ولتحفيظ القرآن الكريم. وتكوّنت جمعيّات لتصنيف الكتب، وتوزيعها.
وكانت لهم اليد البيضاء في توجيه النّاس من النّاحية الدينيّة، والخلقيّة، والاجتماعيّة. والسّير بهم في المنهاج الإسلامي الصّحيح للحياة البشريّة. فقد أدركوا معنى التّعلم، والتّعليم. ونشروا راياتهما، بكلّ قواهم. باذلين كلّ عزيز لديهم في سبيلهما.
و كان شيوخ جربة الأجلاء يسعون في كلّ ما يعلي جزيرتهم.ويرفع من شأنها، حتّى تبرز للعيان معالم النهضة فيها.
وقد كتب علماء جربة في تفسير القرآن الكريم، وشرح الحديث الشريف، باللّغة الأمازيغيّة: وهي اللّغة الأصليّة، حتّى يفهم النّاس معاني القرآن الكريم، وتعاليم الإسلام السّمحة. و ممّا ألّفوا:

-مقدّمة التّوحيد: وهي باللّغة الأمازيغيّة. وقد ترجمها الشّيخ عمر بن جميع إلى اللّغة العربيّة. وتجمع عدّة فنون في أصول الدّين، والفقه، والتّاريخ.
-ترجمة مدوّنة ابي غانم بشر بن غانم الخراساني .

-عقيدة أهل نفوسة.
-ترجمة مؤلفات أبي سهل الفارسي: ترجمان الإمام عبد الوهّاب الرّستمي.

وظلّ التأليف بالأمازيغيّة، حتّى انتشرت العربيّة بين السّكان .

وما كان لهذه الحركة العلميّة أن تستمرّ، لولا تطوّع أبناء جربة للانفاق على طلبة العلم، وقد كان المدّرسون الأفاضل يتبرّعون لنشر المعرفة، وتثقيف النّاس وترغيبهم في التفقه في الدّين، والخروج من ظلمات الجهل.
كما كانت للمدارس العلميّة أملاك حبّسها أهل التّقوى عليها: كالعقارات وأشجار الزّيتون، و النّخيل. لذلك نجد كثيرا من الأملاك " سجيل "، في جزيرة جربة .
ووكلاء المساجد هم الذين يتولّون انفاق المال المتأتّى من هذه الأوقاف، على الموقوف عليهم من المدرّسين، والطّلبة .
فأحباس المؤسّسات الدّينيّة كانت تيسّر القيام بمختلف الوظائف الاجتماعيّة والتعليميّة. وكانت أوقاف المساجد تمثّل القاعدة الأساسيّة لثروة هذه المدارس. فمثلا مسجد "ليمس" بحومة آجيم، كانت له أوقاف بجربة، وكذلك بقابس، ومنها مطماطة القديمة.
كما كانت توجد عقارات بمصر، محبّسة على طلبة العلم هناك. فقد جعل تجّار جربة بالقاهرة، أملاكا خاصّة للطّلبة الذين يحبّذون اتمام دراستهم هناك. خدمة للعلم، وتشجيعا على تحصيله.
ومنها وكالة البحّار، بحي طولون، بالقاهرة .
وقد سعى شيوخ الجزيرة إلى جلب الطّلبة، والمدرّسين الأكفاء، وحثّ ميسوري الحال على الانفاق على المدارس العلميّة. فكانوا يناضلون من أجل نشر العلم وبثّ المعرفة. حتّى اشتهرت جربة بعلمائها.

فقد قيل :

أجدر النّاس بالعلى العلماء فهم الصّالحون والأولياء

فالبرايا جسم وهم فيه روح والبرايا موتى وهم أحياء

قد رأينا لكلّ دهر عيونا ولعمري هم العيون ضياء

قال الحيلاتي :

"اعلموا –رحمكم الله– أنّ مساجد جربة تأسّست على التقوى وبنيت من مال حلال. فلا ينبغي، لمن يرجو لقاء ربّه أن يتجاسر عليها. كما لا ينبغي أن يغفل عن زيارة أضرحة المشائخ: جبال العلم، والدّين في الجزيرة".

القصيدة الجربيّة (I)

1-أزّالث أف محمّد اولان إسّل تسلذ ماق أمّالغ سوليك يعدل

2-اوشذ أولك تسلذماق أملاغ تسنّذ اللّي حق دانصح البلاغ

3-وغري تكركاس لا القول الفراغ يبنى أفصح وغري ديّس ازلّل

4-أش ماق نزرى ق الكتاب انّاغ أش مات يوصّى أيسر أملاغ

5-اف لّي تيصار أتش الكل دينّاغ إيّك الكل أيسل سيناغ يقبل

6-يوّى ربّي كل حد أيمّت ويحل في الخصلات نغ دعدال

7-بعد تمتّانت وغرس غير الجنّة نغ تيمس إجن سينو يحصل

1-صلّوا على محمّد ياسامعون واسمعوا بقلوبكم سمعا صحيحا

2-اعطني قلبك لتفهم ماذا أقول وتعلّم حينئذ أنّ في قولي النّصح البليغ

3-لم يكن في كلامي كذب ولا القول الفارغ فإنه مبني على قاعدة صحيحة

4-ماعندي فيه زلل

هذا ما رأينا في كتب العلماء عمّا يقول- تعالى- فاسمع لقولي

5- على جميع ما سيصير غدا يوم القيامة فينا من أهوالها فأرجو أن يكون قلبك واعيا وقابلا لما أقول لك.

6- حكم ربّي عزّ وجلّ بالموت على كل أحد طيّب الأعمال ذا عدالة واستقامة أو رديفها ذا ظلم واعوجاج معتبرا.

7- لم يكن الإنسان بعد موته إلاّ نعيم الجنّة أو عذاب النّار فإنّ أحدهما سيحصل لا محالة.

أيثما تارزقت أنّاغ تقرب ويلان ويهيء لعوينس أيدعب

ويتّاف ويسنش لمّ يضلب كلّ إجن يفدّ اللعويسن أيكمل

بعد تمتّانت تارزقت تزرارت ابريذس يرتيوديس تّمقارت

تكل ديّس أم تكل تمدفارت الهلس ازّاث ويزمر أيستعجل

سق الهوليس وتنقع ترولى ستياف إزّاثيس ماني يرول

ويتّاف ولا أمكان أيقيمّ أيخلى لمّ ويحصّل أمكانس أق لوّل

ولاّن يخس أيسن أزّاثيس أملاس وتبدّل إجن سق المغناس

أزّاد الآخرث أزوم اصبر أفلاّس نغ أتزاليث أرني يتنفلّ

نغ أزوم أقاس ق الفصل يزغال نغ دصدقّث ويسرة وغرس المال

لمّ تلّى تخشى سق المال الحلال أدنيوش ستياق انش ق افاس دطال

يوّى ربّي اللي يخس الجنة أيكّر أيخدم أفلاس كل أس هاق يزمر

أزوم يحمّل أسقع يذكار بعديس أظلب ربّي أيقبل

غير ماني إفارق الرّوح أتزرد أمكانك إلان غارس أروحد

ق السّاعة تني أحز ندفع أفرحد سق اللي تموث يرّى نغ يقبل

بعد تمتّانت ازردما اتفسيذ تمزورت اللّي أزرذ ستاعون

العورة تستحفضد تخس اتمسيرذ سقوس إجنايب سيّس أيذل

اكسرذ الكل يقّاك ق شلّيق أويناك أرناوتك اقنك قد ضيق

القبراذ الوحش ويّوفي أرفيق أوبيانّك الهول ماني سيتحمل

بعد ذين أيجمع القبر ايضيق أفلاس إغزد يسنس اطرشقن

أيه ايفلى الكل قيل آس أزرار آس اللّي أنكشفن ديس لسرار

آس اللّي انفرزن الكتب أسند أجهار كل إجن ستسدياس الكتابس أتيقبل

إجن تسدياس أفليمين أيسعديس إعزّم إذس يمار أوليمس

أسما يشاش ربّي شق الفضليس أق لاخرت يتّاف الأمريس يزهل

إجن تاسدياس اق ليسار يا أيعسيس إعزم يسّال الهم قاسيس

يتنهّد ماق يلق اق العمريس نتّ جار إفاسن نربّي يحصل

آه أس الخمسين ألف نتطويلس أسدن أنشاب ستق الهوليس

واللّي دمزيان ربّي قلفضليس مامّوا يملي وغريش ديسزال

يوّى ربّي كل حد يخس أتيافد يتوطى اف إفدنيس أس ماق إفاد

لملاك سبع أصفوف سلخلايق أتبد اطال الهول كل حد أقرب أيهبل

أتش أجهنم تغلى تزهدر تتت أفيمنيس ديما تتهدّر

أتمطرد فيطفن جنس أدرار يڤغ سيّس العنق يسّخلع يذول

تمّال ماني ويطغن ألّي ظلمن ماني ايلان الي أتشن أقل نمسلمن

أغتدراه نتا أد مجرمن وصلتيتذ وصلّن غاري يوصل

ماني ألآن ألّي إحكم من غير الحق ماني ألآن ألّي يتشن أفل نمخلاق

ماني يڤا السّحر يخس أيفرّق جار أرڤاز أذ لعيالس قلباطل

ماني يدجا أذزاليس يتّوتث ماني إلآن أسدياس إمرمتت

آذفاث الوقتس يكّر يخضفيث أذوليس إغاب نتّ يستعجل

ماني إلآن يلّى يدجيث الكل العمريس إفاث نتّ ويزّول

أتوين أتسلسلن نتّ مغلول أيزّر ما قصارن ديّس أقبل

ماني اللّي يطغن جار الجيران ماني وسّڤغان لسرار انيذان

ماني إيلآن ديثمان يتخان ماني ويڤلعن إيمير بعد ماق ينبل

ماني وينكّر الحق يدّجل أفلاس آس ربّي ينكرفالّي يدعا أفلاّس

ماني تيذين إيحدڤن أتغيسوين ماني تيذين يحفلن فتمغروين

ماني تيذين يا فلّسن أتلولوين تسكّن إرڤازن الهزدزال

ماني تيذين أسڤّجدرن توّياس أصّوتيس تتنوّح تترقق نتّث قالصوتيس

باش أسلن أتقوليس أيآ سعديس — ترأسَعديس أقث ترا أيصّال

سنكّرق الصّوت أمتيدث تحقيق — نتتث المثليس قليلة التوفيق

أتوين ألتمسي أقنتت ق الضّيق — أمّلناس نوّح أف تيمس أتبطل

لمّ أذقن تيمس أتنسلم — أف أذم ندّتيث ماغر يغفل

أس أملن لا والله يمّلنغ — إوصّى تحقيق إوكّذ أفلاّنغ

إلاّ أبليس أمشوم يغوينغ — نسلّم ق الحق نذبيغ لباطل

أيغضب أفلاّ سن المخازن يومين — آلتمس يمبرّتن أف أذوم يدجين

أسدسن أتغردام أتلفلسوين — أذ ألفع ماني ينّض تتث نزّال

أربّ الهمني فالخير أمين — نشّين إذ إمسّلمن أجمع إنتمسلمين

تمردا نغ أندول الدّين — باب العرش أيّاك أنذول

تغفرذ إيابا جميع ابكّضن — تغفرذ إمام أق تموت أزمان

تغفرذ إمسّلمن ألّي إستّغدان — أذ تمسّلمين يحضرن ده قّل محفل

1- تتّت إمنّيس تعيا تهدّر يقغ سيّس العنق يسلخلع يدوّل

2- تمّال ماني ويغفلّن أف أتّبت ماني ألآن قل المعاصي ألَ بموث

3- ماني إلآن يقورن سالحليت أسّو سيحضر كل ما ذاق يموث أقبل

4- ماني يلّى أل يَتشن أرّزق إمسلمن ماني يلّي ويطغان أذو يظمن

5- قرّب تيتذ نتاّاذ إمجرمن سسنطين ووصلن غاري يوصل

المعنى :

(1) تتت: تاكل ، امنيس، نفسها.
يقغ : يخرج سيس ، منها : العنق :قطعة من عذابها . يسخلع : يخاف . يدول : يرجع .

(2) تمال :تقول ، ماني : اين .ويغفلن : الغافلين .اف : على أتبّت : التوبة .إلآن : اللذين . ال يموث : إلى أن يموت .

(3) ماني : أين . إلآن : الذين . يقورن : يمشي. سالحيلت: الحيلة . أسّو : اليوم . ماق : يموت . اقبل : الذي يموت قبل .

(4) يلي : أين هو . ويتشن : الاكل . ارزق : أموال.إمسلمن:المسلمين. ويطغان : ويطغى . اذو : اللذين . يظمن : يظلمون .

(5) تيتذ : قربوه لي . نتا : هو . أذ إمجرمن : المجرمون . سسليطين : ووصلن غري يوصل : الذي أوصلوه عندي وصل.

1- ماني يلّي ألي قطعن جار الجيران ماني إسفغن السّرآن أودان

2- ماني يلّي ويتيومنن أتخان ماني ويكش أيمير بعد ماق وينبل

3- ماني يلّي ويحكمن بغير الحق ماني يلّي ويقدحن جار ما خلق

4- ماني ويقن السّحور ينحس أيفرق جار أرقاز أذ العيلتس قل الباطل

5- ماني يلّي وينكرن قل أمرواس يتجلّى آس ربّ دلباطل أفلاّس

6- ماني تذّين تنس أتمغروين ما نيذين أشهرنت يولبوين

المعنى :

(1) ماني : أين . يلّي : موجود . يقطعن : ينشر القطيعة . جار : بين . ويشفغن : السّران . أودان : يخرجون سّرا .

(2) ويتيومنن: يأمنه النّاس. أدخن: يخونه. يكسن : يقلع. أيمير: الفاصل. بعد ماق: بين أرضين ينبل: ردم .

(3) ويحكمن: يحكمون. يقدحن جار ما خلق: يقدح في الجيران.

(4) ويقن: يجعل. السّحور: السّحر. ينحس :لأجل.أيفرّق: ليفرق. جار أرقاز أذ العيلتس: بين الرّجل وزوجته .قل: في .

(5) ينكرن : ينكرون . قل : في. أمروس: الديون. يتجلّى : يحلف. دلباطل : بالباطل.

(6) تذيّن: أولئك.

7 – وماني تدّين حفلنتث أستغصوين	أتقنث إيرقازن الهزاد أزل
8 – ماني ويتجن أزّاليث ضيعتث	ماني ولاّن أسدياس يمرمريتث
9– ويتجن إزّالت أستنص أقومسيس	تسلسلة أن تمس أجث دارتيس
10– ماني تدّين تنس أتمغروين	ما تيذين أشهرنت يوليوين
11– يمّال هاي يدّعا أفلاّ تكركاس	أيونه وغريش ديّس الكل

المعنى:

تبدن: أولئك.

احفلنت : احتفلن.

اتقنت : يعملن .

أزل: الزلّة.

استغصوين : اللباس والحلي.

(I) القصيدة الجربية للشّيخ شعبان القنّوشي.

ديوان الأشياخ

تخرّج من المدارس العلميّة بجربة، علماء أجلاء نفعوا النّاس. وأناروا لهم الطّريق، بما بثّوه فيهم من علم غزير. وبما ألّفوا من كتب ثمينة .

ففي مطلع القرن 5 هـ /11م وتحديدا سنة 405 هـ /1013م، أيّام اشراق الجزيرة بالعلوم، وازدهارها بالمعارف، تألّفت جمعيّة من أكابر العلماء. واجتمع منهم سبعة في غار مجماج – نسبة إلى جهة مجماج التي تقع غربيّ حومة بني ديغت – الرّياض حاليّا– لتأليف موسوعة فقهيّة في العبادات، والمعاملات والأحكام، اشتهرت: بديوان الأشياخ (1) – نسبة إلى مؤلّفيها الأشياخ.

وكلمة مجماج، باللّغة الأمازيغيّة: "أتمجوجن". ومفردها: "أتمجموج"، تعني جماعة مختلطون، ومتحدّون، كأنّهم شخص واحد.

وغار مجماج هو معلم أثريّ، صغير الحجم، ومستطيل الشّكل. لا تزيد مساحته عن 8 مترا مربّعا. بحيث لا يسع لأكثر من إثني عشر شخصا.

كما يسمّى أيضا:" بديوان العزّابة" نسبة إلى مؤلّفيه العزّابة. وكذلك "بديوان الغار" نسبة إلى مكان تأليفه.

ويحتوي هذا الدّيوان على ستّة أجزاء مقسّمة كما يلي:

الجزء الأوّل: في الطّهارات، والثاني: في الصّلاة، والثالث: في الصّوم، والرّابع في الزكاة، والخامس: في الحجّ والحقوق، والسّادس: في الأحكام.

وهذا الأخير مجزأ إلى ثلاثة أجزاء :
يبتدئ الجزء الأوّل منها، بعد المقدمة بباب التنزّه عن أجر القضاة. وينتهي بباب الدّعوة.
ويبتدئ الجزء الثّاني: بباب الاقرار وينتهي بباب ضمان الحكم. أمّا الجزء الثالث: فيبتدئ بباب الإيمان وينتهي بباب ما تتمّ به الحيازة .
وينسب هذا الدّيوان إلى: الشيخ أبي عمران موسى بن زكرياء المزاتي لأنّه تسبّب في تأليفه، وتولّى كتابة أجزاءه.
والشيخ أبو عمران موسى المزاتي – نسبة إلى قبيلة مزاتة – جنوب الجزائر قدم إلى جزيرة جربة قاصدا مدرسة الشيخ أبي مسور اليهراسني بالجامع الكبير. فأخذ عنه العلم، والأدب. وبعد وفاة شيخه، بقي متنقلا بين جربة وموطنه الأصلي. ولمّا رجع الشيخ أبو عبد الله محمّد بن بكر من القيروان، أراد أن يستزيد العلم من الشيخ موسى. ولكن عندما وصل تقيوس مدينة – دقاش– بالجريد. ألزمه طلبة من حفدة الشيخ أبي مسور، بالقعود للتّدريس. فأنشأ مدرسته هناك، سنة 409 هـ /1017م– رحمه الله–.
والعلماء السّتة الآخرون الذين شاركوا في تأليف ديوان الأشياخ هم:

– الشيخ أبو محمّد عبد الله بن مانوح اللّمائي –

نسبة إلى قبيلة لماية:
أخذ العلم عن الشيخ أبي مسور، وعن الشيخ أبي صالح اليهرساني وعن الشيخ أبي موسى عيسى بن السّمح الرّباني.
ومن كرمه أنّه لا يتناول عشاءه إلاّ إذا لم يجد ابن سبيل، حتّى لا يترك أحدا يبيت دون طعام– رحمه الله–.

– الشيخ أبو عمرو النّميلي (311–431هـ/922–1042م).

- **الشيخ أبو زكرياء يحي بن جرناز النّالوتي** - نسبة إلى نالوت، بجبل نفوسة- .

- **الشيخ جابر بن سدرمام الجربي** .

- **الشيخ كباب بن مصلح المزّاتي** - نسبة إلى قبيلة مزّاتة- .

- **الشيخ ابو مجبر توزين المزّاتي** -نسبة إلى قبيلة مزّاتة- أيضا.

---

(1) هناك مؤلّف آخر أضخم، يعرف: "بديوان المشائخ "- نسبة إلى مشائخ أريغ الذين ألّفوه سنة 560 هـ /1146م، بسدراتة. ويحتوي على 25 جزء.

مخمّسة البارونى (1)

لهجت بذكرذي التقى والفضائل أمين وليّ الله نور المحافل
وشمس الضحى القصبي(2) مفتي النوازل حليف الهدى والبّر باقي الأوائل
فموت ابي حفص كميلم وجابر(3)
صباح ومصباح ونور لنا بدا وأرشدنا للحق والخير والهدى (4)
فصار غريب الدين عاد كما بدا فطوبى له ياصاح في موقف غدا
ومورده عذب بعين الكوثر
سلوا الغار (5) هل بقي فقيه يؤلف من السّبعة الاشياخ (6) حين تألفوا
وهل بقيت اسلافهم ام تخلفوا ولم يبق إلا رقم ما قد تكلّفوا
وما دوّنوا يحتوي على بطون الدفاتر
سلوا مسجد الزّراتي عثمان ذي النسب ومسجد أبي النجاة يونس (7)في الحسب
فيا مقصد الطلاب في العسر والخصب فجدّوا وأحيوا العلم كونوا على الدأب
ومن زاغ زاغ الله قلب البصائر

سلوا مسجدا يدعى بجامع غربة (8) صوامعه تسمو على سوق جربة
وصار لغير الجنس يا هول كربة بني صالح السّمومني (9) لله تربة
وكم مسجد أمسين عنكم نوافر
سلوا مسجد وادي الزبيب (10) لتعلموا على شيخها البحر المؤلف قاسم (11)
عليه من الرّحمان سحب مراحم ديار الحيلاتيّين(12) كانت مراسم
يذابون في جدال كلّ مناظر

(1)منظومة مخمّسة للشيخ سعيد بن أيوب الباروني (ق11هـ/17م) في علماء جربة. أخذ العلم بجربة على عدّة مشائخ بعدّة مساجد. وقد ذكر في هذه المخمّسة قرابة 25 عالما .

(2) القصبي : هو أبو حفص عمر بن أبي ستة القصبي نسبة إلى حومة القصبيين بقلالة.

(3) هما مسلم بن أبي كريمة، وجابر بن زيد، رحمهما الله.

(4)دليل تتلمذه على الشيخ عمر بن أبي ستة.(5) يعني غار محمماج.

(6) يقصد مؤلفي ديوان الأشياخ.

(7)وهو الشيخ ابو النجاة يونس بن تعاريت.

(8) جامع الغرباء بحومة السّوق.(9)حاكم جربة في القرن 10هـ/16م.

(10) يعني مسجد ولحي بحومة وادي الزّبيب.

(11) يقصد الشيخ ابو الفضل قاسم البرادي.

(12) الحيلاتيّون نسبة الى اسرة الحيلاتي- بحومة جعبيرة- اشتهروا بالعلم والدين ومنهم الشيخ عبد الرّحمان الحيلاتي: رئيس العزابة في القرن 10هـ/16م، والشيخ سليمان بن أحمد الحيلاتي (ت 1099هـ/1667م).

سلوا مسجد لاكين(1) ان كان يسأل ولكن، عن التّساءل أنتم غفل
مجالسكم كانت به، والنّوازل ومسجد أبي كثير(2) للعلم محفل
وأحكامكم بالعدل وقف الأوامر
سلوا ليمسا(3) عن جادوي (4)سعيدها ونجله عبد الله ويحي فريدها
سليمان والشماخي(5) كانا عميدها منازلهم للبوم أضحى غريدها
كان لم تكن بالامس قط عوامر

سلو غزويسن (6)دار علم غدت طلل أجل واسألوا عمّن بها نظم الجدل
وعن صالح المغراوي(7) ذي القول والعمل افنا عملهم فيها زمانا وقد أفل

وأين بقايا جذر أهل البغاطر(8)

مشائخى أبي الجلود(9) لم تخف في العدّ شيوخ بها كانوا يقيمون للحدّ
على كل ذي طعن فيحيون بالرّدّ ومن دان بالتأويل من كّل مائد
قضوا نحبهم والدار امست دوامر
شيوخ اساس العلم قوم عباهل وكهف لمن حلّت عليه النّوازل
وبحرهم في العلم لا له ساحل وسيرتهم غرّا عليها دلائل
وفي الله لا يخشون لوم الجبابر

---

(1) مسجد لاكين: يوجد بحومة غيزن. ويقال له تلاكين: إشارة إلى إقامة النوازل به.

(2) مسجد أبي كثير: يوجد بحومة تغديمس.

(3) يقصد مسجد ليمس، بحومة آجيم.

(4) يعني علماء الجادوي، الشيوخ: سعيد، وعبد الله، ويحي، وسليمان.

(5) يعني أسرة الشماخي. ومن علمائها الشيوخ: عبد الله، وسعيد، وأحمد.

(6) يقصد عائلة التغزويسني. ومنهم الشيخ محمّد بن سعيد التغزويسني. وإليهم ينسب مسجد تغزويسن، بحومة بازيم.

(7) هو الشيخ صالح المغراوي الذي أخذ عنه الشيخ يعيش بن موسى الزّواغي.

(8) البغاطر، ج البغطوري: نسبة الى بغطورة، بجبل نفوسة. وأسرة البغطوري موجودة بحومة والغ.

(9) إشارة إلى مشيخة أسرة ابن جلود التي حكمت جربة، طيلة قرنين من الزّمن (من القرن 10هـ/16م إلى القرن 12هـ/18م).
وإليهم ينسب مسجد الشيخ بحومة القشعيين.

سلوا كلكم جمعا تلك المساجد وماذا دهاها من خراب السعابد
فصارت خلا والبوم فيها غوارد وكانت معينا للذي جاء وارد
شكوت إلى ربّ معين وناصر
فيا معشر الاخوان هل من مكاتب يردّ جواب النّظم هل من مخاطب
الا عمّروها ثم كونوا نوادب واحيوا مجالس العلوم (1) قواطب
فهانوا أهان الله تلك المشائر
فيا جملة الإخوان جدّوا وشمّروا واحيوا مجالس العلم وعمّروا
وللامر بالمعروف والنّهي ناصروا وعضوا على الدّين القويم وصابروا
فهل علم يجلو كساد الخواطر
سلوا مسجدا عن دولة الفرس وعن شيخها المعروف نسبته يونس(2)
أقام بها دهرا على الجدّ والحرص وجمّ تلاميذ يهاجر للدرّس
تهجّدهم بالليل وقت الأسامر
سلوا مسجد يزار عند المضائق(3) به عمر المكانسي بدر السّوابق
فيا خالق الإنسان من ماء دافق تحصّنت بالقرآن من كلّ طارق
توسّلت بالبرادي (4) منشي الجواهر
سلوا مسجد يعيش قرب ديارهم وقبر يفاو (6) الأبدلاني جوارهم
على الرّسم والأطلال ثمّ اثارهم وقد درست في الأرض حتّى حجارهم
ألا أحد يزور تلك المشاهر
سلوهم عن استفهام ما الشّأن والخبر وكيف وما بنا عفا الرّسم والاثر
فهل باكيا لله يبكي ويعتبر ويمضي إلى العلوم يقضي بها وطر
فهيهات قد جرّت ملاما مقادر

---

(1) إشارة إلى النشاط العلميّ المكثف تحت اشراف علماء العزّابة.
(2) إشارة إلى أسرة اليونسي .
(3) يقصد مسجد بوليمان بحومة صدغيان .
(4) هو الشيخ أبو الفضل قاسم البرّادي، صاحب كتاب الجواهر المنتقاة لمّا أخلّ به كتاب الطبقات.
(5) يعني مسجد يعيش، بحومة جعبيرة وينسب إلى الشيخ يعيش بن موسى الزّواغي(قرن 8 هـ) .
(6) يقصد الشيخ سيفاو الأبدلاني.

فأين البلازي (1) والمثاني(2) بأسرهم أين بنو المعلا (3) كانوا بعصرهم
ودار بني ويران (4) فصل من أصلهم سقوا بكأس الحتف صرفا كغيرهم
بحزم المنايا وابتغوا فضل غافر

فيا غربة الدّين الإباضي بعدهم وقد صار في الأدبار كوكب سعدهم
وجربتنا الغرّاء قد هدستهم وكانت بها أسد تعدّر عدّهم
فصارت جموع القوم عنا ظواهر

ليهنأكم ياسا معين مخمّسي ويحفظكم من طارق الجنّ والانس
وذكركم في القلب زاد به أنسي وحبّكم في الله فاض على نفسي
صلاتي على النّبي الشّفيع المهاجر

فيا جملة الإخوان يا معشر الكرام سعيد يجيبكم بالف من السّلام
ويقرئكم منه التّحية والإكرام ويرغبكم دعاه في سائر الايام
يبارك في رياض تلك المحاضر

قال صاحب الإنشاء المنظوم، والأسلوب المرسوم : هذا ما نسخ به البال ونطق به اللّسان، والحال انّما اودعناه تذكرة للإخوان وبنيّة السّلف الصّالح ومن ألقى السّمع، وهو شهيد.

والمطلوب منكم التزوّد بالدّعاء في مشاهد الجزيرة كما، لكم علينا مثلها في مشاهد الجبل. والله يتولّى القبول. ومنّا لكم السّلام.

ومن أصلح فسادا فإنّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملا. من الدّاعي لكم سعيد بن أيوب الباروني.

---

(1) يعني أسرة البلاّز اليسوتني. ومنهم الشيخ عمر البلاّز اليسوتني، النفوسي

(2) يعني أسرة المثني. وإليهم ينسب مسجد المثانية، بحومة آجيم .

(3) يعني أسرة بني المعلا. ومنهم الشيخ عبد الرّحمان بن المعلا، الأريغي– نسبة إلى وادي أريغ–.

(4) يعني أسرة بن ويران. وإليهم ينسب مسجد بن ويران، بحومة آجيم.

علماء جربة (I)

حيّي بجربة أعلاما نوابعها ... وهم قواعد أسّا عوامرها
الباسطين (1) التي أقوت(2) حفائرها(3) ... والعائشين التي تحوي حوائرها (4)
فأحمد القصبي بل عبد لخالقه ... سليل أحمد زاكي النفس قاهرها
وعصبة بمقام البرج (5) حلتها ... أبو علي (6) بنوه هم تحاريرها
سليل يحي (7) وعبد الربّ سيّدنا ... وابن أحمد من أسمى نوادرها
إمامنا أحمد المهدي فتى عمر ... وصدغيان فإني الآن ذاكرها
دار ابن موسى المعديّ صالح وسليمان (8) ... وأحمد مفتيها وطاهرها
والحبر داوود الهوّاري نسبته ... بالعلم والحكم أهل لأرض هائرها
وأخصّص بخلف يحي (9) ثمّ قدوتنا ... عيسى وعمرورفيع الشان عامرها
قلاع جربة يرعى الله ساكنها ... من كان حيّا ومن ضمنت مقابرها

(I) منظومة للشيخ سالم بن غسّام بن محمّد العماني، في علماء جربة.

(1)الباسطين: الموتى.

(2) أقوت : تغيرت .

(3)حفائرها: مقابرها.

(4)حوائرها : أحياؤها .

(5)مقام البرج : إشارة إلى حومة البورج بصدغيان.

(6)أبو علي وبنوه : يعني أولاد علي بحومة جعبيرة.

(7)سليل يحي : يعني الشيخ عبد الرّحمان بن يحي .

(8)سليمان: هو الشيخ سليمان بن عبد الله بن أبي زيد.

(9)يحي : هو الشيخ يحي بن عبد الرّحمان المكناسي

علماء جربة (1)

لكم في قلوب المشفقين منازل ... وهنّ بذكراكم عمّار أواهل
لنا فيكم أهل المودة سابقا ... كما سلفت يوما عليه الأوائل
أيا عصبة الإيباض تباع سنة ... لقد سنّها المختار ثمّ العبادل
عليكم بما أنتم عليه من الهدى ... ولو قاومتكم بالقتال الجحافل
لكم جنّة الفردوس دون الذين هم ... إذا نو صحوا في الله هاذوا وجادلوا
فكم من تسمّى بالدّيانة والهدى ... ولكنّه غاو عن الرّشد غافل
إذا لم يبن منه صواب مقاله ... يوطئ ما قال الكرام الافاضل
فلو زخرفوا ما زخرفوا وتقوّلوا ... فما لم يواز الذكر ذلك باطل
فليست لهم في ديننا من ولاية ... إذا خالفوا في الدّين ما الله نازل
عموا الوجه عن نهج الصّواب وقد بدت ... لأهل النّهى والمبصرين الدّلائل
وقالوا شفاعة الرّسول صحيحة ... لمن تاب بالعصيان لوهو قاتل
كذلك لم يخلّد على النّار من عصى ... ومات مصرّا على الهدى الحقّ عادل
فتلك مقالات تزخر بالهوى ... وليس لأهلها عليها دلائل
فذاك غلوّ والغلوّ محرّم ... كذلك قد قال الرّبيع ووائل
وقد قسموا الأركان جورا وقولهم ... مقامتنا فيها تؤدّي الوسائل
نقول لهم لا في الكتاب مقالكم ... ولا عن نبيء الله تلك الأقاول
فهاتوا لنا برهانكم من مقالكم ... وقول بلا أصل غمام وزائل
وقولهم الأعمال توزن بالذي ... له كفّتان بل عمود وعامل
نقول لهم من صام شهرا وقامه ... من الوزن كم طلاله صح كامل
فما الوزن إلاّ القسط والعدل عندنا ... يميّز بالعدل الذي هو عادل
فما لم يكن جسما تراه نواظر ... فليس عليه المنّ والرّطل داخل
ولكنّها الأعمال توزن بالذي ... يميّز الأشياء حقّ وباطل
ولا عمل الانسان كالبقل وزنه ... وليس لميزان البقالة ثاقل
تكلفهم أهواؤهم ما يسوؤهم ... فياليت كانت لم تلدهم حوامل
فلمّا هم زاغوا أزاغ قلوبهم ... إلاه عن التقوى كما هو قائل
لعمرك ما الإنسان إلاّ ابن دينه ... وكلّ امرء يجزى بما هو فاعل
فهذا اعتقاد الصّالحين ومن يقل ... خلافا له في الدّين فهو الغافل

فيا عصبة حلّت نفوسا وجربة ومصعبا الزّاكين نعم الأفاضل
عليكم لواء الحمد والمجد والثنا يواصلكم بالمكرمات المواصل
فحق علينا وصلكم غير أنّها تحيكم قبل الوصال الرّسائل
عليكم سلام الله منّا تحيّة بما عقبت ريح الدّبور الشّمائل.

---

(1) منظومة للشّيخ محمّد بن عامربن راشد العماني، في علماء جربة.

علماء جربة (1)

في جربة حسان يوسف وابنه (2) ... لا زال يسمو نجمه غير آفل
ونسبته الحسناء من آل مصعب ... زكيّ ذكيّ القلب حلو الشّمائل
جميل المحيا صادق وسميدع ... صبور شكور ذكره غير زائل
بمثلهما الشيخان عمر وصهره ... محمّد الباروني باقي الأوائل
هما عصبة للدّين بالعلم والنّدى ... وتقوى إلاه العرش من الفعائل
اخانا في الولاية والنّسب ... مسمّى بصالح كثير الفضائل
كذلك من هذا القبيل اخو النهى ... بعبد العزيز إسم وخير الفضائل
سعيد بن يحي الجادوي قد اقتفى ... بوالده إذ نال جلّ المسائل
ويونس الباروني نجل محمّد ... تقيّ ذكيّ القلب حاوي الفضائل
حميد بحمد الله نجل سليمان ... مشمّر عن الذّراع خير باذل
ومن جربة أكرم بذي العلم والتقى ... مسمّى بيحي نجمه غير زائل
مشائخ علم بالجزيرة ثلّة ... نفوسة ومصعب وأهل المنازل
وقد جاهدوا في الله في كلّ مسجد ... بذكر وتعليم وفعل الفضائل
وهمت قريض الشّعر منّي تكلفا ... على قصر باعي في احتواء المسائل
وحلت بنا الاسوا وغربة إخوة ... وصدمة أزمان وجم الغوائل
وناظمها نجل لعمر بن صالح ... أبو القاسم الباروني لاهل الفضائل.

---

(1) منظومة للشيخ عيسى بن ابي القاسم الباروني، في علماء جربة. بعثها لأهل عمان.

(2) يعني: الشيخيين يوسف المصعبي وابنه محمّد.

علماء مدرسة الجامع الكبير

- الشيخ أبو مسور اليهراسني:

هو يسجا بن يوجين اليهراسني- نسبة إلى قبيلة بني يهراسن- التي كانت تستوطن الأراضي الممتدّة بين تطاوين وجبل نفوسة.
وكلمة يسجا أمازيغيّة الأصل، معناها: العمل الصّالح.
وقد اتّفق المؤرّخون على كنيته: بأبي مسور. وبها اشتهر، حتّى تنوسي إسمه الأصليّ. وكلمة مسورعربية الأصل معناها: العطاء.
قال البغدادي: في خزانة الأدب. جزء 2. ص 20 :

دعوت لما نابني مسورا فلبّى فلبّى يدي مسور

ومعنى البيت: دعوت مسورا لدفع نائبة نابتني. فأجابني بالعطاء .

- مولده ونشأته:

لم تحدّد المصادر التّاريخيّة سنة ولادته. إلاّ اننا نرجّح أن تكون ولادته في أواسط القرن الثّالث للهجرة، حوالي سنة 265 هـ/878م ، حيث تضعه المصادر التاريخيّة في الطّبقة السّابعة .
نشأ في رعاية والده: يوجين. فحفظ القرآن الكريم في كتّاب قريته، بنفوسة.
وأخذ مبادئ العلوم على بعض علماء جهته. فظهرت عليه النّجابة. وقويت رغبته في طلب العلم لذكائه، ورجاحة عقله.

- اختيار مدرسة شروس بنفوسة :

لمّا رأى والده اقباله على تلقي العلوم، واجتهاده في ذلك، اختار له مدرسة مدينة شروس: عاصمة القسم الغربي من جبل نفوسة العامرة بالسّكان، وبالعلماء. فقد كانت مركزا للثّقافة الإسلاميّة، وملتقى للعلماء. وكان كبير المدرّسين بتلك المدرسة: العلاّمة الشيخ أبو معروف ويدران بن جواد الشروسي.
قال أبو زكرياء: "كان أبو مسور يتعلّم عند أبي زكرياء يحي بن يونس السّدراتي. ثمّ انتقل إلى أبي معروف: فهما شيخاه".

- احتياجه بعد موت والده :

بعد دخوله مدرسة أبي معروف بشروس، بلغه موت والده. وهو لا يزال في السّنة الأولى من تعلّمه. فحزن كثيرا. ولكنّه تسلّى عن ذلك بأستاذه الذي كان والده الرّوحي. وسلّم أمره لله. وتوكّل عليه. فقد فقد نعم المعين. وصار محتاجا إلى ما يقتاته. فلا يجد إلاّ حبّ الشعير المتروك في بقايا حصائد المزارع.
قال أبو زكريّاء :
" كان أبو مسور فقيرا. فإذا وجد شيئا من الشّعير، بعثه مع الأطفال إلى بعض العجائز، لقليه. وإن لم يجد من يقليه له، صرّه بطرف إزاره، حتّى إذا انفضّ مجلس العلم، ذهب إلى خربة، يختفي فيها. فيبلّ شعيره بالماء. ثمّ يأكله نيّئا. ودام على ذلك برهة من الزّمن، لا يعلم بحاله أحد ."
وفي أحد الأيّام، لمّا قام التّلاميذ بعد الدّرس ، تقدّم إلى الشّيخ، يسأله عن عويص المسائل. ولمّا قام الشيخ، قام معه. فوقعت قدمه على

طرف تلك الصرّة فانحلّت وانصبّ الشّعير على الحصير. فخجل أبو مسور. وقام الشيخ يوبّخ الحاضرين، قائلا:
" يا معشر نفوسة، إنّكم لا ترفعون من رفعه الله ". فاعتذروا له لعدم علمهم بحال أبي مسور. وتقدّم أحدهم لكفالته. فحسنت حاله. وتفرّغ لطلب العلم هنيء البال. وبقي يدرس طيلة عشر سنين، يغرف من ذلك البحر الزّلال. ويختار النّفيس من معدنه: أبي معروف الشروسي الذي عرفت به أمّهات الفضائل، ومحاسن الأخلاق .

- اعتناؤه بجمع الكتب :

إلى جانب طلب العلم، كان أبو مسور يعتني باستنساخ الكتب وجمعها، معتبرا إقتناء الكتب أثمن ما يمكن امتلاكه. فهو يعرف قيمة العلم. لذلك ردّ على رجل لمّا قال له: " إنّها تجارة بائرة ". بقوله: " لمن ضيّع دراستها".
وطلاّب العلم قسمان:

-منهم من لا يهنأ له بال ،ولا يلذّ له شيء في حياته،إلاّ بالحصول على الكتب فهو دائما نهم. يتلهّف على اكتسابها. ويرى جمعها من الضّروريّات، بل من الواجبات التي لاغنى عنها. فهي سلاحه وعدّته.

-ومنهم، من ليس له في جمعها، إلاّ ما يضمن له معاشا. فهو يجري وراء المادّة فقط. ولا يلتفت إلى غايات العلم الأخرى، ومراميه السّامية.

-رجوعه إلى جربة :

بعد اتمام دراسته بجبل نفوسة،رجع المترجم له إلى جزيرة جربة. وقد بلغ الثّلاثين من عمره. ومعه زوجته النّفوسيّة، وابنه فضيل.

وسبب تزوّجه: هو أنّ شيخا من أخواله، بعثه ليخطب له امرأة. فأتاها أبو مسور. وذكر لها ذلك. فأشارت إليه أنّها تريد تزوّجه، هو دون الذي أرسله. فرجع إلى الشّيخ. وقال له: انظر من ترسل غيري. فقال له: "لعلّها تريدك .أما والله ما أخطبها عليك. "ثمّ مضى الشيخ إلى تلك المرأة. وخطبها لأبي مسور. فتزوّجها.

وكان استقبال سكّان جربة لأبي مسور بالحفاوة، والتّكريم. فقد توافدوا من كلّ مكان، للاحتفال بقدوم العالم الجليل، والمصلح الكبير. وكان يوما مشهودا. وأقام أبو مسور في قومه حاكما، ومعلّما، طيلة خمسين سنة. قضّاها في التّدريس، وتفهيم النّاس دينهم. فأصلح المجتمع. ونوّر العقول، والأفكار. فقد اشتهر بعلمه ورأيه السّديد. واعترف له أهالي الجزيرة بقدرته على تسيير أمورهم. فصار رئيسهم، ومفتيهم. وسار فيهم سيرة الحاكم الذي يذوب في النّاس. ولا يذوبون فيه.

فبعد أن كان اجتماع النّاس عند خاله خلف بن أحمد الزّواغي، أصبح المجلس عند أبي مسور الذي أصلح أمرهم. وبثّ فيهم علمه حتّى صارت لهم الكلمة النّافذة.

وانتشر علماؤهم في الجهات. مثل بنو الخير: في حومة آجيم، والورطانيون: في حومة تيواجن، وأولاد عمّار: في حومة قلالة، والبوليمانيون: في حومة جعبيرة، وبنوربّان: في حومة ربّانة، وغيرهم.

قال الشمّاخي:

" وبينما أهل جربة مجتمعين في محفلهم، إذ ورد عليهم كتاب من زواغة البادية، فيه: "سمعنا يا شيخ، أنّ النّكار يقعون فيك. ويؤذونك

بالهمز. فإن صحّ، نصرناك. وما علينا إلاّ الإزار، والسّلاح رغبة في نصرتك. "فقال أبو مسور: "مالي علم بهذا" .
وإذا بكتاب ثان من دّمر فيه :" بلغنا أنّ النّكار يسيؤون إليك. وإن صحّ نصرناك بعسكر أوّله عندك، واخره عندنا . فقال : " مالي علم بهذا ". وما استمرّ المجلس، إلاّ وكتاب ثالث من أهل نفوسة فيه ما في الأوّلين، وزيادة: "كسرنا عمد السّيوف، ونصلها. وهي ملصقة في أيدينا." فقال: "ما علم لي بهذا". فكأنّهم تواعدوا. فملىء النّكار رعبا، لمّا علموا من الحزم الذي يتحلّى به أبو مسور. فازداد عظمة، ووقارا عندهم. وأصبح بورعه، وعظمة شخصيّته، مرجعا لجميع أهل جربة.
ومن احياء السّير، و شدّة الشكيمة في اللّه تعالى ، أنّ الصّواب عندالمترجم له، يصغّر كلّ كبير. ولو كان أستاذه. فقد روي عنه أنّه دعا ذات مرّة، شيخه أبا معروف إلى مجلس التأديب لعتابه أمام هيئة العزّابة. فالخطأ عنده لا يجب أن يترك، ولو كان فيما يعدّ من الصّغائر. فهو ذو مبدإ متين في الحقّ والعقيدة والتّمسّك بالدّين.

- إنشاء المسجد الكبير:

كثر أتباع الشيخ أبي مسور. وازداد عدد تلاميذه. وغزا أنصاره كثيرا من الجهات المجاورة بالاحسان، واسداء المعروف. كما غزت تعاليمه أفكار النّاس. فأصبحوا أحرارا. يتّبعون الحقّ حيث كان. فقد قيل:
" خذ الحكمة من أيّ وعاء خرجت منه". واقبل الحقّ ممّن أتاك به. ورد الباطل عمّن أتاك به".
فكّر أبو مسور في بناء مسجد، يجمع المسلمين. وتكون به مدرسة لنشر العلم فيهم. وذلك في أواسط القرن 4هـ/10م. فقد ارتاد في

الجهات لاختيار الموقع المناسب، قبل أن يرجّح المكان الذي أنشأه فيه، بحومة الحشان، على بعد 4 كلم غربي حومة السّوق. فكان مركزا للمسلمين، وجامعا لشملهم. فهو يعلم مكانة المساجد في الإسلام.
وقبل اتمامه، عاجلته المنيّة. فأتمّه إبنه: أبو زكرياء فصيل. وأصبح من أكبر مساجد جربة. لذلك يسمّى: "بالجامع الكبير" .

- تأسيس مدينة حومة السّوق:

فكّر الشيخ أبو مسور في احداث مدينة تجمع السّكان، في مكان واحد. واختار لذلك الأرض التي أمام البلديّة الحاليّة. حيث بنى محرابا، ومسجدا للعبادة. وجعل فيها مكانا للاستفتاء، وآخر للبيع، والشراء. لذلك تسمّى: "مدينة حومة السّوق".
وكان التسوّق يوم الخميس. ثمّ صار يومي الإثنين، والخميس . وأصبحت هذه المدينة، التي أنشأها أبو مسور للتقاضي، والتجارة: عاصمة لجزيرة جربة.

تلاميذه:

- إبناه: فصيل ويونس.
- ويسلان بن أبي صالح.
- أبو محمّد عبد الله بن مانوح اللّمائي.
- أبو موسى عيسى بن السّمح الرّباني .
- أبو محمّد كمّوس الزّواغي .
- أبو عمران موسى بن زكرياء المزّاتي.

ذلك هو أبو مسور اليهراسني: علم من أعلام المعرفة، والفضل، والاستقامة، وجدّ أسرة عريقة في خدمة العلم، والدّين، قرونا متتالية.
وآخرهم الشيخ سعيد بن يوسف بن أبي مسور: ابن عمّ الشيخ أحمد بن محمّد بن أبي مسور.
قال الشيخ علي يحي معمّر: "إنّ شهرة أبي مسور في جربة، ذاعت بصفة جعلته: الحاكم الفعليّ للجزيرة، في العهد الفاطمي، حيث كانت مستقلّة استقلالا تامّا".
قال ابن تعاريت:
"أولاد أبي مسور عليهم مدار العزّابة. ولهم الاحترام من جميع النّاس".

وفاته:
لم تحدّد المصادر التاريخيّة سنة وفاته. إلاّ أنّنا نقدّر أن تكون وسط القرن 4هـ/10م، أي حوالي سنة 358هـ/969م. حيث توفّي، وهو في سنّ الشّيخوخة. فقد ذهب لزيارة خاله: ياتي المستاوي بحومة الفاهمين، وعاجلته المنيّة، هناك. وضريحه بروضة قرب مسجد الفاهمين، بحومة قلالة -رحمه الله-.

وقد نظمت فيه هذه الأبيات :

أبو مسور يسجا بن يوجين — الإمام الشهير وأسد العرين
تولّى الرّئاسة في جربة — وقد كان فيها القويّ الأمين
وفيها تربّى وشبّ على — دماثة خلق كريم متين.

- الشيخ أبو زكرياء فصيل :

يعدّ العلاّمة أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور اليهراسني، من علماء الطّبقة الثامنة.
ولد بمدينة شروس، بجبل نفوسة ،حوالي سنة 280 هـ /893م .
أخذ العلم عن والده: الشّيخ أبي مسور، وعن أبي خرز يفلا بن أيّوب الحامّي- نسبة إلى مدينة الحامّة-. فاجتهد وأصبح علاّمة، خاصة في أصول الدّين.

- تأسيسه لمدرسة الجامع الكبير:

بعد أن أتمّ بناء الجامع الكبير- أو جامع أبي مسور- نسبة إلى مؤسّسه أبي مسور- شرع في تأسيس مدرسته العلميّة التي دام التّدريس بها قرابة عشرة قرون. حيث تدفّق عليها طلاّب العلم، من داخل الجزيرة، ومن خارجها. وتخرّج منها العديد من العلماء من جزيرة جربة، وجبل نفوسة، ووادي ميزاب.
قال الدّرجيني: كان أبو زكريّاء يقول:
"منزل التّلاميذ كشّجرة الخرّوب". يعني أنّه لا ينبت حولها نبات. و إن نبت كان ضعيفا. وكذلك ما كان حول منزل التّلاميذ. ويقصد بذلك أنّ العناية الكاملة يجب أن تصرف إلى التّلاميذ، وإلى تعليمهم، وتربيتهم. وأنّ الاهتمام يجب أن يصرف كليّا إليهم.
وكان يصرّف الدّنانير بالدّراهم. ويجعل الدّراهم في قراطيس. ويعلّقها في ألواح التّلاميذ، أو يجعلها في أوعية دفاترهم، أو بين التّلميذ وثيابه. كلّ ذلك رغبة منه في كتمان الصّدقة .
وقد كان يحشد جميع قواه للعلم، والتّعليم -رحمه الله-.

تفكيره في نظام العزّابة :

ممّا اشتهر به الشيخ أبو زكرياء فصيل: تفكيره في نظام سمّي، بعد ذلك، بنظام العزّابة. يجمع شمل الإباضيّة .وينظّم حياتهم. ويحفظ كيانهم. خاصّة وأنّ عهد الظّهور قد ولّى. واختار تلميذه: أبا عبد الله محمّد بن بكر لتحمّل المسؤوليّة. وقد توسّم فيه الخير، لاجتهاده، وحسن تدبيره. فقد قال فيه :

" إنّ أصاب ظنّي، ولم تخطئ فراستي، فإنّ هذا الفتى يحيي الله به الدّين "

قال الدّرجينيّ في طبقاته .ج1. ص 363:

" وجّه أبو زكرياء فصيل ولديه: زكرياء ويونس، وابن أخته: أبا بكر يحي، وغيرهم، إلى أبي عبد الله محمّد بن بكر. وقال لهم: أطلبوه حيث ما وجدتموه. ولازموه. واقرأوا عليه. وحيث ما كان كونوا معه، ولو في شغل دنياه ".

فكانت الحلقة المباركة الصّادرة عن أكرم مشاركة: مسوريّة – بكريّة، بخطبة وإجابة، كانتا من الله .

وهكذا يكون الشيخ أبو زكرياء فصيل هو صاحب فكرة انشاء نظام العزّابة الذي لا يزال قائما إلى يومنا هذا، بوادي ميزاب. وهذا ما يدلّ على مكانته العلميّة ودرجته في الاجتهاد، ومنزلته عند الإباضيّة. فقد حوى من المآثر، والفضائل والمراتب، ما لم يبلغه أحد من أهل عصره .

- وفود العلماء إليه :

قال أبو زكرياء في السّيرة. ص25: ذكر أبو الرّبيع سليمان بن موسى:

" سار جماعة من أهل وارجلان. وفيهم عمران بن زيري، إلى جربة. فوافق وصولهم المسجد الكبير، عند صلاة الظّهر. فاطّلع عليهم أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور. فتهيّؤوا لمعانقته. فقال لهم عمران: " إنّه لا يصافحكم، في هذا الوقت". ولمّا قابلهم، قال: "سلام عليكم." وعدل عنهم. واشتغل بوظائف صلاته. فاغتسل، وصلّى. ثمّ عطف عليهم. وصافحهم.

قال أبو الرّبيع : " قدم رجل من مزّاتة، يقال له أبوتوزين إلى جربة، في زمان أبي زكرياء. فوافى المسجد بعد غروب الشّمس، قبل أن يصلّوا المغرب. والنّاس قد استقبلوا القبلة. فلم يقوموا إليه. ولمّا فرغوا من صلاتهم عانقوه بأجمعهم. وقال لهم أبو زكرياء : "نعم الرّجل: أبو توزين ". فقال: "بخير وعافية، وما أتيت إلاّ للزّيارة." فقال أبو زكرياء :" زيارتك زيارة. وحوائجك حوائج" .

قال أبو زكرياء : " بلغنا عن ثلاثة من المشائخ تكلّموا فيه".

فقال أحدهم: وهو أبو محمّد عبد الله بن مانوح : "لو كان الوحي ينزل في هذا الزّمان على أحد، لاستحقّ أبو زكرياء أن ينزل عليه ".

وقال الآخر: وهو أبو عمران موسى بن زكرياء : " لو كانت إمامة المسلمين في هذا الزّمان لاستحقّها أبو زكرياء ".

وقال الثالث: وهو أبو عبد الله محمّد بن بكر:" لو مسك خصال الخير كلّها بيده، وطلبت أن تزيده عليها خصلة واحدة ليست فيه، لما وجدتها ".

أبرز تلاميذه :

-أبو محمّد كمّوس الزّواغي (ت 431هـ/1038م) .
-عبد السّلام بن ورجون.
-أبو الرّبيع سليمان بن يخلف المزّاتي.
-ويسلان بن أبي صالح اليهراسني .
-أبو عبد الله محمّد بن بكر الفرسطائي.

وهكذا نرى أهميّة الشيخ فصيل، في بعث مدرسة الجامع الكبير، والتّدريس بها حتّى وفاته حوالي 378 سنة هـ/989م -رحمه الله- . وضريحه بهضبة خبلاش، بروضة المجاهدين، قرب الجامع الكبير، بحومة الحشان .

الشيخ أبو عبد الله محمّد بن بكر

يعدّ الإمام أبو عبد الله محمّد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائي النّفوسي من علماء القرن الخامس للهجرة. إذ أنهى دراسته سنة 408هـ/1017م .ولد ببلدة فرسطا، بجبل نفوسة.
وقد شاهدت آثار مسجده، وبيته، هناك.
أخذ العلم عن الشيخ سليمان بن ماطوس بجبل نفوسة، وعن الشيخ أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور بمدرسة الجامع الكبير بجربة، وعن الشيخ أبي نوح بن زنغيل بالحامّة. ثمّ قصد القيروان. وأقام بها مدّة يتعلّم اللّغة والنّحو، حتّى اكتفى من علم الفصاحة. ثمّ انتقل إلى قسطيليّة يبحث عن الشيخ أبي عمران موسى بن زكرياء، ليزيده من علوم الفروع .

- قعوده للحلقة وتأسيس نظام العزّابة :

قال الدّرجيني (1):

لمّا كان أبو عبد الله بمسجد المنيّة، بأريغ، والطّلبة الذين بعثهم شيخه أبو زكرياء فصيل يكرّرون الرّغبة إليه في أن يجلس لهم ويرتّب لهم الحلقة، إذ خرج رجل من تقيوس بجهة الجريد، متوجّها إلى الحاشة. وخرج معه صاحبه. ولمّا افترقا. نادى أحدهما الآخر: "أنت يا فلان". فأجابه: "لبّيك". فقال له : "اجعلها لله لا تخب ". أو قال : " افعل فعلتك لله، فلا تضيع ".

قيل: فلمّا سمعوا هذه المقالة، تفاءلوا بها. وأقاموا بها الحجّة على أبي عبد الله. فاوجب حينئذ على نفسه. وأجاب . فتأسّست أوّل حلقة، في مسجد المنيّة، بأريغ، سنة 409هـ/1018م. وكان عمله أسوة لمن كان بعده، من أهل العلم.

وهكذا أسّس نظاما يحفظ الدّين. ويجمع حوله مشائخ الإباضيّة بكلّ من جبل نفوسة، وجزيرة جربة، ووادي ميزاب، وأريغ، ووارجلان. لذلك يسمّى: "نظام العزّابة" .

وتكمن أهميّة هذا النّظام: في تماشيه مع مسلك الكتمان، زيادة على كونه لم يسبق له مثيل. فحتّى نظام الحلقات الذي اعتمد في البصرة، زمن أبي عبيدة، لم يكن بنفس الأسلوب .

قال الشمّاخي (2):

أقامه الإباضيّة مقام: الإمام – العادل، في جميع الأمور والأحكام. فقد استطاع بما أوتي من حكمة، ورشد، وسداد،أن يؤسّس:" نظام العزّابة" المنشود، بما يلائم ظروف الزّمان والمكان، ومستقبل الأجيال الصّاعدة وبما يكفل لهم سعادة الدّارين. فقد سعى إلى تكوين رجال عالمين بالله، وعالمين بأنفسهم .

قال أبو زكرياء (3):

"أصبحوا– أي العزّابة– يكابدون مؤونة العيش لأنفسهم ويجتهدون غاية الاجتهاد في عزمهم. فقد عوّدهم أبو عبد الله على الاجتهاد، والاعتماد

على النّفس. وقد ذاع صيته في الأوساط الإباضيّة فأقبلت عليه وفود من: قسطيليّة، ودرجين، وطرابلس، وإفريقيّة، لأغراض مختلفة.

- قدومه إلى جربة:

لمّا دخل أبو عبد الله وأصحابه جزيرة جربة ، أسرع الشيخ حتّى قدم الجامع الكبير، عند بني يهراسن. فصافحهم. وأقام فيهم ما شاء الله. ولم يزل كلّ من هناك، بين مفيد ومستفيد، حتّى عزم على الرّحيل. وتذكّر حينها، أيّام شبابه وخدمته للنّاس، وبرّه إيّاهم. وما كان يجد لذلك من لذّة، وارتياح. فتمثّل ببيتين من الشّعر، قائلا :

لله أيّام الشباب وعصره ولو استعير جديدها فيعار
ما كان أقصر ليله ونهاره وكذلك أيّام الشباب قصار

---

(1) الدّرجيني : الطبقات .ج1. ص 169.
(2) الشمّاخي : السّير.ص 384.
(3) أبو زكرياء: السّيرة .جزء 1 .ص 170.

- ذهابه إلى ميزاب :

كان الإمام أبو عبد الله يذهب سنويّا، في فصل الرّبيع، إلى ميزاب. وميزاب أو وادي ميزاب : مجموعة من المدن في منطقة الواحات بالجنوب الجزائري. وهي:غرداية، بني يزقن، بنورة، مليكة ،العطف برّيان، والقرارة.
وذلك لجمع شمل سكّانه، ولتجديد سيرة الحلقة هناك، على أساس النّظام الموضوع لها. فقد وضع شروحا لهذا النّظام، ولائحة داخليّة تعتبر مرجعا رسميّا له .

أمّا أطوار مجلس نظام العزّابة، فهي :
- الطّور الإنشائي: يهتمّ بإنشاء القوانين التي تضمن الوحدة بين السّكان.
- الطّور التّنفيذي: يسهر على تنفيذ قرارات المجلس، وتطبيق أحكامه.
- الطّور القضائي: وهو عبارة عن محكمة عليا لاستئناف الأحكام، وتعقيبها.

وفاته:

توفي -رحمه الله - بأريغ، سنة 440هـ/1048م. وضريحه بروضة الغار، في آجلو بتاجديت، بلدة أولاد عمر، بدائرة تقرت بالجنوب الشّرقي الجزائريّ. واشتهر المقام :"بسيدي محمّد السائح."

وقد انتقل الإمام أبو عبد الله محمّد بن بكر إلى الرّفيق الأعلى بعد أن أسّس "نظام العزّابة". فماهو تعريف هذا النّظام؟

كلمة العزّابة، مفردها: العزّابي. وتنطق باللّغة الأمازيغيّة: أعزابن. ومفردها أعزاب. وهي مشتقّة من فعل : عزب -يعزب -عزوبا. وتعني: العزوب عن شهوات الدّنيا، والانقطاع إلى أمور الاخرة. قال أبو حيّان التّوحيدي ، في شأن الخليل بن أحمد الفراهيدي:

عزوبا عن الدّنيا وعن زهراتها وشوقا إلى المولى وماهو واعد

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لسائل عن عمل إذا عمله الإنسان أحبّه الله وأحبّه النّاس:

" ازهد في الدّنيا يحبك الله. وازهد فيها عند النّاس يحبّك النّاس".

قال تعالى(1):

"وابتغ فيما أتاك الله الدّار الآخرة. ولا تنس نصيبك من الدّنيا".

والمعنى الاصطلاحي للعزّابي: هو العضو في الحلقة، أي الذي يتّبع سير الأوّلين. ويحافظ على مبادئهم العادلة. ويعمل بها. فالعزّابة هم جماعة من أهل الورع، والتّقوى، والصّلاح. ينتخبون لتكوين المجلس الذي يتولّى الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر باللّسان وكذلك باليد.

قال الدّرجيني(2):

"العزّابة واحدهم :عزّابي. وهذه اللّفظة استعملت لقبا لكلّ من لازم الطّريق. وطلب العلم، وسير أهل الخير وحافظ عليها. وعمل بها. فإن أحسن جميع هذه الأعمال، سمّي عزّابيّا. وإن حافظ على السّير والعمل بها فقط، سمّي به. و إن حصل على العلم دون السّير والعمل بها، والمحافظة عليها، لم يسمّ بهذا الاسم.

ويقوم نظام العزّابة بالأشراف على شؤون الجزيرة دينيّا ،ودنيويّا، بفضل هيئاته المختلفة. فهيئة مشائخ العلم، مثلا: تهتمّ بالمسائل الدينيّة، والعلميّة. وهيئة مجلس الحكم تهتمّ بالمسائل القانونيّة.
فشيوخ العزّابة يسهرون على تنظيم الأنشطة الاجتماعيّة، والاقتصاديّة بجربة.
قال ابن تعاريت :
"إذا حدث أمر هامّ يتعلّق بمصالح السّكان، يرجع إلى مجالس العلماء. فيبتّون فيه الرّأي"
فمجالس العلم، والحكم كذلك، في الجزيرة ، كانت شوريّة.
قال الحيلاتي:
"تجدهم مع غزارة علمهم، وجلالة قدرهم، لا يستغنون عن بعضهم."
وقد حافظ أهل جربة على المدرسة الإباضيّة التي نشأت منذ القرن الأوّل للهجرة، وعلى نظام العزّابة الذي ينظّم حياتهم. فكانوا يطرحون مشاكلهم على شيوخهم العلماء الذين يتمتّعون بكامل الاحترام، وبخالص التّقدير.
وكان المتخاصمون يتقاضون عند القضاة المعيّنين من طرف مجلس العزّابة الذي ينعقد في أماكن متعدّدة داخل الجزيرة، حتّى لا يتعب المشائخ من التّنقل.فعندما يقع المجلس بمسجد تلاكين بحومة غيزن، يرتاح أهل هذه الحومة. وعندما يقع بمجلس بني ليمس بحومة آجيم، يرتاح أهلها. وهكذا كان مجلس العزّابة عبارة عن محكمة متنقلة، لا يريد المشائخ تجزئتها: خوفا من اختلاف الاراء، وتفرّق الكلمة، وانشقاق الجماعة.
وإلى جانب تنقل العلماء، وقع تغيير أماكن السّكنى، لبعض العائلات. كأن تنقل عائلات من حومة غيزن إلى حومة آجيم مثلا، أوالعكس. وذلك حسما للخلافات، والنّزاعات التي تحدث في مناطقهم. ووقع ذلك سنتي 642هـ/1244م، و682هـ/1283م.

فقرارات المجلس كانت تطبّق من طرف هيئاته، ليس داخل الجزيرة فحسب بل حتّى خارجها، في تونس، وطرابلس، واسطنبول، وغيرها.

وأهمّ عضو في مجلس العزّابة: هوشيخ الحلقة الذي يقوم بالوعظ، والتذكير. ويعلن الولاية، والبراءة: وهما من المبادئ الأساسيّة عند الإباضيّة. فقد طبّقهما إمامهم الأوّل جابر بن زيد (ت93هـ/711م)، عند نشأة علم الكلام والجدل في شأن العقيدة. وجعلهما الشيخ أبو عبد الله محمّد بن بكر من أسس" نظام العزّابة "،ومن مهام شيخ الحلقة الذي يجب أن يجتهد في طلب العلم، والأدب. وألا يكون مشغولا بالدّنيا.

قال الشيخ أبو الرّبيع المزّاتي (ت471هـ/1078م):

"إنّ الولاية والبراءة من الإيمان، لا يسع النّاس جهلهما ولا تركهما. فهما فريضتان على العباد".

والولاية: من ولى، أي :دنا وقرب. وتعني: ولاية الله لعباده، وتوفيقه إيّاهم وإعانتهم، ونصرته لهم.

قال تعالى(3):

" إنّ الذين آمنوا، وهاجروا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا. ونصروا. أولئك بعضهم أولياء بعض".

أمّا البراءة، فهي من برى: أي تخلّص، وبعد. وتعني: البغض، والشّتم للكافر على كفره.

قال تعالى(4):

"قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم، والذين معه. إذ قالوا لقومهم إنّا برآء منكم وممّا تعبدون، من دون الله . كفرنا بكم. وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا، حتّى تؤمنوا بالله وحده."

فإذا ثبت لدى هيئة العزّابة أنّ شخصا ارتكب ذنبا، أعلن شيخ الحلقة البراءة منه. وذلك بأن يذكر بعد صلاة جامعة في المسجد، أنّ فلان

بن فلان في براءة المسلمين، لفعله: كذا وكذا، ولكسره حرمة المسلمين، أو غير ذلك من الرّذائل.
وإثر هذا الإعلان تكون: مقاطعة الشّخص، وعدم مكالمته، وزيارته وذلك حتّى يتوب. ويحضر بنفسه أمام هيئة العزّابة، في المسجد. ويعترف بذنبه، أمام الحاضرين. ويقول بصوت مرتفع:" تبت إلى الله، والمسلمين" ثلاث مرّات. وعند تقبّل هيئة العزّابة توبته، يدعوه شيخ الحلقة. ويلومه على سيّئته. ثمّ يلقي درسا مناسبا للمقام، حتّى يتّعظ الآخرون. ثمّ يعلن: أنّ فلان بن فلان في ولاية المسلمين. وبذلك تعود حياة هذا الشّخص إلى مجراها الطّبيعيّ.

وإلى جانب شيخ الحلقة نجد:
- إمام الصّلاة الذي يشرف على عقود الزّواج، في المسجد، إضافة إلى إمامة المصلّين.
- والمؤذّن الذي ينوب الإمام عند غيابه، زيادة على الآذان للصّلاة.
- قاضي البلد الذي يتولّى الفصل في النّوازل، بما يتماشى وكتاب الله، وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم.
ومن أعضاء مجلس العزّابة أيضا: وكيلا المسجد، ومقرئو المحاضر وغسّالو الموتى الذين يتولّون غسل الميّت، وتكفينه، ودفنه. والغسّالات: عضوات الهيئة النسائيّة التي تشرف على أحوال المرأة. وتربط الصّلة بينها وبين "مجلس العزّابة."
ومن آداب العزّابة : الورع، ومجانبة الرّيب وأهله.
قال أبو عمر وعثمان بن خليفة المازغني السّوفي :
مجالس العلم أربعة:
- مجلس ذكر الله، وتعليم العلم، وارشاد النّاس.
- مجلس المساجد للصّلاة، والذّكر.
- مجلس العمل للدّنيا.

-مجلس الدّار مع الأهل، والأطفال.

قال القطب:

"أمر العزّابة لازم لتوقيف الواجب: من الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، وأخذ الحقّ ممّن عليه، ولمن له. وإقامة الأحباس. وهو فرض كفاية.

وحتّى يكون الشّخص عضوا في هيئة العزّابة، يجب أن يكون: حافظا لكتاب الله ومستعدّا للتّضحية في سبيل الله.

وهكذا نرى أنّ نظام العزّابة له نفوذ دينيّ ودنيويّ. فهو يشرف على المساجد ونشر العلم، وعلى الأحباس، وتوزيع مداخيلها، وعلى الأسواق، وغير ذلك من المشاغل اليوميّة للسّكّان.

---

(1) سورة القصص . آية 77.

(2) الدّرجيني : الطّبقات .ج 1 .ص3.

(3) سورة الأنفال:الآية12.

(4) سورة الممتحنة:الآية96.

القانون الأساسي لحلقة العزّابة

- مقدّمة:

منذ القرن الخامس للهجرة ،عمل الشيخ أبو عبد الله محمّد بن بكر: مؤسّس سير حلقة العزّابة ،على أن توجد، في كل مدينة هيئة تشرف على: نظامها، وحراستها وتوجيه الرّأي العام ، والقيام بواجب الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، والاشراف على سير الثقافة، وتطبيق معالم الدّين الإسلامي في المجتمع. فأنشئت بيئة دينيّة تسمّى: " بهيئة العزّابة" ، تحت رئاسة شيخ.

وضع الشيخ أبو عبد الله محمّد بن بكر، وتلاميذه، أنظمة تلزم الحلقة بالسّير في نهجها. وهي المسمّاة: بسير الحلقة. ويمكن اعتبار هذه السّير: "القانون الأساسي".

الفصل الأوّل

تتألف" هيئة العزّابة "من إثني عشر عضواً ،وشيخ يترأسهم . ولكلّ مهمّة يؤدّيها، داخل الحلقة. وإن اقتضت الضّرورة، زيادة عدد الأعضاء. وروعيت في ذلك المصلحة العامة.

الفصل الثاني

تهدف هذه الحلقة إلى أداء واجب الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر والإعلان ببراءة من أخلّ بواجب، أو ارتكب منكراً. والسّهر على تنشيط الثقافة الدينيّة ، وتطبيق معالم الدّين الإسلاميّ في المجتمع . والتّفاني في خدمة الأمّة: كالقيام بوظائف المسجد، والتعليم، والسّهر على توفير الأمن بالمدينة. ويخوّل لها أن تتّخذ الوسائل الضّروريّة لذلك ،في حدود إمكانيّاتها، وصلاحيّاتها. ومن شأن هذه المنظّمة الاشراف على التّجاوزات ، وعلى أن تكون المعاملات في الأسواق، طبقاً لمتطلبات فقه المعاملات.

الفصل الثالث

تتوزّع الوظائف داخل الحلقة كما يلي: إمام، ومؤذّن للصّلاة، وثلاثة يشرفون على التّعليم الدّينيّ، بالمحاضر. ووكيل عن ممتلكات المسجد، ونائبه . وخمسة يتولّون تجهيز الموتى.
وجميع العزّابة يعتبرون تلاميذا لشيخ الحلقة .

الفصل الرّابع

يشترط في كلّ العزّابة، والشيخ : التّقوى ،والصّلاح، وحفظ القرآن ، واعطاء المثال اللاّئق في السّلوك ، والأداب، والتواضع . والابتعاد عن الموبقات وأماكنها ، وعن كلّ ما يمكن أن يدنّس شرفهم .كما يجب عليه تجنّب المشاركة في الفتنة، والفوضى. وإن اتّهم أيّ عضو بمخالفة ما ذكر، أو بعضه، فإنّه يعزل إن أصرّ بعد الانذار.

الفصل الخامس

يجب أن يكون الشيخ : حاذقاً، عادلاً، متضلّعاً في العلوم الدّينيّة. ويتعهّد بالتّدريس .وترجع إليه الفتوى في المدينة. وإليه الكلمة النّهائيّة في جميع القضايا التي تهمّ الحلقة.
أمّا الإمام، فيختار كما يلي :
يجتمع الشيخ بالأربعة القدامى من العزّابة، لتقديم من هو أفضل في العلم، والسّلوك، والورع للإمامة .
أمّا المؤذّن، فيجب أن يكون: عارفاً بأوقات الصّلاة، ومواظباً عليها، في أوقاتها. ويقدّم كذلك من قبل الشيخ، والأربعة القدامى في الحلقة.
أمّا الوكيل عن ممتلكات المسجد، فعليه: الحرص على أموال المسجد وصرفها في وظائفها. وله نائب يخلفه، ويعينه، ويراقبه في أعماله.

الفصل السّادس

تعطى الأولويّة داخل الحلقة، مع الشيخ العمدة للقضايا التي تهمّ الحلقة. ويرجع إليهم اختيار عضو جديد، أو عزل أحد من العزّابة، إن ظهر فيه ما يبرّر ذلك .

الفصل السّابع

يجب على كلّ عضو أن يتفانى في خدمة الأمّة، والوطن. وأن لا يصرف أغلب أوقاته في أغراضه الشخصيّة. وأن يكون مواظباً على عمارة المسجد، وراغباً في التعلّم. كما يجب عليه حضور الجلسات. وإن تغيّب عن ثلاث جلسات متوالية، بدون عذر مقبول، يعتبر مفصولاً من الحلقة. كما يعتبر كذلك معزولاً من سافر بدون إذن.

الفصل الثّامن

يعتبر المسجد الرّئيسي بالمدينة: مركزاً للحلقة. وفيه تعقد اجتماعاتها.

الفصل التاسع

إن حدث، لا قدّر الله، خلاف جوهريّ داخل الحلقة، بحيث يتعذر على أعضائها القيام بوظائفهم مجتمعين، يخوّل للشيخ أو رئيس الحلقة، أو وكيل المسجد، على اختلاف ما يجري به العمل في المساجد، أن يستدعي من يراه صالحاً: من شيوخ أو أعضاء الحلقة من المدن الأخرى، لتسوية الخلاف، وإيجاد الحلول المناسبة لها.

الفصل العاشر

يشرف الوكيل على تنظيم موارد المسجد، وصرفها فيما يعود بالنّفع له. تتكوّن أموال المسجد من: تبرّعات المحسنين، والوصايا، والهبات والأوقاف العقاريّة والمنقولة. وتصرف هذه الأموال فيما يؤول بالنّفع. مثل: تجهيز المسجد أو إصلاحه أو توسيعه، أو توسيع المدارس القرآنيّة التابعة له. أو زيادة مسجد، متى اقتضت الظّروف ذلك. ويصرف قسم من أوقاف المسجد على شكل صدقات، داخل المسجد، في كامل السّنة أو خارجه، في المواسم المعيّنة لذلك. ويراعى في ذلك نيّة المحبّسين.
وللأربعة القدامى في الحلقة محاسبة الوكيل.

الفصل الحادي عشر

تنعقد الجلسات الأسبوعيّة العاديّة للحلقة، في المسجد . وتنعقد جلسات استثنائيّة إن دعت الحاجة إلى ذلك. وباقتراح من المسؤول ، حسب ما يجري به العمل، في كلّ مسجد .

الفصل الثاني عشر

جميع أعضاء الحلقة، والشيخ، يعملون تطوّعاً لوجه الله تعالى. ولا يتقاضون أجرة .

ملاحظة : جددّ الاتفاق بين جميع أعضاء حلقة العزّابة ، والشيخ ، بمدينة غرداية يوم 3 ذي القعدة عام 1381هـ. الموافق ليوم 8 أفريل عام 1962م، على احترام السّير الجاري به العمل منذ القديم. وسجّل هذا الإتفاق في محكمة غرداية، يوم 13 أفريل سنة 1962م، تحت رقم 67/261.

العزّابة (1)

يا سائلاً عن عزّابة الشمال متى ... وكيف كان بدا ينشقّ عنها الغلاف
بالمسوريّة والبكريّة انتعشت ... دوحات وادي القرى بين الرّبا والجفاف
بين مسالك دين الله شقّ لها ... طريقها فهو أنشاها خلف كلّ خلاف
في مدّة الأشهر الحرام أربعة ... تمحّض الكون عنها في أناس ضعاف
خيط رقيق لدى جنبيه منتهجا ... العزّ بين مطاويه لكلّ كفاف
في سورة القصص المثلى لنا عبر ... ما ضرّ قارونهم لو لم يملّ انحراف
لا تنس حظّك في الدّنيا لدى أحد ... لا تبغ فيها فسادا أو تعش باختطاف
في آل عمران نور ساطع وهدى ... بين الجموع يقيهم سوء داء الرّعاف
إن كنتم أمّة للنّاس قد خرجت ... بالخير تأمر والمعروف والإئتلاف
في سورة النّور الفينا جلاء عمّى ... لمن تذوّق بالفهم مذاق العفاف
في سورة الحجّ وعد الله للرّوسا ... إذا أقاموا حدود الله دون اقتراف
الحكم لله لا للخلق مصدره ... فيما قضاه ولو كان لعبد مناف
وليس للمرأة الحسناء أيّ هوى ... ففي النّساء حسام قد يثير الخلاف
تألّفت من شباب نابه ورع ... إن يسمعوا الغوث من خفّ أتوه خفاف
في شكلها هرم لم يبله هرم ... ما لم يمسّ بداء الجهل والاعتساف
مثلّث السّند الأقوى له صلة ... قريبة برسول الله قبل خلاف
تلمع من لمع الذّكر الحكيم فلا ... ثمّة فيها غلوّ أو غريب الخراف
وفوقها مجلس يصون وحدتها ... يدعى بعمّي سعيد كحجاب لحاف
طوى التّدون سنين بعد رستمنا ... حتّى أتانا سليما دون أيّ كتاف
في أوّل القرن للخمسين هجريّة ... بعد مرور سنين في البلاد عجاف
ثمارها لعباد الله دانية ... لكلّ من رام منها الأخذ والأقتطاف
وسيلة الحكم منها لاتحسّ سوى ... صميم قلب سقيه النّاس طيّ الشفاف
لا المال يغري ولا لأموال مطلبنا ... إلاّ المرور إلى الله بدون اعتكاف
شعارنا سمتنا لون البياض على ... لون لباس رسول الله غير غداف
وهذه الصّفة العليا بها أشرت ... فمن تحرّف عنها باء بالانحراف
تفجّرت بفيوض الله رحمته ... من تحت طيّ لسان النّاس كلّ ضفاف
ألا اجعلوها له سبحانه علنا ... بمثل هذا دويّ جواحن بالهتاف
تنفّس الصّعداء خير نبتتنا ... لمّا التقوا بالإمام في ختام المطاف
كم بذلوا الجهد في الالتحاق به ... والصّابرون لهم أجر بكيل الجزاف

مسجد تقيوس نلت الفضل أجمعه
كان لنا من جراح الدّهر نعم اللّفاف

لله كم صادفت في طيّها عبرا
فيها لحسن نوايا القوم خير لطاف

---

(1) قصيدة للشّيخ أبي اليقظان إبراهيم، في العزّابة.

الشّيخان زكريا ء ويونس إبنا الشيخ فصيل:

أخذ الشيخان زكرياء ويونس، إبنا الشيخ أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور العلم عن والدهما: الشيخ فصيل وعن الشيخ أبي عبد الله محمّد بن بكر الفرسطائي النّفوسي . ولمّا استكملا حظّهما من العلم ،اشتغلا بالتّدريس بمدرسة الجامع الكبير، الى جانب نشر نظام العزّابة. حيث كانت الزّيارات متبادلة بين تلاميذ أبي عبد الله محمّد بن بكر، وتلاميذ أبي زكريا ء فصيل .

قال الوسياني (1) :

" بقي الشيخ زكريا ء بن الشيخ فصيل بن أبي مسور اليهراسني يتفقّد أهل الدّعوة في جربة، آمراً بالخير، وناهياً عن المنكر، معلماً السّير، ومميتاً للبدع . هذا دأبه ، حتّى توفّي - رحمه الله - سنة 508هـ/1114م.

وإثر وفاته، ترأس أخوه: الشيخ يونس حلقة العزّابة.

قال الدّرجيني (2) :

" بلغنا أنّ الشيخ أبا القاسم يونس بن أبي زكرياء فصيل بن أبي سور اليهراسني، قد عوّد نفسه القيام بالليل للتهجّد ، في الجامع الكبير .

وذات ليلة، خرج من منزله البعيد. ومرّ على مقبرة . فناداه شخص: يا أبا القاسم، إلى متى ننتظرك. ولم تأتنا ؟ فمضى باكياً.

ولمّا وصل المسجد، أخذ في الصّلاة، كما كان يفعل عادة ،إلى مطلع الفجر . ولمّا بدأوا في القراءة، أخذ يقرأ معهم ، والدّموع تسيل على خدّيه وعلى لحيته ، حتى طلعت الشّمس . ولمّا ختموا سأله أحدهم . فأخبره بالقصّة . وقال :

" ما أظنّ أجلي إلا قد اقترب" .

فأخذ في تنفيذ وصيته، ووداع إخوانه. ولم يزد إلا أيّاماً قليلة - رحمه الله -.

ثمّ خلفه إبنه : الشيخ سليمان الذي قام بالمدرسة وشؤونها ، وبالمسجد ولوازمه، أحسن قيام .

ثمّ خلفه إبنه: الشيخ يوسف الذي كان له موقف مشرّف أيّام فتنة درغوث التّركيّ. حيث استطاع توقيف القتال بين أهل جربة ، وجيش المعتدي .

---

(1) الوسياني .السّير . ص 58.

(2) الدّرجيني . الطّبقات . ج 2 . ص 191 .

الشيخ أبو صالح اليهراسني:

هو العلامة الشيخ أبو صالح بكر بن قاسم اليهراسني – نسبة إلى قبيلة بني يهراسن.-
ولد في بني أزرن في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة، حوالي سنة 270 هـ / 883 م فهو من علماء الطبقة الثامنة .
قال أبو زكريا في" السّيرة وأخبار الأئمّة ":
كان أبو مسور – رضي الله عنه – أسنّ من أبي صالح بعشر سنين .
وأبو صالح أسنّ من أبي زكريا ء بعشر سنين."
أخذ العلم عن أبي الرّبيع سليمان بن زرقون المزّاتي – نسبة إلى قبيلة مزّاتة - ثمّ انتقل إلى جربة. واستوطنها.
وكان حريصاً على الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، والمحافظة على دين الله . وكان يعرف بتواضعه، وكرم نفسه .
و كان يذهب إلى جبل دمّر للقيام بالدّعوة - رحمه الله - .

اجتهاده :

قال الدّرجيني في طبقاته (1) :
ذكر أنّ رجلين اختصما إليه، بجزيرة جربة. أحدهما باع الآخر سلعة بستّين . ولم يسمّ نوع العملة. فقال المشتري :" إنّني اشتريت بدنانير النّحاس ." وقال البائع :" إنّ لي عليه ذهب" . وقال المشتري :" لا أعرف الذّهب " . فقال أبو صالح للبائع: "خذ منه ما ذكر، وإلاّ فخذ سلعتك " . وذلك لأنّ أهل جربة يعرفون التبايع بالنّحاس. و لا يعرفون الذّهب .
وذكر أنّ رجلاً من بني يهراسن كان يتصدّق بماله . فجاء بنوه إلى أبي صالح شاكين بأبيهم. وذكروا له أنّه أتلف المال. وتركهم فقراء .
فقال له أبو صالح : "مالك وبنيك؟ زعموا أنّك أتلفت المال ".

فقال الرّجل ". أأفعل كفعل الذي نزلت فيه الآية:
"والذين يكنزون الذّهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم"(2).
فاستحسن أبو صالح ذلك، رغم أنّه صدر من رجل عامّي .
توفّي في النصف الثاني من القرن الرّابع للهجرة، العاشر للميلاد : حوالي سنة 368 هـ / 979 م – رحمه الله - .

---

(1) الدّرجيني .الطبقات .ج 2 .ص 353.
(2) سورة التّوبة. الآية 34.

الشيخ ويسلان بن أبي صالح:

هو الشيخ أبو محمّد ويسلان بن أبي صالح اليهراسني .
أخذ العلم عن والده الشّيخ أبي صالح ، وعن الشّيخ أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور، وعن الشيخ أبي عمرو التميلي . وأصبح مرجعاً للفتوى، ومشهوراً بآرائه الفقهيّة .
اشتغل بالتدريس في مدرسة الجامع الكبير. وأفنى عمره في التعليم، والاصلاح . ويكفيه شرفاً: أنّ أوّل حلقة لتطبيق "نظام العزّابة" كانت على يديه .
قال الدّرجيني (1) :
قصد الطّلبة – يعني : أبو الرّبيع سليمان بن يخلف المزّاتي ، ويعقوب بن يعدل، ومصالحة بن يحيى ، وغيرهم ممّن تقدّمت له قراءة علم الأصول ،والنّظر على الشّيخ أبي عبدالله محمّد بن بكر. قصدوا أبا محمّد ويسلان بن أبي صالح. ورغبوا إليه في أن يجلس لهم. ففعل - رحمه الله- .

أبرز تلاميذه :

- ماكسن بن الخير القيرواني .
- أبو الرّبيع سليمان بن يخلف المزّاتي(ت 470 هـ / 1078 م) .

أهمّ مؤلّفاته :

- كتاب الوصايا والبيوع . وقد أعانه على تأليفه ثمانية من تلاميذه، وهم :
حمّو أفلح ، وأحمد بن ويجمن ، وعبدالرّحيم بن عمرو ، وعبدالله بن عيسى ، ويحي بن ويجمن ، والعزّ بن تاغريت ، وحمّو بن أبي عبدالله، ويحي بن يبدين - رحمهم الله -.

الشّيخ ماكسن بن الخير:

هو الشّيخ أبو محمّد ماكسن بن الخير القيرواني – نسبة إلى مدينة القيروان – حفظ القرآن الكريم تلقيناً ، إذ أنّه أصيب في بصره ، وهو ابن سبعة أعوام .
أخذ العلم عن الشيخ أبي محمّد ويسلان بن أبي صالح ،بمدرسة الجامع الكبير . وكان من أنجب تلاميذه . وكلّ من رآه لاحظ ذكاءه، وبراعته، وحدّة فكره، وحضور ذهنه.
وكان الشيخ أبو الرّبيع سليمان بن يخلف المزّاتي – نسبة إلى قبيلة مزّاته – (ت 470 هـ / 1078 م) مفتاح باب الخير عليه. فكان يقرأ عليه الكتاب . وإذا قرأ باباً، ردّدا معاً مسائله. وهكذا كانت عادتهما رحمهما الله -.

وذكر عن المترجم له أنّه قال :
" أقبلت وأصحابي من الحجّ ،في إثنى عشر رجلاً: كسليمان بن موسى الزّلفيني، وعبدالسّلام بن عمران النّكسي ، ومحمّد بن عيسى بن إبراهيم ، وغيرهم . ووصلنا طرابلس. واشترينا منها كسوة . ودخلنا جربة . فشكروا لنا ذلك واستحسنوه . ودخل عليهم من السّرور ما لا يوصف . حتّى قال لهم زكرياء بن الشيخ فصيل لقد عاملتمونا في زيارتكم هذه بما لا نستطيع أن نؤدي حقّه. وقابلتمونا مقابلة عظيمة، لا تقوم ألسنتنا بشكرها. وإنّ اختصاصكم إيّانا بقدومكم علينا، في تلك المشاهدة الشّريفة، ومشاهرتكم لنا، ليقوم عندنا مقام قدوم جميع السّلف، من أئمّتنا وأشياخنا، من عهد أبي عبيدة إلى اليوم . فالله يتولاكم .

الشيخ سليمان بن يخلف:

هو العلامة الشيخ أبو الرّبيع سليمان بن يخلف المزّاتي - نسبة إلى قبيلة مزّاتة -
أخذ العلم عن الشيخ أبي عبدالله محمّد بن بكر في أريغ، وعن الشيخ أبي محمّد ويسلان بن أبي صالح بمدرسة الجامع الكبيربجربة. ثمّ اشتغل بالتّدريس فيها .
قال الدّرجيني في طبقاته . ج2 . ص425 :
" أفنى عمره في الدّراسة، أيام الشباب . وفي حفظ كتب الفقه، كتاباً بعد كتاب .
حتى برز، وظهر بين النّجباء . ولمّا بانت فضيلته، تصدّر للتدريس، وإفادة كلّ جليس فأحيى الله به طرق الصّلاح . وفتح له أبواب الخيرات . وخرج من تلامذته كلّ نجيب . وقيّد عنه كلّ جواب مصيب ، وتصنيف عجيب."

- وصيّته لتلاميذه :

ذكر عنه أنّه عام أحد وسبعين وأربعمائة (471 هـ / 1078 م) لمّا شيّع تلامذته، وقفوا لموادعته . وقال أحدهم :" أوصنا يا شيخ" . قال :"قد عزمت على ذلك، ولو لم تقله لي" . ثمّ أضاف :"امضوا بالسّلام." فإذا وصلتم إن شاء الله منازلكم، فإيّاكم والدّنيا أن تستقبلوها بوجوهكم . فإنّ من استقبلها أغرقته . ومن استدبرها فلابدّ أن تأخذ منه . وعليكم بالألفة والنّصيحة، والتّزاور، وحفظ مجالس الذّكر . وإيّاكم وأموال النّاس، والتقصير فيمن يرد عليكم من أهل دعوتكم . والسّلام ".
توفّي - رحمه الله - سنة (471 هـ / 1078 م) بتونين ، قرب تمولست. وضريحه بروضة هناك. وله مقام بوارجلان.

الشيخ زكريا بن صالح اليهراسني:

هو الشيخ أبو يحي زكرياء بن صالح اليهراسني – نسبة إلى قبيلة بني يهراسن – من علماء القرن 6 هـ / 11 م .
قال الدّرجيني في طبقاته . ص502 :
"هو علم المذهب ومناره ، المحمود فيه عينه وآثاره .أشهره الله في خدمته . فأطال في خدمة الدّين سنّه . وأوسع عليه في الأخلاق، والأرزاق، والأعمال. وهو الذي فضّله الله بالورع والسّخاء ، ولزوم السّيرة ".
قال أبو رحمة :" وصل الشّيخ أبو يحي زكرياء ذات مرّة، من سجلماسة إلى وارجلان . ثمّ توجّه إلى جربة، في جماعة من أصحابه ، يكوّنون خمسة وعشرين راكباً . ومعهم جريب من مأتين وخمسين مثقالاً ذهبا".
وقد بلغت منزلة المترجم له عند ولاة مرّاكش مبلغاً عظيماً . وكان له بها جاه وهيبة، لما اشتهر به من أمانة، وصلاح، ومحافظة على الدّين . وكان مختصّاً بيعقوب المنصور: من أحفاد عبدالمؤمن، مؤسّس الدّولة الموحديّة (ت 580 هـ / 1184 م). وهو إذ ذاك وزير أبيه.
وقد انتفع بعنايته جميع أهل الجزيرة - رحمه الله-.

الشيخ إسماعيل الجيطالي:

هو العلاّمة الشيخ أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي -- نسبة إلى جيطال - بجبل نفوسة .
أخذ العلم عن الشّيخ أبي موسى عيسى بن موسى الطّرميسي(ت 722 هـ / 1320 م) .

ولمّا قدم إلى جربة ، استقبله أبناء أبي زكرياء فصيل، أحسن استقبال . ثمّ تولى التدريس في مدرسة الجامع الكبير . واجتمع عليه الطّلبة من كلّ مكان . وكان يقرئ ويصنّف في المجلس الواحد - رحمه الله -.

قال الشمّاخي في سيره :

" إنّه يحفظ ديوان الدّعائم، والمقامات ، و الأشعار الستة ، وكتاب العدل والانصاف للإمام أبي يعقوب الوارجلاني".

تخرّج من مدرسته علماء أجلّة . وترك تآليف عديدة.

من مؤلّفاته :

- قواعد الإسلام .
- قناطر الخيرات .
- شرح النّونيّة ،لأبي نصر فتح الملوشائي .
- كتاب الحجّ والمناسك .
- كتاب في الفرائض والحساب .
- مجموعة قصائد .
- مجموعة فتاوى .

توفّي – رحمه الله – سنة 750 هـ / 1349 م ، وضريحه بروضة الجامع الكبير، بحومة الحشان .

الشيخ قاسم بن القاضي اليديسي:

هو العلامة الشيخ أبو الفضل قاسم بن عبدالله بن القاضي اليديسي .
أخذ العلم عن والده :الشّيخ عبدالله، بجربة. ثم ذهب إلى مصر.
ودرس بالقاهرة مدّة طويلة. فصار مشهوراً بلقب : الشيخ قاسم المصريّ.
وفي سنة 916 هـ / 1510 م ،عاد إلى جربة. واشتغل بالتّدريس بمدرسة الجامع الكبير . كما تولّى رئاسة مجلس العزّابة .
قال بن تعاريت :
" كان علامة زمانه ، بحرا ليس له ساحل ، ثابتاً لا تزعزعه العواصف في جميع الفنون . وخاصّة في العربيّة - رحمه الله -"

الشّيخ سليمان المدني:

هو الشيخ أبو الرّبيع سليمان بن عبدالله المدني البازيمي – نسبة إلى حومة بازيم.
أخذ مبادئ العلم بجربة ثمّ ذهب إلى تونس ودرس بجامع الزّيتونة المعمور. ثمّ انتقل سنة 913 هـ / 1507م إلى مصر ودرس بالمدرسة الإباضيّة بالقاهرة ، وبمدرسة الجيعانيّة ببولاق، حيث أخذ عن الشّيخ أبي الحسن بن إبراهيم الكياني المصري . وذلك قبل أن يتولّى التدريس في مدرسة الجامع الكبير.

ـ أهمّ مؤلفاته :

شرح كتاب اليساغوجي في المنطق، للشّيخ أثير الدّين الأبهري . وقد اشتهر بشرح الشيخ سليمان الجربي ، وكان علماء جامع الزّيتونة بتونس يستعملونه للتدريس حيث لم يجدوا مثله .

الشيخ أبو القاسم بن زكرياء الباروني:

هو الشيخ أبو القاسم بن زكرياء الباروني ، أحد علماء جربة البارزين، وممّن شارك في الاجتماع العلميّ الذي انعقد بجبل نفوسة سنة 1103 هـ / 1691 م ، بين علماء جربة وعلماء نفوسة . وقد حضره كذ لك:

ـ الشّيخ سعيد بن يحي الجادوي.
ـ الشّيخ علي بن سالم بن بيان.
ـ الشّيخ علي بن أبي بكر الباروني .
ـ الشّيخ يوسف بن محمّد المصعبي .
ـ الشّيخ محمّد بن يوسف الباروني .
ـ الشّيخ نصر بن خميس بن سعيد العماني صاحب كتاب المنهاج.

وتمّ الاتفاق في هذا الاجتماع على أنّ الشّهادة في كتابة الأحباس وفي البيع والرّهن والصدقات لا تصحّ إلاّ بشاهدين عدلين ، وكتب نصّ هذا الاتفاق الشّيخ علي بن بيان .

الشيخ محمّد بن زكريا الباروني:

هو الشيخ أبو عبدالله محمّد بن زكريا ء بن عبدالرّحمان بن موسى الباروني .
أخذ العلم عن الشيخ داود التلاتي بجربة ، وعن الشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي - نسبة إلى مدينة مليكة- بوادي ميزاب .
قال ابن تعاريت :
" هو ممّن جمع نسبة الدّين، واسناد أخذ العلماء بعضهم عن بعض، إلى أن بلغ بها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم . صنع ذلك أوّلاً نثراً . ثمّ ثنّى بالنّظم رجزا ".
نسخ كتاب سير الشمّاخي، في شهر ذي الحجّة سنة 963 هـ / 1555 م
توفّي بجبل يفرن ، سنة 997 هـ / 1589 م - رحمه الله.

نسبة الدّين (1)

قال محمّد الضّعيف المذنب ... أحمدك اللّهم حمدا أرغب

في العون والتوفيق والإيّاب ... صلاتنا على النّبيّ الأوّاب

ثمّ الرّضا عن صحبه وآله ... وكلّ تابع لقول ربّه

من تابع الرّسول هم أعلام ... عليهم الرّحمة والسّلام

فهذه نسبة دين مسندة ... كعقد ياقوت ودرّ محكمة

بحمد ربّي لم أكن معيبا ... في مذهبي ونسبي مخيّبا

ولم أجر الذّيل في لهو الصّبا ... ولم يكن ديني لوهوا العبا

لا أرتضي بمنزل الأدناس ... أهل الخناء والهوى الأنكاس

و لا أسير في الدّجى للغيد ... ولا أهيم في الغلا والبيد

كدأب قيس وجميل تاها ... ثمّ الفرزدق الذي قد فاها

بالشعر في الملوك والغوغاء ... ثمّ جرير مال للهواء

ثمّ امرئ القيس وكان يذكر ... وطرفة ونابغ وعنتر

هاموا وعاموا في الهوى دهرهم ... من أجل ليلى شغفوا وبلهم

لا أنتمي للفخر والاعجاب ... لكن لأهل الدّين والصّواب

يا سائلي عن سندي في ديني ... رشدت للدّعوة والتّبيين

فهاك افصاحا بغير عجمه ... يزيح كلّ شبهة وغمّه

من سنن تنزيل ذي الجلال ... على رسول خصّ بالكمال

فبابن عبّاس وجابر نهتدي ... والرّاسبي وابن إباض نقتدي

صحابة الرّسول والتّالي لهم ... قادتنا حقّا لتعرف حالهم

عن الثقات قد أخذنا الأفضلا ... من مشرق ومغرب أهل الولا

أتى به حملة الآثار ... من بصرة خمس فلا تماري

فمنهم عبد العلى الإمام ... وداود وعاصم الهمام

وابن درار سبقه عند القضا ... إمامهم الفارسي المرتضى

وقبله عنهم رجال فازوا ... قولا وفعلا كلّ ذا قد حازوا

وجلّهم من جبل نفوسه ... كم جاهدوا في الدّين من عبوسه

وطهّروا الدّين بدار المغرب ... بسيفهم قام كذا في الكتب.

لكنّه بعد زمان اكتما ... صار غريبا بل طريدا محجما

نصّ على ذا سيّد الأخيار ... بدا غريبا والحديث جار

تضعضع الدّين وقلّ أهله ... في ذي الزّمان قد تبدى ضعفه

لم تبق إلاّ طلل قد درست ... وسنن الأخيار فيها انتثرت

هذا الزّمان أهله في النّكس ... من أجل ما قد بدلوا بالبخس

أكثرهم قد رجعوا حشويه ... وبعضهم قد أهملوا التّقيه

وبعضهم أولع بالاطماع ... وبعضهم أظهر بالخداع

وغير هذا من فنون الهلك ... رقاك ربّي سوء ما في الحلك

الدّين هو ديننا يا ذا النّدا ... اسمع كلاما مسندا ومنجدا

في ديننا دين أولى الألباب ... ألف الصّواب لست بالمرتاب

أخذت دين الله والرّسول ... عن قدوة ليس بذي فلول

سمّيته داود شيخ في الورى ... زماننا ضاء به بلا مرا

تلقف الدّين عن الأشياخ ... عن خمسة جد بلا تراخ

أوّلهم هو ابن عيسى(2) الطيّب ... عن شيخه يحي(3) الولي النّجب

عن صاحب الفنون والعلوم يعقوب نجل أحمد المعلوم

عن عبد الله(4) أخذ ثم رحلا لحضرة المغرب ثم نزلا

وثانيا أخذ عن الشيخ سما هو أبو القاسم كان مغنما

عن ابن صالح يعقوب لا تجادل قد فاق في العلوم لا تناضل

عن يونس(5) عن صالح المجاهد عن شيخه عبد الإله الماجد

وثالثا(6) أخذ عن زكريا (7) عن أحمد الشمّاخ لست ساهيا

عن صالح المذكور لا تماري ورابعا عن إبنه يا قاري

وخامسا عن نجل أحمد التّقي هذان عن يونس خذ وحقق

عن الشمّاخي اجتمعوا يا حافظ عبد إلاله سيّد محافظ

وعبد الله أخذ عن أبي الرّبع عن جدّه أصغ إليّ واستمع

عن عامر(8) في عصره عن عام وعن أبي مهدي الولي الماهر

أبو العلى (9) عنه تلقى عام وعن أبي مهدي الولي الماهر

عن يحي عن زكرياء(10) فكنيته هو أبو يحي وأغنت شهرته

عن لا ملكي عن داود الماهر هو ابن هارون الفقيه الطّاهر

وفي النّوازل فتاوى تعرف وكلّ شبهة به قد تكشف

عن يحي(11) ذي التأليف والبيان وفاز عن سلمان بالتّبيان

و عن أبي سفيان(12) فالخصيب عن ابن يونس بلا تنكيب

عن ابن هارون الفقيه المتّق سنده ابن حسن المحققّ

محيي لنا الدّين بعيد الدّولة دولة أهل العدل والسّهولة

لهفي على ذا الزّمن وأهله خلائف لربّنا في أرضه

من أرض فارس أتوا لأرضنا لقوله من ينتصر عن لديننا

وقوله صلّى عليه ربّنا — من رهط سلمان فلاتك باينا
شهرتهم أغنت عن الاكثار — سيرهم تسطر في الأسفار
عن أبي ذرّ وأبي خليل — عن حامد بن يانس الجليل
عن إسماعيل عن أبي عبيدة — عن جابر عن عائشة الحميرة
عن ابن عبّاس إلى الرّسول — عن جهلهم أخذ بالقبول
وكلّهم من أحمد قد أخذوا — أتى به جبريل جدّوا وجدوا
ميكال قد أخذ عن إسرافيل — عن لوحه المحفوظ خذ يا سائلي
عن ملك الإلهام عن ربّ العلى — ألهمنا الله الرّشاد لأكملا
بجاه خير الخلق والأملاك — هب لي رضاك والهدى ملاك
تمّت بحمد الله والصّلاة — على النّبي وذوي الأخبات.

---

(1)منظومة نسبة الدّين، للشيخ محمّد بن زكرياء الباروني
(2) ابن عيسى الباروني.
(3) يحي الباروني
(4) عبد الله الشماخي.
(5) يونس ابن تعاريت
(6) وثالث : التعاريتي.
(7) زكرياء الهواري
(8) يحي الجناوي.
(9) أبو سفيان اللّواتي.
(10) زكرياء الباروني.
(11) يحي الجناوي.
(12) أبو سفيان اللّواتي

الشيخ عيسى بن إسماعيل المليكي(I)

خليلي إنّ الدّهر بالبين أولعا ... رمتني خطوب لست منها مدرّعا

خليلي إن ألقلب منّي تصدّعا ... لأجل شعوب(1)كنت منها مروّعا

رماني بسهم ثمّ سهم تفدّعا ... وسهم أهاض العظم فيّ تقطّعا

فلو أنّ رضوى(2) ثم ردما(3) مرفعا ... أصابهما رزئي لكانا تضعضعا

وهيّجت للإبل الفؤاد وصعصعا ... فصرت نحيلا مجهدا متصدّعا

شميلي فلم أدفع من الخطب مدفعا ... خليلي إنّ الدّهر مسّ فأوجعا

ألمّ بنا خرم وفينا تتبّعا ... يعقب طورا بعد طور تفجّعا

فهدّ لنا الأركان إذ كنت مرجعا ... إليها فلا أخفيك من ذاك موضعا

حصون قلاع لي وللخلق مفزعا ... فهدمها صارت رميما موزّعا

إليها أوى شيخي إماما مبرعا ... بجربة داوود التّلالي تطلّعا

كبدر التّمام في الخسوف توقعا ... فقدوتنا في الدّين تشفيك مسرعا

زمت له جشوا(4) فؤادي تقطّعا ... عليه وذاب الجسم ركني تزعزعا

لآل إباض كان غصنا مرقعا ... فلم يبق إلاّ ذكره متنوّعا

فقلنا لعلّ البين يصغي ويردعا ... ويتركنا حين وما كان أكتعا

فجاء على جبل النّفوسي وزعزعا ... قواعده لم تبق لي اليوم مرجعا

به حلّ طاعون فما كان طوعا ... بلاد التّقى نقى وأبقى توّجعا

فجدع منها الأصل والفرع أجمعا ... وشتّت فيها الحقل والدّار بقلعا

وقد كانت الإخوان حفلا مجمّعا ... فأوردهم كأسا من الهول منقعّا

لجمعهم للجود والنّفع مهيّعا ... فمن غيره في الدّهر أرجوه منفعا

به لذوي الحاجات في الغول مرفعا ... قطع وبتني (5) ثمّ الأنف جذع

أخصّ أبا محمّد المتورعا ... بحلية صدق كان فيها مقنّعا

عليه سلامي كلّما اليوم اطلعا ... وكان أبو الحجّاج مأوى ومنبعا

وإنّ أبا موسى الوليّ المرفعا ... نعينا به قد كان في العلم كعبا

ليسق من التسنيم كأسا مترّعا ... وأنّ أبا إسحاق (6) أمسى مودّعا

بلحد فلاقته الفضائل وزعا ... وغيرهم أهل المكارم فاسمعا

بلحد فلاقته الفضائل وزعا ... وغيرهم أهل المكارم فاسمعا

عليهم سلام الله دهرا ممتعا ... فلهفي عليهم ثم لهفي تتبّعا

ولا جزم ممّا قضى الله فاقلعا ... فلم ننس هذا الهول حتى تزعزعا

لنا الحصن حصن في الزّمان ترفعا ... طعنا بنصل صادف النّجع(7) بخعا

أجر علينا الدّهر خطبا مسعفا ... أصاب أبا مهدي فولاه شرجعا(8)

وأوقد لهبا في حشائي تطلّعا ... نكست لذا كلّ الخلائق خضعا

وباتت عيون النّاس كالغرب مدمعا ... وصاروا سكارى والحساب توقعا

لأجل انقضاض كان كهفي تصدّعا ... فذاك أبو مهدي تفيّا تورّعا

نقيّ تحلى بالمحامد أروعا ... حليما وقورا عالما متورّعا

أمينا صبورا صادقا متخشّعا ... جريء الفؤاد لا تراخ مخضعا

(I) مرثيّة الشيخ محمّد بن زكرياء البارُوني، في الشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي.
(1) شعوب: إسم للموت.
(2) رضوى : إسم جبل .
(3) ردما : المراد به سدّ ياجوج ومأجوج بالصّين.
(4)جشوا : حزنا.
(5) وبتني: عرق القلب.
(6) أبو إسحاق :هو الشيخ إبراهيم بن يعقوب الجادوي
(7)النّجع : عرق في الرّقب
(8)الشرجع : سرير الموت .

لخلق سوى ربّي له تطوّعا ... لسان له بالعلم والوعظ مصقعا
فخرت سقوف الدّين والعلم والدّعا ... إلى الله ثمّ الفضل أسا موّدعا
بجنب من القصر المنيف تمتعا ... بروضة كافور ومسك تربّعا
وحفت به أعمال برّ توسّعا ... وولدان خلد والسّلام تتبّعا
هنيئا لذاك الحبر إذ كان موضعا ... لكل الخيور لست تلفيه ضعضعا
أحلّه ربّ النّاس عرشا ترفّعا ... ومهده في الخلد فرشا مرتّعا
حورا فرادا إلى الغضارة متعا ... وعظمه في الخلق إذ قد توضّعا
غضارة هذه تجنّب واقلعا ... وزهد فيها الخلق فردا ومجمعا
فمن مثله للذّكر ذكرا مشعشعا ... فمن مثله يلجي ذوي الرّيب فردعا
باللّطف قول تمّ دفعا ومرقعا ... إلى الله أشكو الدّهر دهرا تهزّعا
ويهضمني مناخ النّوائب جعجعا ... فقدنا سمّي الدّين حبرا سميدعا
فأبقيت صفر الكفّ منه مروّعا ... فمن مثله في الدّهر أتيه منجعا
يزيح الأذى والجهل والكرب أجمعا ... وإن شامت فينا وفي الدّين شرعا
ويبسم ضحكا جاهلا متضرّعا ... فيريدك ذا يا خائب السّعي مصرعا
ترد بهذا مورد الخزي خزيا مفرعا ... لعلّ بديع الخلق إذ هو أبدعا
لنا يهبن بمثله متورّعا ... بنيّة الكرام كلّ تلميذ طيسعا
نجوم الهدى يهدون للحقّ والدّعا ... يشدّون دين الحقّ دينا تفرّعا
بآل إباض و الأحبّة أجمعا ... هلمّوا لتبكوا دينكم قد توزّعا
ذليلا غريبا في اللّهات تقعقعا ... فلم يبق إلاّ الإسم منه مضعضعا
وجدّوا على التّعليم كي يتنقّعا ... ولا تنظم الإرجا إذا الجهل أقلعا
رقاب الورى أضحت موالي كعكعا ... وسيرتنا أمست هباء مفرقعا
تولّت أناس للجهالة مربّعا ... فلم يعبأوا بالعرض يوما مفضّعا
وأغوتهم الدّنيا إذ الآل خدعا ... كضمان ظنّ الماء ولّى مروّعا
فلا تنتظروا في ذاك فالحقّ رفعا ... رجالا فصاروا للدّيانة مطلعا
فعضّوا عليه أنّ للحقّ نزعا ... فخلتكم دين النبيّ المشفعا
به استشفعن ذنبي إلاهي تفضّعا ... خطايا وعمدي ثمّ جهلي تتبّعا
فؤادي قسا والعين لم ترق مدمعا ... فافتح لي في الدّين والعلم مرقعا
وفي العرض لا تترك عبيدك أقرعا ... وق شبيه نارا وخزيا ومصرعا
وخوله في دار النّعيم توسّعا ... ولا ترددن عبدا بعبدك شفعا
عليه صلاة الله دهرا تسرّعا ... سلام على الإخوان ما النّجم اطلعا.

الشيخ يوسف المصعبي:

هو العلامة الشيخ أبو يعقوب يوسف بن محمّد المصعبي.
ولد سنة 1079 هـ / 1668 م، ببلدة مليكة، بوادي ميزاب.
قدم إلى جزيرة جربة ،مع والده، سنة 1103هـ/1693م. واستقرّ بها.
أخذ العلم عن الشّيخ سعيد بن يحي الجادوي، والشّيخ سليمان بن محمّد الباروني، و الشّيخ عمر بن ويران بجربة.
ثمّ انتقل سنة 1130 هـ / 1639 م إلى مصر حيث درس بالجامع الأزهر. وأقام بوكالة البحّار، بالحيّ الطّولوني، بالقاهرة، مع طلبة جربة، ونفوسة، وميزاب.
ثمّ عاد إلى جربة. وترأس هيئة التدريس، بمدرسة الجامع الكبير.
قال ابن تعاريت:
"كان آية في العلوم ، وله معرفة جيّدة بعلم الفلك. وآثاره تدّل على تضلّعه في المسائل الفقهيّة، والعقائديّة. وكلّ علماء عصره يقرّون بذلك".
تولّى رئاسة مجلس العزّابة في عصره، حيث كان مفتي الجزيرة، ورئيس مجلس الحكم فيها .
وكان ذا هيبة، وشجاعة. لا يهاب الأمراء، والملوك. ولا يداهن في دينه. فقد كان حكّام جربة يعظّمون قدره . ويخشون بأسه .
وفي سنة 1153 هـ / 1769 م، ذهب إلى تونس، ليجتمع مع علماء جامع الزّيتونة . وتناقش معهم في عدّة مسائل فقهيّة، وغيرها. وبعث إلى الباي علي باشا بن محمّد (1153 – 1169 هـ / 1740 – 1755 م) رسالة في ستّ صفحات يبيّن فيها عقيدة الإباضيّة الصّحيحة و، سيرة أئمّتهم .
وفي سنة 1140 هـ / 1717 م ذهب إلى مدينة جادو بجبل نفوسة، لمزيد التعمّق في العلوم . وبقي هناك سبع سنوات .

ولمّا طعن أحدهم في شهادة جماعة من أهل جربة ، كتب رسالة بيّن فيها جواز شهادتهم بالنّصوص القواطع، والبراهين السّواطع. وبعثها إلى الباشا أحمد بن يوسف قرمانلي. وممّا جاء فيها :
بلغنا أنّ جماعة من أهل الجزيرة شهدوا في قضيّة في مجلسكم الشريف. واتّهمهم أحد الواشين بأنّ شهادتهم غير مقبولة. فدخلت وسوستهم إلى قلوبكم . واندهشتم لعدم اطّلاعكم على حقيقة أولئك الجماعة النّزهاء . فوجب علينا أن نخبركم بعقيدتهم أوّلا. ونكافح الواشين ثانياً، ببيان اللّسان، وأوضح البرهان.

من مؤلّفاته :

- حاشية في جزئين على تفسير الجلالين، للسّيوطي والمحلّى .
- حاشية على شرح الشيخ قاسم بن ويران للتّونيّة، للشيخ أبي نصر فتح الملوشائي.
- حاشية على كتاب الدّيانات، للشيخ عامر الشمّاخي.
- حاشية على كتاب الأحكام، للشيخ يحي الجنّاوني.
- حاشية على كتاب التّوحيد، للشيخ تبغورين بن عيسى الملشوطي.
- حاشية على مختصر كتاب العدل والانصاف وشرحه، للشيخ أحمد الشمّاخي.
- حاشية على ديباجة شرح العقيدة ، للشيخ أحمد الشمّاخي.
- حاشية على شرح كتاب الجهالات، للشيخ أبي عمّار عبد الكافي الوارجلاني
- نظم الذرائع، وشرحه.
- رسالة في الوصايا، والحقوق.
- مجموعة فتاوى.

ولكثرة حواشيه يمكن أن نلقبه: بالمحشي الثّاني – رحمهما الله –

أبرز تلاميذه :

- أبو الرّبيع سليمان بن محمّد الشمّاخي.
- أبو موسى عيسى بن قاسم الباروني..
- أبو حفص عمر بن أحمد البغطوري.
- أبو عثمان سعيد بن أحمد البربوشي.
- أبو زكريا يحي بن صالح اليزقني الميزابي.
- أبناؤه: أبو عبد الله محمّد، وأبو الحسن علي، وأبو الرّبيع سليمان.

توفّي- رحمه الله -ضحوة يوم الأحد من شهر صفر سنة 1187 هـ / 1774 م . فبينه وبين المحشي مائة سنة . وضريحه بروضة الجامع الكبير، بحومة الحشان.

رسالة إلى الباي علي باشا التّركي

الحمد لله وكفى. وصلّى الله على سيّدنا محمّد المصطفى، وآله وصحبه المجتبين بالوفاء .

أمّا بعد، فهذه رسالة لسيادتكم ، تتضمّن الشّكوى إلى الله حقيقة، ثمّ لسيادتكم ، ثمّ للعلماء والقضاة . وذلك أنّه أخبرنا بعض الشّهود: أنّ رجلاً اجتمع مع بعض أولادنا. وأخذ في شتم مذهبهم . ولنا أن نخبركم بما هو المعتقد عندنا، وعند أئمّة الدّين: نجوم الهدى بعد الصّحابة- رضي الله عنهم- .

قال تعالى :" وأنزلنا إليك الذّكر لتبيّن للناس ما أنزل إليهم " .

وجملة أئمّتنا الذين نقلوا الأحكام، وأشهرهم بالسّنة : الإمام عبد الوهاب بن عبد الرّحمان الفارسي، من قوم الصّحابي سلمان الفارسي. قال تعالى: " فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم، ويحبّونه. "

وقد سئل الرّسول صلّى الله عليه وسلّم عن هؤلاء القوم. فأشار إلى قوم سلمان الفارسي الصّحابي .
والإمام عبد الرّحمان المذكور، أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة البصري: تلميذ الإمام جابر بن زيد الذي أخذ عن ابن عبّاس، وعن عائشة، حيث قال:
" أدركت سبعين صحابيّا من أهل بدر. فحويت ما معهم من العلم، ما عدا البحر الزّاخر " - يعني بن عبّاس" - وذلك قبل عصر الأئمة الأربعة.
وحاصل معتقدنا ما هو مطابق للقرآن، والسّنة. فلنصرف العنان عن هذا الشّخص المتجاسر.
قال تعالى : " ولا تجسّسوا . ولا يغتب بعضكم بعضاً" .
وإذ قد بيّنّا لكم أصل المذهب، نخبركم ببعض سيرة أهل الدّين الحنيف، نظماً .

منظومة للشيخ يوسف المصعبي

نقيم على الدّين الحنيف طهارة ... من الوهم والابداع أهدى الطريقة

تبعنا كتاب الله أشرف منزّل ... وسنّة خير الخلق هادي البريّة

نوالي ذوي الاحسان والعدل والتقى ... ونبرأ أهل الجور من ذي كبيرة

تساوي لذى الأحكام بين عبيدنا ... والأحرار والقربى وبادي المذلة

ونأمر بالمعروف في كلّ محفل ... وعن ضدّه ننهى وكلّ خطيئة

مساجدنا للعلم والذكر والتّقى ... وانصافنا المظلوم نبّه بنيّة

فما العزّ إلاّ للإله ورسله ... لدينا ونبي الإسلام في كلّ ملّة

وما الذلّ إلاّ للذين تجبرّوا ... وذي الخيلا والكبر أهل النّقيصة

فهذا طريقنا وهذا اعتقادنا ... وسيرتنا الغرّاء أحسن سيرة

وأختم قولي بالصّلاة على النّبي ... محمّدنا المختار من كلّ أمّة

وأصحابه والتّابعين لقوله ... وأرجومن الرّحمان غفران زلّتي

وأخبركم بحكاية تتضمّن تصديقاً لما ورد في منظومة هذه الأبيات. وذلك أنّ واحداً من علماء المغرب بقي نحو ثلاثة أشهر، يصلّي الصّلوات الخمس مع جماعتنا، في المسجد. ويحضر دروس العلوم معهم. وذات يوم، وقع منكر. فخرج الفقهاء، والطّلبة، للنّهي عنه. فتعجّب. وقال :

كثيراً ما أتفكّر في قوله تعالى : " ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير. ويأمرون بالمعروف. وينهون عن المنكر" . ولكن لم أر من يعمل بذلك، إلاّ في هذا البلد. يعني : جربة .

فهذا ما عندنا، وما نحن عليه من الدّين، أخبرناكم به اجمالاً . وقصدنا الشّكوى لسيادتكم من هذا المتجاسر على المذهب المسند بالتّسلسل إلى

الصّحابة، وإلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وما ورد في فضلهم كثير. مثل قوله صلّى الله عليه وسلّم: "خير القرون قرني. ثمّ الذين يلونهم. ثم الذين يلونهم."
نسأل الله أن يميتنا على طريقتهم التي عليها نحيى، إن شاء الله . فإن حاسبتم هذا المتجاسر لينزجر غيره، فذلك المرجوّ من فضلكم، وأجركم على الله- سبحانه وتعالى- . وإن أعرضتم عنه، وعن شكوانا، فقد فوّضنا الأمر إلى لله، يوم يحكم بين عباده. وحسبنا الله، ونعم الوكيل . ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله -العلي العظيم-.

الشيخ محمّد بن يوسف المصعبي:

هو العلاّمة الشيخ أبو عبد الله محمّد بن يوسف المصعبي، المليكي، الميزابي أصلاً، والجربي مولداً، ومسكناً.
أخذ العلم عن والده: الشيخ يوسف بمدرسة الجامع الكبير . ثمّ قام بالتدريس فيها.
وتولّى رئاسة مجلس العزّابة بعد والده، حيث كان قطباً تدار حوله جميع الأمور في الجزيرة. فهو المرجع في الفتوى . وكلّ أهل عصره يشهدون له بالعلم، والتبريز، والتقوى، والنّزاهة والزّهد في الدّنيا، والرّغبة في الآخرة .
وكانت له مواقف شجاعة مع باي تونس حمّودة باشا الحسيني . وذلك أنّ هذا الأخير طلب من علماء جربة، أن يوفدوا إليه جماعة من أهل العلم، ليختبرهم، بسبب وشاية قام بها بعض علماء تونس يذمّون فيها علماء الجزيرة، ويعتبرونهم غير أهل علم . فاختار "مجلس العزّابة" وفداً من العلماء برئاسة: الشيخ محمّد المصعبي .
ولمّا وصل الوفد الجربي إلى تونس، أكرمهم الباي الذي ذهب بعد ذلك ،إلى زاوية بلحسن . وفي طريقه شقّ المزارع بخيله. وتبعه سائر

النّاس . وكانوا يعدّون بالآلاف . أمّا المترجم له ، وجماعته، فقد اتبعوا طريقاً آخر، مارّين على الفواصل التي بين المزارع . وما إن توقف الباي، حتى سأل الوفد الجربي ، متبيّناً: " لماذا خالفتموني. واتّخذتم طريقاً غير التي سرت فيها . أعصيتموني؟

فردّ عليه الشيخ محمّد المصعبي، بقوله :

" لا . لم نعصك . ولكن أشفقنا على تلك المزارع . فلم نرض أن ندوسها بأقدامنا، امتثالاً لقوله عليه السّلام : "لا يدخل الزّرع إلا ثلاثة : واقيه ، وساقيه ، وناقيه." وأنت واقيه".

فعلم الباي حينئذ مقدار تورّع علماء جربة وادابهم . وأنّهم عاملون بما علموا.

وفي الغد، جمع الباي علماء تونس ، وجربة ،في محلّ ليختبرهم :مدّ يده وفرّق أصابعه . وقال لهم:

" كلّ صاحب مذهب يمسك واحدا من أصابعي" .

فمسك المالكي، بأصبع . ومسك الحنفي، بآخر . والشّافعي بالإصبع الثالث . والحنبلي بالرّابع. وبقي الإصبع الخامس للإباضيّ، حسب ظنّ الحاضرين .

ولكنّ الشيخ محمّد المصعبي مسك يد الباي من تحت الكفّ . وقال قولته المأثورة:

" المذهب الإباضي: هو أصل الدّين . فإنّنا متمسّكون بالأصل، لا بالفروع ".

قال تعالى:" وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه. ولا تتبعوا السّبل. فتفرّق بكم عن سبيله. ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتقون ".

وعندئذ قال الباي :"حاججكم الجربيّون ".

وهكذا انتهت المناظرة بتفوّق الوفد الجربي .

من مؤلفاته :

- حاشية على كتاب تبيين أفعال العباد، للشيخ أحمد بن محمّد بن بكر .
- حاشية على المنظومة الحائيّة،لأبي نصر فتح بن نوح الملوشائي
- حاشية على كتاب الفرائض، للشيخ إسماعيل الجيطالي .
- رسائل وأجوبة.

أبرز تلاميذه :

- أبو سليمان داود بن أبي بكر المصعبي .
- أبو الفضل قاسم بن صالح المثني.
- أبو إسحاق إبراهيم بن صالح المصعبي .
- أبو الرّبيع سليمان بن محمّد الباروني .
- أبو عبد الله محمّد بن يحي القلالي .
- أبو عمران موسى بن علي الباروني .
- أبو محمّد عبد الله المصعبي .
- أبو العبّاس أحمد بن عمر البغطوري .
- أبو الرّبيع سليمان بن محمّد الشمّاخي .
- شعبان بن محمّد القنّوشي .
- أبو عبد الله محمّد بن يحي بن منصور
- أبو العبّاس أحمد بن رمضان الغول .
- بو العبّاس أحمد بن محمّد المصعبي .

توفي ليلة الجمعة في شهر ربيع الأول سنة 1207 هـ / 1792 م . وضريحه بروضة، جنوب الجامع الكبير، مع والده الشيخ يوسف، والشيخ إسماعيل الجيطالي - رحمهم الله -

الشيخ علي بن يوسف المصعبي :

هو الشيخ أبو الحسن علي بن يوسف المصعبي .
أخذ العلم عن والده الشيخ يوسف بجربة ، وعن الشيخ عمرو بن رمضان التلاتي بالقاهرة . ثمّ تولّى التدريس بمدرسة الجامع الكبير، وبمدرسة مسجد الشيخ بالقشعيّين.
قال ابن تعاريت :
" كان أديباً، ناظماً للشعر، وناسخاً للكتب. وممّا رأيت بخطّه :
- حاشية المحشي على الجامع الصّحيح، ومتنه، في سبعين كرّاساً .
- كتاب الإيضاح ، للشمّاخي .
- كتاب القواعد، للجيطالي .
- حاشية والده :الشيخ يوسف، على كتاب تبغورين .

من مؤلّفاته :

- مرثيّة في والده الشيخ يوسف المصعبي .
- قصيدة في مدح بني مصعب .
- قصيدة في شيخه عمرو التّلاتي .
- قصيدة ذكر فيها مناقب والده وأخويه: سليمان ومهني .

ومنها :

تواليفه تعدو على السّبع فاقبل ... عليها لأنّها مخبرات الأوائل
وأعظمها حجماً حواشي المنزّل ... عليه من الرّحمان أزكى المسائل
لقد فاق أهل العصر علم المسهّل ... صعب على الأعداء سيف مصقّل

الشيخ يحي بن صالح اليزقني:

هو الشيخ أبو زكرياء يحي بن صالح اليزقني- نسبة إلى بلدة بني يزقن- بوادي ميزاب .
أخذ العلم عن الشيخ يوسف المصعبي بمدرسة الجامع الكبير، بجربة .
وعن الشيخ عمرو بن رمضان التلاتي (ت 1187 هـ / 1773 م) بالمدرسة الإباضيّة وبالجامع الأزهر، بمصر .
ويحكى أنّه مكث ذات يوم تحت حائط . فرأى نملة ماسكة نواة تحاول الصّعود مع الحائط ، ولكنّها سقطت . فأعادت الكرّة عدّة مرّات حتّى وصلت السّطح . فلاحظ أنّها تصعد وتسقط دون يأس . فاعتبر بما رأى. وعزم على مزيد الدّرس والحفظ حتّى نال مرغوبه .
ولمّا رجع إلى بلاده وادي ميزاب، أخذ عنه الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم الثميني: صاحب كتاب النّيل وشفاء العليل، في الفقه . وقد سمّاه كذلك، بسبب ما رواه له المترجم له عن وادي النّيل، وأهميّته في مدينة القاهرة، ومصر عموماً .

الشيخ سليمان بن محمّد الشمّاخي:

هو الشيخ أبو الرّبيع سليمان بن محمّد بن عمر الشمّاخي.
أخذ العلم عن الشيخ يوسف المصعبي، بمدرسة الجامع الكبير. ونسخ حاشيته على كتاب الدّيانات، في شهر شعبان سنة 1185هـ/1771م.
كما أخذ عن إبنه الشيخ أبي عبد الله محمّد. وتولّى رئاسة مجلس العزّابة، بعده.
قال ابن تعاريت:
" كان عالماً، زاهداً في الدّنيا و راغباً في الآخرة."
وفي زمانه وردت أوّل نسخة من كتاب "النيل" للشيخ الثميني. فنسخها إبنه الشيخ قاسم. ثمّ انتشر النّسخ في الآفاق.

أبرز تلاميذه :

- أبو الرّبيع سليمان بن قاسم الجادوي.
- أبو زكريا يحي الباروني .
- أبو البركات عيّاد بن قيراط .
- إبنه: أبو الفضل قاسم .

توفي- رحمه الله- سنة 1234 هـ / 1819 م ، عام توجّهه إلى الحجّ. وضريحه بمكّة المكرّمة - شرّفها الله-

الشيخ سعيد بن عيسى الباروني:

هو العلامة الشيخ أبو عثمان سعيد بن عيسى الباروني .
أخذ العلم بمدرسة الجامع الكبيربجربة ، وبمدرسة الإباضيّة وبالجامع الأزهر بالقاهرة ، (1220 هـ / 1805 م) فأصبح عالماً، بارعاً في العلوم المنقولة، والمعقولة. وخاصّة في علم البيان .
وتولى رئاسة مجلس العزّابة بعد الشيخ سليمان بن محمّد الشمّاخي .

أبرز تلاميذه :

- أبو العبّاس أحمد بن سليمان الباروني .
- أبو عثمان سعيد بن أيّوب الباروني .
- أبو البركات عيّاد بن قيراط .
- أبو زكرياء يحيى بن عمر الباروني .

- أبو موسى عيسى بوقاندة النّفوسي .
- أبو الفضل قاسم قوجة النّفوسي .
- أبو حفص عمر بن يحي السّدويكشي .
- أبو يعقوب يوسف بن مهنّي بن مشيشي .
- أبو عثمان سعيد بن علي بن تعاريت .
- أبو حفص عمر بن الحاج يحي .
- أبو حفص عمر بن أحمد البغطوري .
- إبنه: أبو الحسن علي .

وكانت له مناظرة مع العالم المصري السنّاري الذي قدم إلى جربة، لمناظرة العلماء . فقصد الجامع الكبير. وناظر المترجم له ، في سائر الفنون . ثمّ تابع النّقاش الشيخ موسى بن علي الباروني الذي أتى زائراً، حتّى عجز السنّاري. وسلّم للشيخ موسى، قائلاً : "هذا هو العالم الفقيه." ثمّ ذهب إلى تونس. وقال لعلمائها :
" لم أجد العلم إلاّ في جربة."

توفّي سنة 1284 هـ / 1868 م- رحمه الله- .

الشيخ سعيد بن عيسى البارونى(1)

تا الله ما في الدّنيا ولا وطن فما لها عند أرباب الحجا ثمن
ألا فدعها ودع دواعي زينتها ليس لها ثمن تسام قيمتها
ذا الهموم فيها المصائب والحزن
أين الذين طغوا بالمال وادّخروا وركبوا عن مطايا العزّ وافتخروا
وفي عواقب ما يصير ما نظروا وغرسوا في الدّنيا حدائق الشجر
شادوا المصانع والبنا ولا سكن
دارت على شيخنا حقّا دوائرها بكت عليه الغوالي في حرائرها
شهم شجاني وناحت باكية فؤادها حزنا من كلّ غالية
ويح البحار منها وويحها يسجن
ويح الجبال ويا ويح جزيرتها من فقد شمس الهدى إمام سيرتنا
نحو العلوم ويا كنز ذخيرتنا على خطيب الجموع في كبيرتنا
الأستاذ يا صاح لم يسمح به زمن
سمت جزيرتنا بشيخها قاطبة كما سمت حفصة عن كلّ خاطبة
به استنارت علما سبعين قافلة هو الحضور وبدر كل سابقة
عدى الحضور له النبا مقترن
شيخ له همّة حاز العلا بها زاد ضياء يلوح فوق نجم السّما
كرامة العلم لا تخفى عن أولي النّها سلامة الفضل والتّقى جمال البها
لا زال في طالع الاقبال مؤتمن
يا غربة الدّين يا شجوني على ضعفه جودي بدمع عنه طلا ووابله
كأنّها درست حلقة بني بكر وقد عفا رسمها ماضيه وحاضره
حقّت به حلق شيخي أبي عثمان
قد كان للخلق نور يستضاء به لله من عالم طاب الثناء به
قد ضمّ في كفن وعاب في رمسه ممهّد التّرب والأحجار من جنسه
طوبى له شيخنا جنته عدن
قبر بجانبه القبلي روضتها بنو أفضيل بها رياض دعوتها
تزاحم النّاس شوقا لزيارتها لله معتم ماهو أصحاب نحلتها
تهمّ النّفوس أسكابا دمعها منحن
من للصّلاة في جوف كلّ ظلمة وليلها للعباد صار مغنمة

من للصّبا في حرّ الصّيف مكرمه من للأرامل والنّساء مزمنه
وللّيتامى من لهم والصّيف إن شحن
ما ترسموا منار الحقّ وانطمست معالم الدّين بعده قد اندرست
عن حلقة بالتّقى والعلم قد أسّست قطب الرّحى روحه في عدن قد غرست
يا روضة ليتني أبكي بهاهتن
خطابي نفسي لها كي تتّعظ بالدّوا وجدتها طبعها أمّارة للهوى
عدم يقظتها ووعظها عن سوا عونك يا ربّ عنها وفّقنا للتّقوى
وعلمنا من لدنك علما يا رحمان
لهفي على دين عمّار وصحبته دين ابن وهب وحرقوص
وبصمته
قد حكموا حكم الله عصبته بالنّهروان بلالا أهل نحلته
وجاهدوا سيوف الله حتّى فن
حتّى قضو ا في سبيل الله إذ جاهدوا بالنّهروان وبالنّخيل واستشهدوا
أنصار دين الهدى للحقّ قد رشدوا وفازوا بالعدل أهل السّيف إذا جادلوا
وأنكروه حكم الضّلال إذ فطن
خصّوا سعيدا أخاكم بالدّعاء إذا رأيتموه أخطأ ادعوا له بالهدى
أبناء جنسي لهم أنفس كمسك الشذام ما قطنوا وحلّوا وقيتم سوء الرّدى
أسمى سلام لكم مكرّر حسن
ولو تفد نفسك من المتون كنت لها روح ابن عيسى كانت فداء لها
أحيى من العلم ما أودت محاسنه لهفي عليه شربت ما سيناء
وكان في عذبه ليس به آسن
طير البلاغة بالشجع يفارقني في جوف حالكة الدّجى يسامرني
ولم يزل في حقّ شيخي يحاورني صددت عنه صدودا ثمّ خامرني
يا غائبا في رياض الفضل مندفن
ثوب الوقار له بالشيخ هيبتها قبرتزار التّقى والحلم شيمتها
جميل وجه يد المذاكر يمتها حفى الذّنوب وحاد عن دميمتها
بالله أكرمه عواقب الحسن
جوار شيخي شموس الدّين قدوتنا بنو أفصيل يا صاح كانوا عمدتنا
يا شجونا بعدهم وطول غربتنا أبكي بكاء ونوحي عنها جربتنا
بغيرة فانسكاب مائه الم
من للجزيرة والجبال إن قهروا وللأرامل والأيتام إن ذكروا

وللمحافل يوم الدفّ إن حضر من ذا سواه لها غويصة الأثر
إن كل عن ذكرها افهامها اللّسن
من للأمور إذا سدّت غواربها وللجموع إذا مات مأويها
من للمساجد من يأتي محاور بها يا يوم مات من مشرق ومغاربها
بكت لمصرعه الفروض والسّنن
فالدّين يبكي شجو الفقيد شيخي مضا طوبى له نعمه وعنه حسن
الرّضا
يا ربّ صبر جميل والرّضا بالقضا بدا غريبا وسيعود منقرضا
يا غائب في ضريح لحده يسكن

---

(1) مرثيّة الشيخ سعيد بن أيّوب الباروني في الشيخ سعيد بن عيسى الباروني

ومن علماء مدرسة الجامع الكبير، نذكر أيضا:

الشيخ عيّاد بن قيراط:

هو الشيخ أبو البركات عيّاد بن عمر بن قيراط .
أخذ العلم عن الشيخ: سليمان الشمّاخي ، والشيخ سعيد الباروني بمدرسة الجامع الكبير . ثمّ اشتغل بالتّدريس فيها .
كما تولّى رئاسة" مجلس العزّابة ".
قال ابن تعاريت :
" فاق علماء عصره . وله اليد العليا في التقرير، والتّدريس . وإليه المرجع في الفتوى، والنّوازل . وهو المقصود بجربة".
توفّي سنة 1282 هـ / 1866 م- رحمه الله .

الشيخ عمر البغطوري:

هو الشيخ أبو حفص عمر بن أحمد البغطوري .
أخذ العلم عن الشيخ يوسف المصعبي، بمدرسة الجامع الكبير .
وكان من أعلام الجزيرة . ورئيس مجلس العزّابة بها .
كما اشتغل بالتّدريس في ثلاثة مدارس علميّة هي :
- مدرسة الجامع الكبير.
- مدرسة تلاكين .
- مدرسة بوكثير.

الشيخ أحمد البغطوري:

هو الشيخ أبو العبّاس أحمد بن عمر بن أحمد البغطوري .
أخذ العلم عن الشيخ محمّد المصعبي، بمدرسة الجامع الكبير. ثمّ تولّى التدريس بها، وبمدرسة مسجد بوكثير.
قال ابن تعاريت :
"كان عالماً أديبا، حسن السّيرة . عمّر طويلاً. ولم يترك مجالسه العلميّة إلاّ عندما عجز، وضعف بصره".
توفّي سنة 1296 هـ / 1879 م- رحمه الله .

علماء مدرسة تلاكين

يقع مسجد تلاكين بحومة غيزن. وهذه الكلمة الأخيرة أصلها :غيزل . وهي إسم قبيلة كانت تقطن قرب قلعة بني حمّاد الصّنهاجيّة، بالهضاب العليا الجزائرية . انتقل بعض سكانها لمّا قامت الحروب، والفتن، بين أمراء صنهاجة (387 - 406 هـ / 997 – 1015 م) الى جزيرة جربة، لتحصّنها بالبحر. واستوطنوا الجهة الشماليّة منها، قرب مسجد المستيري . فتسمّت تلك النّاحية :بغيزل . ثمّ أبدلت اللام نوناً، لسهولة النّطق . والجهة الجنوبيّة سمّيت حومة" أولاد لاكين"، لوجود مسجد تلاكين فيها .

وكما يدلّ عليه إسمه ينسب إلى بانيه: لاكين . وذلك في أواسط القرن، 3هـ / 9 م . ويسمّى تلاكين، لإقامة النّوازل به .

وقد بني صغيراً، مربّع الشكل . يبلغ طول ضلعه ثلاثة أمتار ونصف . ولمّا ضاق بالمصلّين زاد فيه بنو أبي زيد المصغورتي – نسبة إلى بلدة مصغورة- بجبل نفوسة ، سنة 601 هـ / 1204 م، قدر الثلثين. وترك المحراب القديم في مكانه، ليدل على الزّيادة . ويحيط به سور وله ثلاثة مداخل. وبصحنه أربعة صهاريج، وفسقية. إلى جانب مخزن، وكتّاب .

وقد انتقل إليه مجلس عزّابة جربة بعد أن كان يعقد بالجامع الكبير.

قال ابن تعاريت :

" والعلماء العزّابة أولاد أبي زيد - رحمهم الله- مقبورون بروضتهم، بمنزلهم القديم شرقي مسجد بني لاكين، بحومة غيزن " .

وتسمّى تلك الجهة إلى الآن : "العزّابة" نسبة إليهم .

و إلى عائلتهم ينسب مسجد " الحاج عمر يحيى " الذي بناه الشيخ عمر بن يحي بن أبي زيد سنة 1128 هـ / 1717 م ، قرب منزلهم .

وعلماء بني أبي زيد من قواعد الجزيرة، وعمدها. وبقيادتهم تدار الأمور الدّينيّة والدّنيويّة. فهم المشرفون على هيئة العزّابة، بعد علماء بني مسور . يديرون المجالس . ويولّون رؤساءها . ويعمل أمراء جربة بأرائهم . وتنفّذ أحكامهم في الولاية، والعزل، إن اقتضى الأمر.
ومن عادتهم: زيارة المساجد السّاحليّة، لتفقد المرابطين فيها. وتشجيعهم على الدّفاع عن جربة.
فإضافة إلى وظيفتها الأساسيّة ألا وهي: إقامة الصّلاة تقوم هذه المساجد بحراسة الجزيرة، من الأعداء الذين يهجمون عليها بحراً . فقد بنى أهل جربة عدّة مساجد على سواحلها لتحصينها من الغزاة . كما بنوا مساجد تحت الأرض كمسجد "الوطى" بحومة مزران، لنفس الغاية الدفاعيّة.
قال الحيلاتي :
"تارة يبدؤون في زيارتهم ، من مسجد" عمّي عمر" بحومة غيزن. ويأخذون على اليمين، حتّى يبلغوا "الجامع الكبير"، بحومة الحشان. ثم مسجد "سيدي جمور"، بحومة مليتة. ويتبعون المساجد السّاحليّة، إلى أن يبلغوا "مسجد الحارة" بحومة ورسيغن.
وتارة يبدؤون من هذا المعلم الأخير. ويأخذون على اليمين، حتّى يأتوا مسجد "سيدي قاروس" ثمّ مسجد الفقيه صباح ، ويتّبعون شاطئ "الآلة حضريّة " حتّى يبلغوا مسجد سيدي محرز بحومة مزراية . وكانوا يصلّون في كلّ مسجد ما تيسّر - رحمهم الله - .
وقد تواصلت هذه العادة الحميدة، مع شيوخ عائلتي :اليونسي، والهوّاري.
وكان بمسجد تلاكين محكمة شرعيّة عليا، ترأسها بعد مشائخ بني أبي زيد الشيخ عبد الله بن سعيد السّدويكشي، ثمّ الشيخ محمّد بن أبي ستّة "المحشيّ".
ورئيس عائلة بني أبي زيد هو:

الشيخ أبو زيد بن نوح بن أبي زيد الصّدغياني - نسبة الى حومة صدغيان- وإليه يعود الفضل في تكوين مدرسة تلاكين التي من علمائها :

- **الشيخ أبو الربيع سليمان بن أبي زيد** (ت638هـ/1240 م).

- **إبنه: الشيخ أبو عفيف صالح .**

- **إبنه: الشيخ أبو عثمان سعيد:**

وإليه ينسب مسجد "سعيد بن صالح" الذي يقع جنوب غربي مسجد بوليمان، بحومة صدغيان وقد كان مسموع الكلمة عند عموم الإباضيّة. مشتهراً بالصّلاح، وحبّ الخير،لا في جربة فحسب، بل كذلك في جبل نفوسة ، ووادي ميزاب . فكان قدوة في حياته. وممّن أفنى عمره في اصلاح ذات البين، جاعلاً مرامه: السّعي في رضاء الله ، وراحة العباد – رحمه الله -

- **الشيخ سليمان بن سعيد بن أبي زيد:**

هو الشيخ أبو الرّبيع سليمان بن سعيد بن سليمان بن أبي زيد.
أخذ العلم عن الشيخ أمغار بن صابر، بمدرسة تلاكين. ثمّ درّس فيها .

أبرز تلاميذه :

- إبناه :أبو العبّاس أحمد ، وأبو زكريا يحي .
- أبو العبّاس أحمد بن عمر بن أبي زيد.
- أبو زكرياء يحي بن زكرياء بن محمّد بن أبي زيد .

- الشيخ أحمد بن عمر بن أبي زيد:

هو الشيخ أبو العبّاس أحمد بن عمر بن صالح بن أحمد بن أبي زيد.
أخذ العلم عن الشيخ سليمان بن سعيد بن أبي زيد، بمدرسة تلاكين. ثمّ قام بالتّدريس فيها . ونسخ هناك جزء حقوق الوالدين، من" ديوان الأشياخ"، في شهر جمادى الأولى سنة 994 هـ / 1585 م.

أبرز تلاميذه :

- أبو عبد الله محمّد بن يحي بن أبي زكرياء بن أبي زيد .

- الشيخ سليمان بن عبد الله بن أبي زيد:

هو الشيخ أبو الرّبيع سليمان بن عبد الله بن سعيد بن يحي بن أبي زيد.
ولد بحومة غيزن سنة 1012 هـ / 1603 م .
أخذ العلم عن والده: الشيخ عبد الله بمدرسة تلاكين ، ثمّ ذهب إلى مصر سنة 1033 هـ / 1623 م ،لاتمام دراسته بالجامع الأزهر ،وبالمدرسة الإباضيّة بالقاهرة . ومنها ذهب إلى مكة المكرّمة ، لأداء فريضة الحجّ. ثمّ عاد إلى جربة سنة 1036 هـ / 1626 م. وتولى التدريس بمدرسة تلاكين، وكذلك بمدرسة مدراجن . كما تولى رئاسة مجلس العزّابة والإشراف على تسيير مجالس العلم. والحكم بجربة .

أبرز تلاميذه :

- أبو حفص عمر بن داود بن يوسف بن أبي زيد ، وأخوه الشيخ أحمد (1051 هـ / 1641 م) .
- أبو محمّد عبد الله بن سليمان بن يحي بن أبي زيد، وأخوه الشيخ سعيد (1050 – 1091 هـ / 1640 – 1681 م).

-إبناه: أبو حفص عمر ، وأبو عثمان سعيد .

- توفي - رحمه الله- يوم الخميس 3 رجب 1077 هـ / 1666 م. وضريحه بروضة قرب منزلهم، بحومة غيزن .

وبعد وفاته بعام ونصف (18 شهراً) ،أقيمت أوّل صلاة جمعة ، بجزيرة جربة، بأمر من الأمير: موسى بن سعيد بن جلود. وذلك بجامع الشيخ ، بحومة السوق، يوم الجمعة الأوّل من شهر صفر سنة 1079 هـ / 1688 م .

الشيخ سعيد بن سليمان بن أبي زيد:

هو الشيخ أبو عثمان سعيد بن سليمان بن عبد الله بن أبي زيد .
ولد بحومة غيزن ليلة الخميس 14 ربيع الثاني سنة 1037 هـ / 1626 م .
أخذ العلم عن والده: الشيخ سليمان، بمدرسة تلاكين. ثمّ تولّى التّدريس فيها .

أبرز تلاميذه :

- أبو زيد عبد الرّحمان بن أبي زيد.
- أبو عبد الله محمّد بن سليمان بن محمّد بن يوسف بن أبي زيد : نسخ كتاب الضّياء لصحار العماني سنة 1080 هـ / 1670 م .
- أبو حفص عمر بن إبراهيم بن سعيد بن أبي زيد (1099 هـ / 1688 م) .
- أبو عثمان سعيد بن يوسف بن محمّد بن يحي بن أبي زيد.
- إبنه :دحمان (ت 1130 هـ / 1719 م) .

الشيخ عبد الرّحمان بن أبي زيد:

هو الشيخ عبد الرّحمان بن أبي زيد .
أخذ العلم عن الشيخ سعيد بن سليمان بن أبي زيد، بمدرسة تلاكين .
ثمّ درس بالجامع الأزهر، وبالمدرسة الإباضيّة، بالقاهرة . ونسخ هناك كتاب النّكاح، في شهر رجب سنة 1099 هـ / 1688 م .

- أبرز تلاميذه :

- إبنه :أبو عثمان سعيد (1138 هـ / 1725 م) .
- أخوه: أبو عبد الله محمّد (1160 هـ / 1747 م) .
- أبو الرّبيع سليمان بن عمر بن سليمان بن أبي زيد .
- أبو حفص عمر بن يحي بن أبي زيد صاحب مسجد" الحاج عمر" الذي بناه قرب منزله ، بحومة غيزن، سنة 1128 هـ / 1717 م .

الشيخ يوسف بن أبي زيد

هو الشيخ أبو يعقوب يوسف بن محمّد بن زكرياء بن أبي زيد .
درس بمدرسة تلاكين. ثمّ درّس فيها . وكان يفصل بين النّاس. ويحكم بما أنزل الله. ولا يخاف في الله لومة لائم .
قال ابن تعاريت :
" كان ذا سلطة وجسارة . يؤدّب أصحاب المخالفات. ويقاوم المنكر. ويرجع إلى الضّعفاء، والمظلومين حقوقهم. فقد كانت منزلته بمنزلة الإمام العادل- رحمه الله .
وكان له محلّ خاصّ بمنزله، يستقبل فيه الوافدين عليه من مختلف أنحاء الجزيرة.

أبرز تلاميذه

- إبنه: أبو عثمان سعيد الذي تولّى منصبه في التدريس، والحكم بين النّاس.
- توفي يوم 8 محرم سنة 1196 هـ / 1781 م – رحمه الله –.

مرثيّة في الشيخ يوسف بن أبي زيد

إلاهي سلوانا لنيران وقدتي ... لفقدي إماما فاضلا بالجزيرة
تكدّر صفوي ليلة البدر آفلا ... وغابت نجومها سريعا في لحظة
وحارت عقولنا وزادت تحيّرا ... في وقت به النّاعي ينادي بجسره
تهدّم ركن الدّين والعلم والتّقى ... وطاشت عقول النّاس يوم البليّة
فمن كان باك حزينا لوقعة ... ومن كان في شجو ينين بعلة
وفجأة مسرى النّعي أذهل جمعنا ... كذنب أتى خرفان قوم بغفلة
جفائننا مشحونة بمدامع ... تسيل على الخدّين من حرّ عبرة
نهار أوليل من لهيب كجمرة ... ولا نوم يطرق العيون للوعة
وماذا الخطوب إلاّ من أجل فاضل ... نقدّم وصفه بمدار القصيدة
إمام وشيخ صادق في عهوده ... يكنّى أبا يعقوب في كلّ بلدة
سمي رسول الله زوج زليخة ... ويا ابن أبي زيد رفيع السّلالة
لقد كانت الأعدا تهاب مقامه ... وهيبته رجم لأهل العداوة
وقد كان شمسا في بروج الكواكب ... إذا ما أتى خاصّة نجوم العليّة
بكت جميع الباكيات لفقدها ... معينا ومحسنا لها في كلّ رزيّة
بكته دروس في المساجد جلّها ... خصوصا يحوش في أيّام مديدة
ببني لاكين المشائخ كلّها ... بشرع الرّسول حاكمين بهمّة
تراه لدى الخصمين لا يتغيّر ... ولو وفاه جاهل بكلّ أذيّة
صبور حمود في المجاسر ليّن ... على كلّ ذي زوروجوروغلطة
بني لاكين صبرا عليه فإنّه ... قريب ضريحه إليكم ببقعة
عسى زائر ياتي إليه ويشتفي ... بنور مديد ساطع لسماءة
فمالك يا نفسي أراك خليفة ... أبعد ارتحاله مقام يا آنسة
عدمت لفقده فنون وعزّة ... وعدت أسيرا للكروب العشيّة

وكم ذاب على من تحمّل ضالع
وعمي وصمّ عن سراج الشريعة

فمالك يا شمس مسيرة طالعه
ولا تكشفي خسف بدار الطلعة

فلو نطقت لقالت حقّ لي الأسى
ولكنّ أمر الله في غير طاقة

ويا أسفي على رئيس القبيلة
وبدر البدور في المسا والظهيرة

وإنّي أرى السّهام للموت لا تخطي
ولا تبقى نفسا من نفوس الخليقة

ولكن لها وقت إذا حلّ لا يفي
على قدر في اللّوح من غير مريّة

وليس لنا فيها مجال بنصرة
وليس لنا اختبارات بفجأة

فصبر جميل يا أخا الخلق في الورى
على أنّه حي يعاد بحضرة

ببيت وسيم لا انقطاع لنوره
عطير أنيس في رحاب بجنّة

حميد الخصال والشمائل كلّها
عزيز على اختيار من كل أصّة

تقدّس عن وزروعيب وهفوة
وما قاله في الظنّ حسبي وصدّقي

فروع له فيها تسرّ جليسها
وتكفي العدا بطشا بسيف المقالة

ولا سيّما ذو الفضل والجاه والنّهى
خبير فقيه حافظ للشّريعة

حليم عفيف خافض لجناحه
لذي الخير والتّلميذ عالي الدّراية

بعلم الكلام والفروع الكثيرة
وعلم الأصول والحديث واللّغة

وعلم البيان والبديع ومنطق
وعلم العروض والقوا في الرّقيعة

وكلّ فنون جامعا ومدرّسا
عليكم من الرّحمان أزكى تحيّة

الأكل أصل صلاب طابت فروعه
وجادت لجانبها بنفع وثمرة

تنقّل بدرنا الرّفيع بليلة
ثمان خلت من ذي المحرّم غرّة

لست وتسعين سنينا تقدّمت
لألف ومائة سلفن لشجرة

عليه سحائب الرّحيم بأسرها
جزاء وفضلا جائزا للكرامة

يا ربّ عافني واصلح سرائري
ومن موج بحر الكفر سلّم بضاعة

فصلّ على المختار في كلّ أمّة
وآل وصحب في مساء وبكرة

الشيخ عبد الله السّدويكشي:

هو العلاّمة الشيخ أبو محمّد عبد الله بن سعيد بن أحمد السّدويكشي – نسبة إلى حومة سدويكش - .
أخذ العلم عن علماء بني أبي ستّة، بجربة . ثمّ ذهب إلى مصر. ودرس بالجامع الأزهر وبالمدرسة الإباضيّة، بالقاهرة .
ثمّ سافر إلى اليمن. وحصلت له فيها منزلة عظيمة . ثم ذهب ثانية، إلى مصر. حيث بلغ الدّرجة العليا في العلوم ، وخاصّة في علم الكلام .
تولّى التدريس في مدرسة تلاكين ، وفي مدارس علميّة أخرى .
وقد كان من الرّاسخين في العلم . وقمّة من القمم العلميّة الشامخة . ودعامة من الدّعائم التّي قام عليها العلم والدّين في الجزيرة .
فتح الله عليه آفاق المعرفة. ورزقه من القوّة ، والبراعة ، و فصاحة اللّسان، ما مكّنه من خدمة الدّين، والأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر . فالتفّ حوله سكّان جربة .
حسده الأمير ابن جلود، على ما أتاه الله من فضله. وظنّ أنّ ذلك استهانة بمنصبه، ومقامه فأراد أن يظهره في مظهر المستهان به، آمراً إيّاه بوضع طاقية بيضاء، من القماش، على رأسه. حتّى يشار إليه بالإصبع، تحقيراً له، وتشهيراً به ، حسب رأيه .
ولبس الشيخ عبد الله طاقية بيضاء، حتّى اشتهر بها. واشتهرت به. وسرعان ما تبعه تلاميذه في لبسها .
وهكذا شاءت إرادة المولى- سبحانه وتعالى- أن تكون هذه العقوبة تكريماً لهذا النّوع من اللّباس . حيث أصبحت الطّاقية البيضاء زيّاً رسمياً للعزّابة ، لا في جزيرة جربة فحسب ، بل وكذلك في وادي ميزاب وجبل نفوسة . ولا يزال هذا اللّباس شعارهم إلى الآن .
وتسلّم المترجم له رئاسة" مجلس العزّابة" سنة 1034 هـ / 1625م.

وكان يتولّى دروس الوعظ، والارشاد، في جلّ مساجد جربة. وأمّا مقرّه الرّسمي: فمسجد تلاكين . حيث يتوافد عليه النّاس حاملين مشاكلهم إليه. فيفصل بينهم بكتاب الله. ويقوم فيهم مقام الإمام العادل. وفي مجلسه يناقش العلماء جميع ما يتصل بالحياة الدّينيّة، والدّنيويّة، لأهل الجزيرة. فيقرّون ما يوافق الشريعة الإسلاميّة . ويعلنون التصدّي لكلّ من انحرف عن الطّريق المستقيم .

من مؤلفاته :

- حاشية على جزأي: الصّلاة والبيوع من كتاب الإيضاح، للشيخ عامر بن علي الشمّاخي (ت 792 هـ / 1380 م).
- حاشية على كتاب الدّيانات، للشيخ عامر، أيضا.
- حاشية على شرح القطر، في النّحو، لإبن هشام .
- حاشية على كتاب السّؤالات، للشيخ المارغني السّوفي .
- حاشية على شرح النّونيّة، للشيخ أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي .
- حاشية على كتاب قواعد الإسلام للشيخ إسماعيل الجيطالي (ت 750 هـ / 1347 م)
- رسالة في صلاة الجمعة، وحكمها، وشروطها.

أبرز تلاميذه :

- أبو عبد الله محمّد بن عمر بن أبي ستّة المحشي . وقد ورث عنه علمه، وخلقه، وكفاحه ومجلسه .
- أبو الرّبيع سليمان بن أحمد بن أبي ستّة.
- أبو زيد بن أحمد بن أبي ستّة.

توفي - رحمه الله- عام ذهابه إلى الحجّ سنة 1068 هـ / 1657 م . وضريحه معروف عند أهل الدعوة بباب، المعلى ، بمكّة المكرّمة .

الشيخ محمّد بن أبي ستّة- المحشّي:

هو العلامة الشيخ أبو عبد الله محمّد بن عمر بن محمّد بن أحمد بن قاسم بن أبي ستّة.
اشتهر بالمحشيّ لكثرة حواشيه، وتعليقاته على الكتب، إذ يبلغ عددها العشرين .
ولد بحومة سدويكش سنة 1022 هـ / 1613 م .
ونشأ في وسط علمي . حيث أخذ العلم عن والده: الشيخ عمر، وعن أعمامه، بمدرسة بوستة وكذلك عن الشيخ عبد الله بن سعيد السّدويكشي . فظهرت نجابته وتجلّى ذكاؤه . ثمّ ذهب إلى مصر سنة 1040 هـ / 1631 م. ودرس بالجامع الأزهر، وبالمدرسة الإباضيّة، بالقاهرة ولازم دروس الشيخ عمر بن رمضان التلاتي، هناك. فتبحّر في العلم. وأصبح مدرّساً في الأزهر، أين تجمّع حوله الطّلبة. وأصبح ينعت: "ببدر الدّين".

قال ابن تعاريت :
"وقد اشتهر عند علماء مصر. وعرفوا قدره. ونعتوه بالبدر. فصار معروفاً به. فإذا أطلقت البدر لا تنصرف إلاّ إليه ".
وكانت دروسه تنوّر العقول . وتكوّن الشجاعة. وتقوّي الكرامة . وتغرس الأخلاق الحميدة.
وكان يحثّ الطّلبة على الأخذ من الدّنيا، على قدر الحياة فيها . وعلى التزوّد منها بالصّالحات الباقيات، لما بعد الموت . وكان يتمثّل لهم بقول أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي :

أحَبُّ فتى مَاضي العزائم جازماً ... لدنيا وأخرى عاملاً بالتشمُّر

وأمّا أخو النّومات لا مرحباً به ... ولا بالجَثوم الرّاكد المتدثّر

وبعد 28 سنة قضاها المترجم له في التعلّم والتعليم، تولّى التدريس بعدّة مدارس علميّة منها:
- مدرسة بوستة .
- مدرسة القصبيّين .
- مدرسة تلاكين.

وبهذه الأخيرة، يحضر أغلب فقهاء الجزيرة. ويقام مجلس الحكم بين النّاس . وله مكان معلوم بالمسجد، ينفّذ فيه أحكامه . وهو عبارة عن غرفة صغيرة مقفلة، يجعل فيها الممتنع عن اداء الحقّ . ولا يخرجه منها إلاّ إذا أذعن .
تولّى رئاسة مجلس العزّابة سنة 1068 هـ / 1657 م .

ذكر تلميذه أبو الحسن علي بن بيان شيئاً من أخلاقه، قائلاً:
" كان رحمه الله كثير البكاء، من خشية الله، خضوعاً عند تلاوة القرآن الكريم، وذكر الوعد، والوعيد. والغالب في مجالسه ذكر الموت ، وعذاب القبر، والوقوف بين يدي المولى- سبحانه وتعالى - وذكر الجنّة، وما أعدّ الله لأهلها : تشويقاً إليها . وذكر النّار، وما أعدّ الله لأهلها: تخويفاً منها" .
وأضاف : من كثرة ورعه ، أنه لمّا طلب منّي ذات مرّة أن أجلب له شوكة، لوخز دابّته، أعطيته شوكة فيها رطوبة. فنهاني. قائلاً : "أريد ما هو يابس جداً".

ومن صفاته: الزّهد في الدّنيا، والرّغبة في الآخرة. وكان يقول :
"احفظوا عنّي أنّي لا أحلف لأحد . ولا أحلّف أحداً . فمن ادّعى عليّ شيئاً، دفعته له . ومن ادّعيت عليه شيئاً، وأنكرني تركته " .

من مؤلّفاته :

- حاشية على كتاب قواعد الإسلام، للشيخ إسماعيل الجيطالي (750هـ/1349م). وهي أوّل تصانيفه. ألّفها سنة 1057هـ/1647م
- حاشية على كتاب الموجز في أصول الدّين، للشيخ أبي عمّار عبد الكافي الوارجلاني (ت 570 هـ / 1174 م).
- حاشية على كتاب اللمع، المشهور بالوضع، في العبادات، للشيخ يحي الجنّاوني.
- حاشية على كتاب الإيضاح، للشيخ عامر الشمّاخي.
- حاشية على شرح مقدّمة التّوحيد، للشيخ أحمد بن سعيد الشمّاخي (ت928هـ/1522م).
- حاشية على كتاب النكاح، للشيخ يحي الجنّاوني. ألّفها سنة 1083 هـ/1672م.
- حاشية على شرح الشيخ أبي عمّار عبد الكافي، لكتاب الجهالات، في أصول الدّين، للشيخ تبغورين بن عيسى الملشوطي.
- حاشية على كتاب تبيين أفعال العباد ، للشيخ أحمد بن أبي بكر الفرسطائي (ت 504 هـ / 1110 م) .
- حاشية على كتاب فرائض الميراث ، للشيخ إسماعيل الجيطالي .
- حاشية على كتاب السّؤالات، للشيخ أبي عمرو عثمان بن خليفة المارغني السّوفي .
- حاشية على كتاب الأحكام، للشيخ يحي الجنّاوني .
- حاشية على شرح الشيخ إسماعيل الجيطالي للقصيدة النونيّة في التوحيد، للشيخ أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي. ألّفها سنة 1070هـ/1659م .
- حاشية على تفسير القرآن الكريم ، للشيخ هود بن محكم الهوّاري: قاضي الإمام عبد الوهّاب الرّستمي (171–211هـ/ 787–827م).

- حاشية على كتاب الترتيب في الحديث ، لأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني .
- حاشية على " الجامع الصّحيح" في الحديث، للإمام الرّبيع بن حبيب الفراهيدي (ت170 هـ / 786 م) ألفها سنة 1082هـ/1672م . وترجم فيها لروّاة الحديث وبيّن طرق السّنة، والرّواية.
وقد طبعت للمرّة الأولى، طبعة حجريّة، في أربعة أجزاء بزنجبار.
- حاشية على كتاب مختصر العدل والانصاف، للشيخ أحمد بن سعيد الشمّاخي.

أبرز تلاميذه :

- أبو الحسن علي بن بيان.
- أبو حفص عمر بن علي بن ويران .
- أبو زيد بن أحمد بن أبي ستّة وأخوه أبو الرّبيع سليمان .
- أبو حفص عمر بن صالح بن منصور .

توفّي – رحمه الله – في شهر ربيع الثاني سنة 1088 هـ / 1679 م . وضريحه بروضة المحشي، بحومة ورسيغن .

مرثية في المحشي

لقد أرقت ودمع العين كالهطل ... يهوي وبتّ نحيف الجسم ذا علل
وكاد قلبي من الاسقام ينصدع ... وطال جشوني ولم بالنوم اكتحل
لفقد شيخي إمام العصر قدوتنا ... بدر التّمام سمَي خاتم الرّسل
نجل الزّكي أبي حفص الذي شهدت ... له الورى إنّه سيّد كلّ ولي
قد ضمّ في كفن فالقبر مسكنه ... ممهّد التّرب والأحجار والنّبل
عدل ذكيّ تقيّ القلب ذو ورع ... فالله أكرمه بالعلم والعمل
قد نشأ في طلب المجد ثمّ سمت ... هامته ربّنا بالفضل لم تنل
أكرم به سيّدا فاق الورى شرفا ... إذ قد نما مجده علوّا على زحل
ما أمّ ذو حاجة قد ضيّع منزله ... إلاّ أجاب له سعيا على عجل
لله من عالم لله من فاضل ... لله من خاشع للدّائم الأزل
جدّد في الدّين ماقد شاده السلف ... إذ هو لم يبق غير الوسع والطّلل
جزاه ربّي جنان الخلد يسكنها ... مع الحسان ذوات الحلي والحلل
وكان يعبد طول الليل خالقه ... في أرق ليس كما عجز ولا كسل
لقد تكامل فيه المجد والثراء ... والحلم والبرّ ما لله من مثل
ما راد يحصي له فضلا يقال له ... احصى النّجوم فلم يقدر يحصل
قد عاش دهرا على الخيرات ثمّ مضى ... إلى المعالي لخير الزّاد والعمل
قد كان للخلق نورا يستضاء به ... في الدّين ثمّ انطفى وزال عن عجل
أورثنا كربة قضمنا القلوب لها ... نحن لها في قيود الوجد لم تزل

الشيخ سعيد بن علي يامون:

هو العلامة الشيخ أبو عثمان سعيد بن علي يامون .
ترأس "مجلس العزّابة" في النصف الثاني من القرن 8 هـ / 14 م.
فإليه ترجع الشّورى في زمانه .
قال ابن تعاريت :
"إذا نزلت بأكابر مشائخ عصره نازلة ، يجتمعون عنده ، لقدم هجرته ". أي لقدم انتسابه للعزّابة .

أبرز تلاميذه :

- أبو يحي زكرياء بن أفلح الصّدغياني .

توفي – رحمه الله – سنة 800 هـ / 1398 م . وضريحه بروضة قرب منزله بحومة غيزن ويعرف المكان بإسم: "جدّي سعيد" .

الشيخ أمغار بن جابر:

هو الشيخ أمغار بن جابر. وكلمة أمغار تعني: سيّد الناس .
أخذ العلم عن الشيخ سليمان بن سعيد بن صالح بن أبي زيد، بمدرسة تلاكين. ثمّ قام بالتّدريس فيها .

أبرز تلاميذه :

- أبو يحي زكرياء بن محمّد بن أبي زيد .
- أبو حفص عمر بن يحي بن أبي زيد .
- أبو الرّبيع سليمان بن سعيد بن سليمان بن أبي زيد.

من مؤلّفاته :

- نظم من بحر الرّجز في نسبة الدّين . ذكر فيه المسائل المشهورة بموازين القسط .

- ترتيب كتاب تبيين أفعال العباد، لأبي العبّاس أحمد بن بكر الأريني (ت 505 هـ / 1111 م).

ومن علماء مدرسة تلاكين نذكر كذلك:

- **الشيخ أبو حفص عمر بن أحمد البقطوري** (ت1280هـ/1863م) :

أخذ العلم عن الشيخ يوسف المصعبي، بمدرسة الجامع الكبير وترأس مجلس العزّابة في عصره.

- **الشيخ قاسم بن سليمان بن محمّد بن عمر الشمّاخي .**
- **الشيخ عمر بن سليمان بن الحاج يحي.**
- **الشيخ محمّد بن يوسف بن سعيد بن تعاريت.**

وقمت بالتدريس فيها من سنة 1940 م إلى سنة 1975 م.

علماء مدرسة تيفروجين

يقع مسجد تيفروجين بحومة والغ القديمة التي كانت تسمّى :" تحريزيت". وكانت به مدرسة علميّة، من علمائها :

الشيخ عمر بن جميع :

هو العلامة الشيخ أبو حفص عمر بن جميع بن واسين اليهراسني – نسبة إلى بني يهراسن قبيلة أبي مسور.

أخذ المبادئ بجربة . ثمّ ذهب صحبة أخيه: الشيخ عيسى إلى الجريد ، قاصدين الشيخ أحمد بن سعيد التيمجاري – نسبة إلى بلدة تيمجار- بنفوسة ، الدّرجيني – نسبة إلى بلدة درجين بنفطة : صاحب كتاب الطّبقات (670 هـ / 1271 م) . وبعد أن ملأ وطابيهما من العلم اشتغلا بالتّدريس في مدرسة تيفروجين، بحومتيهما . وذلك في النّصف الثاني من القرن 7 هـ / 13 م .

وقد ترجم الشيخ عمر كتاب" مقدمّة التّوحيد" من اللّغة الأمازيغيّة إلى اللّغة العربيّة . وهو مؤلف في آخر القرن 4 هـ / 10 م ، بالأمازيغيّة: لغة أغلب السّكان في ذلك العصر .

وقال في مقدمّة ترجمته :

الحمد لله الذي سمك السّماء بغير عمد. ليس له ابتداء، و لا نهاية، ولا أمد . عالم الغيب والشّهادة . قضى لقوم بالسّعادة، ولآخرين بالشقاوة. هو الحيّ لا إلاه إلاّ هو. فادعوه مخلصين له الدّين . الحمد لله ربّ العالمين .

فإنّي وجدت هذه النّكتة منسوخة بالأمازيغيّة، في توحيد خالق البريّة. فسألني من لا أردّ قوله. و لا أجهل فضله، أن أنقلها إلى لسان العربيّة ليبين لفظها. ويسهل على القارئ حفظها فأجبته إلى ما طلب.

وساعفته فيما رغب. والخير في ذلك أردت. وبالله التوفيق . وعليه توكلت وهو حسبي، ونعم الوكيل.
قال الشيخ إبراهيم أطفيّش ، في تحقيقه حين طبعها :
يبدو على متن مقدّمة التوحيد، المنسوبة إلى العلامة أبي حفص، أمور منها :
اشتمالها على ما لايسع جهله، من مسائل التوحيد. واحتواؤها على مسائل هي من قبيل مسائل التاريخ: كذكر الأنبياء . وما هنالك من أمّهات المسائل التي يجب أن يلمّ بها المتعلّم حتّى يكون اخذاً بقسط من مسائل الدّين ، وأصول التّشريع .
وتشمل هذه المقدّمة على أمور التوحيد، وتفسيرها على منهاج السّلف الصّالح، دون اللّجوء إلى أساليب الفلسفة الكلاميّة ، ولا إلى الجزئيّات الخلافيّة . وفيها بيان لحال المسلم في أطوار الحياة الدّينيّة، ولأحوال الأمّة الإسلاميّة في حالات: الاستقلال، والظهور، والكتمان. كما تبيّن أصول التشريع من التنزيل، والسّنة، والرّأي، والاجماع، والقياس .
وتدعو إلى طاعة أولي الأمر من الأئمّة العدول. وإلى التضحية في سبيل الحقّ. وتحث على التمسّك بخمسة مبادئ ، هي : معرفة المعبود، والرّضا بالموجود، وإقامة الحدود، والصّبر على المفقود، والوفاء بالعهود .
فقد جمعت هذه المقدّمة بين الأصول، والتاريخ. وأبرزت المكانة العلميّة للمترجم له .
وقد شرحها الشيخ داود التلاتي، والشيخ أحمد الشمّاخي . وللشيخ المحشيّ حاشية على شرح هذا الأخير .

توفّي في أوائل القرن 8 هـ / 14 م . وضريحه بروضة مسجد تيفروجين ، بحومة والغ - رحمه الله- .

الشيخ قاسم الجنّاوني:

هو الشيخ أبو الفضل قاسم بن أيّوب الجنّاوني- نسبة إلى موطنه الأصلي بلدة جناون بجبل نفوسة- .

أخذ العلم عن الشيخ عمر بن جميع، بمدرسة تيفروجين . ثمّ خلفه بالتدريس فيها مع أخيه: الشيخ يخلف .

ثمّ تولّى التدريس بعدهما :

- الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن زكرياء بن موسى بن هارون الباروني (ق8 هـ /14م)

- ثمّ إبنه الشيخ أبو يحي زكرياء. وعنه أخذ الشيخ أبو نوح فتح بن نصر الملوشائي.

ومن علماء مدرسة تيفروجين ، نذكر أيضا :

- **الشيخ أبو زكرياء يحي بن عامر الباروني** (ق9هـ/15م).
- **الشيخ أبو يحي زكرياء بن عيسى الباروني** : الذي أخذ عن الشيخ أبي يوسف يعقوب بن محمّد اليفرني (ق10 هـ/16م) .
- **الشيخ خليفة بن محمّد بن يحي الباروني** (أواخر القرن 10هـ/16م).
- **وأخوه الشيخ أبو الرّبيع سليمان.**
- **الشيخ أبو العبّاس أحمد بن سليمان الباروني** (القرن11هـ/17م).

الشيخ أبو القاسم بن عمر بن صالح بن محمّد بن خليفة الباروني:

أخذ العلم عن والده: الشيخ عمر بمدرسة الجامع الكبير. ثم ذهب إلى مصر. ودرس بالجامع الأزهر، وبالمدرسة الإباضيّة، بالقاهرة قبل أن يتولى التدريس:

- بمدرسة الباسي.
- وبمدرسة تيفروجين .

- الشيخ عيسى الباروني :

هو الشيخ أبو موسى عيسى بن أبي القاسم بن عمر بن صالح الباروني : أخذ العلم عن والده :الشيخ أبي القاسم، بمدرسة تيفروجين. وعن الشيخ يوسف المصعبي، بمدرسة الجامع الكبير. ثمّ ذهب إلى مصر للدّراسة بالجامع الأزهر وبالمدرسة الإباضيّة، بالقاهرة. وذلك قبل أن ينظمّ إلى مجلس العزّابة، وإلى هيئة التعليم بمدرسة تيفروجين.

وقد بعث رسالة إلى أهل عمان، ردّا على الرّسالة التي كتبها الشيخ العلامة محمّد بن عامر بن راشد العماني، مثنّيا على أهل جربة الذين ثبتوا على الدّين الذي كان عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

رسالة إلى علماء عمان(1)

الحمد لله الذي جعل الكتابة للإنسان، قائمة مقام المشافهة بالكلام، عند تعذّر الملاقاة بالأبدان، ولو تباعدت الأوطان. ذلك فضل من المنّان الذي ألهمنا، وعلّمنا. فعلّم الإنسان ما لم يعلم. وأكرمه بجلّ نعمه. وسخّر له اللّسان. وعلّمه القرآن، بعدما شرّفه بالغريزة العقليّة. فكلّفه بالفرائض القوليّة، والفعليّة، حتّى صار من غلب عقله هواه سما، وعلا. ومن غلب هواه عقله هوى، وتدلّى. ووفّق من شاء بقدرته إلى القيام بأفعاله الصّالحة. وخذل بعدله من شاء بأفعاله الطّالحة. فسبحانه من إلاه تنزّه عن ندّ، وضدّ، وصاحبة، وولد، وعن شريك في القول، والفعل.

قال تعالى: "لقد منّ الله على المؤمنين. إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته. ويزكّيهم. ويعلّمهم الكتاب، والحكمة. وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين " (2).

وأمدّه بالكتاب النّاطق، واللسان الصّادق، رحمة وبشرى للمؤمنين، وموعظة وذكرى للمتّقين. فأشبع بهما من ضمإ القلوب غليلا . وصار صدق الحقّ بهما صقيلا. صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، المتّبعين له بإحسان إلى يوم الدّين.

وبعد ، فأخصّ بجزيل السّلام، والتحيّة، والاكرام، الكرام ذوي الفضل والاحسان، والعدل، والأنعام. المنشرحة صدورهم لتخليص البيان . المنوّرة قلوبهم بلوامع التّبيان. المشرّفين بحلية الادراك، وزينة الافهام ، وبادراج درر المعاني في جواهر الألفاظ على شرط الانتظام. أعني هم سادتنا، وقادتنا، ومشائخنا، وإخواننا، من أهل عمان ذوي الدّين القويم، والصّراط المستقيم. العلماء الأخيار، بني

الأخيار. الذين شهدت بتحرير سطورهم الدّفاتر. وقضت بتحقيقهم أقلام المحابر. وقامت كلمة الاجماع على أنّهم ختام من يذكر بعلم وعمل، من النّاس. وحكمت كلمة الأنام على أنّهم مقدّمون تقدّم النّص على القياس، البارّين، العاملين بمقتضى الكتاب، والسنّة آناء الليل، وأطراف النّهار. والمخلصين له العمل من غير رياء، ولا استكبار. فأولئك هم أولي الألباب. أسكننا الله، وإيّاهم في أعلى عليّين، مع من خصّهم المولى بالحوض موردا وأنعاما.

وأخصّ بالسّلام إمامنا، وقدوتنا: السّلطان أحمد بن سعيد بن محمّد الأزدي العماني آل بو سعيد (1167-1996 هـ /1753/1782م). أسعد الله أيّامه. وجعل في أعلى عليّين مقامه.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعلى من يلون بجنابكم الشريف من أولي الفضل والإخوان. هذا، وأخصّ بالسّلام، والتحيّة ،والاكرام، العالم العلامة : الشيخ محمّد بن عامر بن راشد، ناظم القصيدة التي تلقيناها. فتناثرت الدّموع من عيني كلّ حبيب بسماع كلّ كلام عجيب. وما ذلك إلاّ شغفا، وتشوّقا، ومحبّة منّا لإخواننا. فتهادينا من يد إلى يد. وتراسلنا من بلد إلى بلد. وقد حثنا على التمسك، واتّباع أسلافنا الأخيار الأبرار. فها نحن كلّنا على ما عليه أسلافنا، وأسلافكم. فكبيرنا، وصغيرنا، من الرّجال، والنّساء، على ما تعلمونه من العقيدة الرّبّانيّة، والعبوديّة المحمديّة :

- والدنا: الشيخ أبو القاسم بن عمر الباروني، وأخوه: الشيخ صالح .

- الشيخ محمّد بن سليمان الباروني، وأخوه الشيخ أحمد.

- العلامة الشيخ عمر بن أبي القاسم البغطوري، النّفوسي .

- العلامة الشيخ يوسف بن محمّد المصعبي، وبنوه الشيوخ : محمّد، ومهني وعلي.

. الشيخ يونس بن محمّد الباروني. وأخوه الشيخ أيّوب وإبنه:الشيخ عبد العزيز.

- الشيخ أبو القاسم بن أيّوب الباروني.
- الشيخ عمر بن أحمد الجادوي ، وإبنه: سليمان.
- الشيخ أحمد بن إسماعيل الشمّاخي.
- الشيخ قاسم بن عمر الشمّاخي .
- الشيخ سعيد بن يحي الشمّاخي .
- الشيخ علي بن مرزوق بن حديد .
- الشيخ يحي بن قاسم القلالي .
- الشيخ قاسم المثني .
- الشيخ سعيد الزّنكري .
- الشيخ رمضان الغول .
- الشيخ علي بن سليمان بن حديد.
- الشيخ أحمد بن إبراهيم التندميرتي، وإبنه: الشيخ إبراهيم .
- الشيخ يوسف بن محمّد بن أبي زيد الصّدغياني.
- الشيخ أيّوب بن عيسى التندميرتي .
- الشيخ عبد الله بن سعيد الشمّاخي .
- الشيخ عمر بن علي الباروني.
- الشيخ محمّد بن إبراهيم الباروني .
- الشيخ محمّد بن عبد الرّحمان الفسّاطوي .
- الشيخ محمّد بن عبد الرّحمان مالّيو.

وكافة إخوانكم المغاربة المتمسّكين بالدّين القويم: من نفوسة، وجربة، وميزاب.

هذا، وعرّفونا بأسماء مشائخكم، وبأحوالهم ، كما كانت عادة الأسلاف، منّا ومنكم .
والسّلام عليكم ثانية. من كاتبها أخوكم عيسى بن أبي القاسم بن عمر الباروني نسبا، الإباضي مذهبا، النّفوسي وطنا ، الجربي دارا ومسكنا.
وفّقنا الله، وإيّاكم للعمل الصّالح . وآخر دعوانا: أن الحمد لله ربّ العالمين .

---

(1) رسالة الشيخ عيسى بن أبي القاسم الباروني ، إلى أهل عمان.
(2) سورة آل عمران . الآية 164.

علماء مدرسة الماي

يقع مسجد الماي بحومة الماي- نسبة إلى قبيلة لماية- .
بني في أواسط القرن الأوّل للهجرة. وكان حصنا للجنود المدافعين عن جربة. ويدلّ على ذلك ضيق محرابه،ومتانة بنائه، زيادة على كونه يتوسّط الجزيرة. وبذلك يكون سندا للمساجد السّاحليّة ذي الوظيفة الدّفاعيّة، والدّينيّة.
ولمّا ضاق بالمصلّين، تمّ توسيعه. وتأسّست به مدرسة علميّة، من علمائها :

- الشيخ أبو موسى عيسى بن السمح الربّاني – نسبة إلى ربّانة- :

أخذ العلم عن الشيخ أبي مسور اليهراسني، بمدرسة الجامع الكبير. ثمّ تولّى التّدريس بها ، وبمدرسة الماي .
قال الدّرجيني(1):
"هو المعتمد في الفتوى . والمتقدّم في فنون العلم. جوابه عن السّؤال رونق، وبلاغة. وألفاظه حسنة الوصف، والقناعة."
وذكر عنه أنّه قال:" خرجنا مع هؤلاء: يعني قومه وأهله. وتركنا أصحاب المواشي. وقرأنا العلم. وجمعنا مثلما جمعوا ".
وإنّ أبا موسى - رحمه الله - قال هذا لا فخرا، وافتخارا. وإنّما تحريضا على طلب العلم، والدّين. فقد كان أحد الأعلام الذين تفتخر بهم الجزيرة.
وإليه ينسب جامع "جدّي عيسى " بحومة ربّانة .
استشهد - رحمه الله- إثر هجوم المعزّ بن باديس الصّنهاجي على جربة سنة (431 هـ /1038م) .

- **الشيخ أبو عفيف صالح بن سليمان بن يدّر السّدريني :**

نسخ المدوّنة الكبرى لأبي غانم بشر بن غانم الخرساني في شهر رجب سنة (1161 هـ /1748م). وذكر الرّسالة التي بعثها الشيخ أبو عبيدة إلى الشيخ إسماعيل بن زياد التّفوسي سنة 140 هـ /757م .

- **الشيخ عمّار الزّواغي .**

- **إبنه :الشيخ سعيد .**

- **الشيخ إسماعيل الفراوي** (1160 هـ /1747م).

---

(1) الدّرجيني . الطبقات. ج 2، ص 361

علماء مدرسة تيواجن

مسجد تيواجن- نسبة إلى حومة تيواجن- أو مسجد الورطاني- نسبة إلى منشئه الشيخ أبي القاسم الورطني. يقع شمال غربي حومة التلات، بقلالة . وتسمّى الجهة بحومة الورطانيّين – نسبة إلى أسرة بني ورطان- التي يرجع تاريخها إلى القرن 5 هـ /11م. وهي أصل عائلة : ابن تمنصورت الموجودة اليوم بحومة وادي الزّبيب. ولها فرع آخر بحومة قلالة.

وكانت به مدرسة علميّة، من أهمّ المدرّسين فيها، بعد الشيخ أبي القاسم الورطاني وأبناؤه، وأحفاده :

ـ الشيخ أحمد الشمّاخي :

هو العلاّمة الشيخ أبو العبّاس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد بن سعيد بن قاسم بن محمّد بن عمر بن يحي بن إبراهيم بن موسى بن عامر الشمّاخي. فنسبه يصل إلى الإمام: أبي ساكن عامر صاحب الأيضاح (ت 792 هـ /1390م).

وقد تسمّت الأسرة: بالشمّاخي- نسبة إلى موطنهم الأصلي شمّاخ، بجنوب غربي يفرن، بجبل نفوسة .

ولد سنة 845 هـ /1441م، ببلدة القصير، بيفرن. ثمّ انتقل مع عائلته، إلى بلدة تغرامين- بين يفرن وجادو- حيث كثرة السّكان، وازدهار الثّقافة والعمران. فتخرّج منها عدّة علماء .

ولمّا انسابت موجات بني سليم ، من صعيد مصر، إلى شمال إفريقيا سنة 443 هـ /1051م. استقروا في ليبيا. ولمّا كثر النّهب ، والتّخريب في نواحي تغرامين، تفرّق أهلها طالبين الأمن والرّاحة، حيث يسلمون في دينهم، وعرضهم .

وممّن انتقل من علماء الشمّاخي ، إلى جزيرة جربة الشيخ عبد الواحد بن صالح الشماخي.
وبقي بها أحفاده إلى الآن، في حوم: اجيم، وقلالة، وغيزن، وقشعيّين. واشتهروا باسم: الخيري، في حومة آجيم. وباسم عبد الواحد، في حومة غيزن.
تعلّم المبادئ عن والده: الشيخ سعيد. وحفظ القرآن الكريم، وهو لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره. ولازم دروس العلاّمة اللّغوي: أبي يوسف يعقوب بن أحمد بن موسى الشمّاخي (894 هـ - 1487م). ثمّ انتقل إلى مدينة جادو. واخذ عن الشيخ أبي عفيف صالح بن نوح التّندميري (ت 874 هـ /1470م) الذي أخذ عن الشيخ عبد الله بن عبد الواحد الشمّاخي .
ذهب سنة (891 هـ /1485م) إلى تونس. والتقى بملك إفريقيّة: أبي عمر عثمان الحفصي (839- 983 هـ /1435-1488م) .
وتحاور معه في عدّة مسائل فقهيّة .ثمّ تحوّل إلى عمان. والتقى بالعلاّمة الشيخ أبي عبد الله محمّد بن عبد الله الشمائلي. ونقل عنه أخبار إباضيّة المشرق. ثمّ درس بجامع الزّيتونة أصول الفقه، والبلاغة على يد الشيخ البيدموري ،الذي قال فيه:
" كان محققا، وحيد العصر، وفريد الدّهر. وما في تونس أنحى منه" - أي أعلم منه في النّحو- .
وبعد رحلته في طلب العلم، رجع إلى بلدته يفرن. وتولّى التّدريس بمدرسة جامعها الكبير، الذي يعود تاريخ بنائه إلى سنة 107 هـ /726م. وتبلغ مساحته 17 مترا مربّعا. وفيه مكان مخصّص للنّساء.
وفي سنة 915 هـ /1509م، قدم المترجم له إلى جزيرة جربة. وتولّى التّدريس في مدرسة تيواجن.

وقد كان يقسّم أوقاته اليوميّة مع طلبته، الذين أتوا: من داخل الجزيرة، ومن جبل نفوسة، ومن جبل دمّر، ومن المغرب كما يلي:
يقوم آخر اللّيل لصلاة النّوافل إلى قرب الفجر. ثمّ يصلّي الصّبح بتلاميذه. ويقعد معهم لتلاوة القرآن الكريم، حتى طلوع الشّمس. وبعد أن يقرأ عليه البرنامج اليومي للتّدريس، يصلّي صلاة الضّحى. ثمّ ينصرف إلى بيته. وإثر عودته، يصحّح ما كتب التّلاميذ من مقالات الإنشاء. ثمّ يبدأ دروس الحساب، والميراث حتّى صلاة الظّهر . وبعدها، يشرع في دروس الفقه، والأصول، حتّى صلاة العصر. ثمّ ينصرف إلى بيته ثانية، ليعود مع صلاة المغرب. ويجلس لتلاوة القرآن الكريم، مع تلاميذه، إلى أن يحين وقت صلاة العشاء. ثمّ يذهب إلى منزله. ثمّ يعود لتدريس الفرائض، حتّى منتصف اللّيل .
وكان يحقق في المسائل. ويحلّ المشاكل. ويوضّح الغوامض. وينظر بنظرة سديدة إلى الحياة . فهو يعتني بمصالح النّاس. ويعمل على فتح الأذهان، ولفت النّظر إلى اليقظة، والعمل . فقد بلغ منزلة هامّة في العلم، جعلته منارا يهتدى به، وعالما يلتجأ إليه .
قال ابن تعاريت :
" كان إماما، وقدوة في جميع العلوم. وله اليد العليا في التّأليف. ألّف كتبا كثيرة. جدّد بها ما اندرس . وأحيى بها ما انطمس. وعمّ النّفع بها جميع البلاد. جزاه الله عن الإسلام خيرا ".

من مؤلّفاته:

إضافة إلى اشتغاله بالتّعليم ، ونشر العلم، في جبل نفوسة، وجزيرة جربة ، ألّف المترجم له كتبا تعدّ من المراجع العلميّة. ومنها :

- مقدّمة في أصول الفقه، وشرحها . اختصرها من كتاب العدل والانصاف لشمس الدّين أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (ت 570 هـ -1174م). وقد فرغ من تأليفها سنة 854 هـ - 1448م .

-شرح كتاب مرج البحرين في المنطق والفلسفة، للوارجلاني كذلك .

-إعراب مشكل الدّعائم في اللّغة، لأبي النّظر العماني. ألّفه سنة 888 هـ /1483م .

- القول الحقّ في المسائل الخلافيّة. وهو كتاب يمتاز بالدقة في المعنى والمتانة في المبنى، والقوّة في الحجّة.

-رسالة في صلاة الجمعة، وأسرارها، وحكمتها.

-رسالة في النّفس الإنسانيّة .

-رسالة في حكم الأوقاف .

-رسالة في الردّ على صولة بن إبراهيم الغدامسي. بيّن فيها الأسس الصّحيحة للإباضيّة .

-رسالة في حكم المفقود .

-شرح كتاب مقدّمة التّوحيد للشيخ عمرو بن جميع فرغ منه سنة (894 هـ -1489م).

- كتاب السّير. وهو آخر تآليفه، حيث أتمّه يوم الثلاثاء آخر ذي الحجّة سنة 925 هـ -1518م.

- ذكر فيه سير الإباضيّة ، وتراجم العلماء، من عهد الصّحابة رضي الله عنهم إلى زمانه. وهو ثروة تاريخيّة، وكنز ثمين، لمن يريد أن يتعرّف على التّاريخ الإسلامي. وقد بيّن سبب تأليفه لهذا الكتاب، قائلا:

" وردت علينا رسالة ممّن يهمّه أمرنا. وابتغى الاطّلاع على أحوالنا، ومعرفة أخبار بلادنا، وما نحن فيه من الظّهور، والكتمان، والوقوف على مناقب الإخوان. أرسلها إلى مغربنا: الفاضل أبو عبد الله محمّد: سلطان عمان .

أبرز تلاميذه:

-أبو يحي زكرياء بن إبراهيم الهوّاري .

-إبنه: أبو يعقوب يوسف الذي تولّى التّدريس بعده.

توفّي -رحمه الله- في شهر جمادى الأولى سنة 928 هـ /1522م . وضريحه بروضة شرقي مسجد الفقيه بلقاسم، بحومة تيواجن.

علماء مدرسة ولحي

يقع مسجد ولحي- نسبة إلى عائلة ولحي التي اعتنت به- بحومة وادي الزّبيب، لذلك يسمّى أيضا: مسجد وادي الزّبيب.
وقد أسّسه الشيخ أبو عبد الله محمّد بن أحمد الصّدغياني، في أواسط القرن السّابع للهجرة/ 13 للميلاد. وجعل فيه مدرسة علميّة، انتدب للتّدريس فيها الشيخ يعيش موسى الزّواغي . لذلك يسمّى كذلك: مسجد الشيخ يعيش. وهكذا أريح هذا الأخير من الذّهاب إلى مدرسة تاجديت، أين كان يدرّس . حيث أنّ المسافة بعيدة بين مسكنه، بحومة جعبيرة غربي الجزيرة، ومدرسة تاجديت بحومة فاتو، في شمالها الشرقي.
وفي سنة 1071 هـ /1660م، وقع توسيع هذا المسجد من طرف: الشيخ يونس بن أحمد بن يحي ولحي. ثمّ زيد فيه سنة 1192 هـ /1778م.
وقد رسمت بسقفه نقوش جلّها ايات قرآنيّة تذكّر بعمارة المسجد. ومنها :
"لاإلاه إلاّ الله محمّد رسول الله".
" إنّما يعمّر مساجد الله من آمن بالله، واليوم الآخر. وأقام الصّلاة. وآتى الزّكاة. ولم يخش إلاّ الله فعسى. أولئك أن يكونوا من المهتدين" (1).
" هو الله، الخالق، البارئ، المصوّر، له الأسماء الحسنى. يسبّح له ما في السّماوات والأرض. وهو العزيز الحكيم "(2).
"اللّهم آغفر لنا، ولجميع المسلمين والمسلمات".
" هو الله الذي لاإلاه إلاّ هو. عالم الغيب، والشّهادة. هو الرّحمان الرّحيم " (3)

"هو الله الذي لا إلاه إلاّ هو الملك، القدّوس، السّلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبّار، المتكبّر. سبحان الله عمّا يشركون " (4).
"قل لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكّل المؤمنون."
رحم الله من كتب، وقرأ. وغفر لمن تسبّب في بنائه، ولجميع المسلمين. آمين ياربّ العالمين.

وكانت مدرسة ولحي، مركزا علميّا هامّا. ومقصدا للطّلبة الوافدين عليها من جربة، ومن خارجها. ومن علمائها.

1- سورة التوبة : الاية 18.
2- سورة الحشر : الاية 24.
3- سورة الحشر: الآية 22.
4- سورة الحشر: الآية23.

الشيخ يعيش الزّواغي :

وهو العلاّمة الشيخ أبو البقاء يعيش بن موسى الزّواغي- نسبة إلى قبيلة زواغة.

أخذ العلم عن الشيخ صالح بن نجم المغراوي (ت 670 هـ /1271م) بمدرسة تاجديت. ثمّ تولّى التّدريس بها، قبل أن ينتقل إلى مدرسة ولحي. وله مسجد بحومة جعبيرة مشهور إلى الآن باسم: " سيدي يعيش ".

وأسندت إليه رئاسة "مجلس العزّابة "للفصل في القضايا، وحلّ المشاكل .

وكان حاكم قابس أحمد بن مكّي الحفصي، يبعث له رسائل يستفتيه فيها في بعض المسائل، لما يتمتّع به من شهرة علميّة تعدّى صداها ربوع الجزيرة . وقد تصدّى لأهمّ النّوازل التّي حدثت في عصره. ومنها:

-دخول النّصارى إلى جربة سنة 689 هـ /1289م .

-حملة اللّحياني على الجزيرة سنة 706 هـ /1307م.

-طرد النّصارى سنة 738 هـ /1337م.

-تولية أحمد بن مكّي على جربة سنة 738 هـ /1337م.

من مؤلّفاته :

-مرثيّة في العلماء الذين توفوا بالطّاعون سنة 750 هـ /1349م.

-رسالة وعظ لطلبة أريغ.

-رسالة في الردّ على أسئلة الأمير أحمد بن مكّي. كتبها سنة 738 هـ /1337م.

أبرز تلاميذه :

-أبو الفضل قاسم بن إبراهيم البرّادي.

-أبو عثمان سعيد بن أحمد السّدويكشي .

-إبنه :أيّوب.

توفّي -رحمه الله -يوم 10 شوال 751 هـ /1350م.

الشيخ يعيش الزّواغي (I)

أقول وبرق الحزن في السرّ يلمع ورعد الفؤاد بالمصائب يسمع

ونيران وجدي تحرق الجسم والحشا تأجّج أضعافا وقلبي مقطّع

لجمر لها أسهو وعقلي مكدّر وأبقت رمادا في الضّلوع يوزع

وفي الصّدر همّ واحتراق وغمّة وعين بعيد الدّمع بالدّم تهمع

بفقد عميد المصر مصباح عصره يعيش بن موسى الأوغي السّميدع

فنجم سماء الدّين بات آفلا يخرّ به الإسلام ميّتا ويخنع

منار الورى في الدّين والعلم والهدى لقد ظلّ بدرا في الحوالك يسطع

(I)- مرثيّة الشيخ سعيد السّدويكشي، في الشيخ يعيش الزّواغي.

رسالة إلى أهل أريغ (1)

الإخوان الأجلاء، الأولياء الأحبّة، الأتقياء الأودّة، الأصفياء الأسنّة، الأسمياء، أهل بلاد أريغ المعتادين بالوصف البليغ.

سلام كفيح جنّة من قرنفل وبان والوي يشاب بصندل

أخصّ به من اتّبع الهدى، وحاذر من عواقب الرّدى، ووسمته أساليب الملّة والسنّة. ولا استهوته مثاليب البدعة، والظنّة.

ثمّ الصّلاة على محمّد المصطفى وعلى آله وصحبه، أهل الوفاء، وعلى الأئمة الرّستميين، المقسطين الشرفاء.

أمّا بعد، فلنسمع أفئدة من حضر الإيجاز لكتابنا. وليفقه ما تلي بين يديه من خطابنا، ممّا اتّفق الطّلبة على تسطيره. وهم إخواننا: أهل الجزيرة ، وموالو بررتكم أهل النّجيرة .

أين الذين عهدتهم بالمربّع أفنوا علوما تحكي سيل المنبع

فلولا نفر من كلّ فرقة منكم طائفة، ليتفقهوا في الدّين. هلاّ منكم نافر يفقه علما. ألا فيكم قائم لله يصبح حلما. وأسلافكم منار إليه يهتدى، وإمام به يقتدى. بلغوا الحواجز، وانفطّوا من الأرض شرقها، وغربها. وعانوا في الدّنيا من أجل العلم كدّها، وكربها. أولئك لهم الدّرجات العلى .

يا أهل أريغ أورثتم صدقات جارية، وأحباسا ثاوية. فاعطوا فقراءكم صدقاتكم، ليكتفوا، ويتعلمّوا. وانوها علماءكم، ليجتهدوا، ويعلّموا. وما توفيقي إلاّ بالله. عليه توكّلت، وإليه مآلي.

---

(1) رسالة الشيخ يعيش الزّواغي إلى أهل أريغ.

الشيخ سعيد بن أحمد السّدويكشي :

هوالشيخ أبو عثمان سعيد بن أحمد بن عبد الملك السّدويكشي .
أخذ العلم عن الشيخ يعيش بن موسى الزّواغي، بمدرسة ولشي. ثمّ تولّى التّدريس فيها في أواخر القرن 8 هـ /14 م. وقد كان فقيها، وشاعرا -رحمه الله-.

أبرز تلاميذه :

-أبو عمران موسى بن أيّوب الزّواغي.

ومن قصائده :

شكوى الزّمان (1)

إلى الله أشكو الدّهرثمّ جرائري ... وتشكوه يا عمرو إليك ضمائري
فمن لي أخ ظلت النّهار مفكّرا ... ومنه وهي جسمي وضاقت خواطري
ومن أهله قضيت ليلي مسهدا ... ومن فعلهم أسبلت دمع نواظري
وأشكو إلى الإخوان دهري وأهله ... غدوا بين مكّار وعاث وغادر
كأنّهم النسّاك رؤيا وصورة ... قلوب ذئاب في ثياب خوامر
رماة بأسهم الكتائف عرضهم ... فوتر قسي غلّهم غير فاتر
حووا ما حووا من غشهم ثمّ مكرهم ... بواطنهم سود وبيض الظّواهر
فلولا بدور يكتسي الأرض نورها ... ويجلي ضباب الجهل عند الضّرائر
إذا ما بدت بالأفق يسموضياؤها ... وتبدي بنور في المجالس زاهر
تراها بدين الرّاسبي وضيئة ... وتفقو أثارا للرّبيع وجابر

---

(1) قصيد شكوى الزّمان للشيخ سعيد بن أحمد السّدويكشي.

الشيخ يدراسن بن عبد الواحد النّفوسي (1)

يا نفس بوحي ببيت فيك ولاج ... وابكي بدمع غزير القطر لجاج

على أخ عدل أرجوه لمعضلة ... تغشى عليّ باغلاق وأرتاج

نمته أعراق عبد الواحد ارتفعت ... إلى المعالي به في كلّ مدارج

يرقى إليها طليق الوجه ذي ورع ... حلو السّجايا صموت غير ملجاج

حبر تعلّى لدين الله عاجله ... صرف الرّدى بحسام بين أوداج

سمت له في مدارج الهدى همم ... تعلو فويق الثريّا كلّ درّاج

قد ساد جلّ الورى فقها ومعرفة ... ما إن له دونها في الدّهر من راج

لايألف النّوم إلاّ ريثما اكتحلت ... عيناه من سنّة هبّ بازعاج

قد كان ضوء سراج يستضاء به ... في الدّين ثمّ انطفا من بعد إسراج

قد عاش بالبرّ في الدّنيا وراح إلى ... الأخرى بزاد تقيّ ينجو به النّاجي

لولا الذي أودع الإسلام من كمل ... أضحى حزينا به من بعد ابهاج

وأورثت الحزن في كلّ القلوب فما ... تنفكّ منه بوجه غير خراج

لما نعاه النّعاة قلت ويحكم ... أنضجتم القلب منّي أيّ انضاج

بحرقة من لهيب الوجد تشجو بها ... نفسي مدى الدّهر في ضنك واحراج

إذ أصبح الدّين مفجوعا تعاوده ... أيدي الرّزايا بنقصان واخداع

وأصبحت عصبة الإسلام والهة ... تبكي فرادى ومثنى شجوها الشاجي

بعبرة كرشاش الغيث إذ فقدوا ... ضوء السّراج بدا في اللّيل وهّاج

قد كنت أسلو به عن كلّ مذهلة ... تشجي ومعتلج بالحزن ولاّج

وأرتجيه لكشف كلّ مشكلة ... يجلو صداهما بحزم منه فرّاج

فاليوم أضحى شجى في الحلق معترضا ... هاج به في فؤاد كلّ مهتاج

أنا إلى الله إذ حلت رزيّته ... حين استوى في كمال غير مخداع

أندبه ما دعت قمريّة وشجا ... ألف على غصن غضّ من السّاج

حقّ على المذهب الصّافي البكاء له ... تحت الدّجى ما طما بحر بأمواج

لتبكه عصبة حلّت به زمنا ... في محفل فعمّ بالعلم رجراج

ليبكه كلّ ديوان ومحبرة ... وقلم ببديع الحبر مجّاج

وكلّ قارعة بالخطب داهية ... أعيت على الأودعي النّطق جراج

ومن لمسترشد يحقه أدبا ... ومن لملتحف بالضّمر محتاج

ومن لذي عدم أو ذلّ ذي ندم ... يكفي ويشفي من العمى بافراج

من ذا لمدرسة أو كشف عابسة ... تغشى على القلب مثل الحندس الدّاجي

أو دفع حادثة أو قمع عادية ... أو ردع نائبة حلّت بأدواج

من ذا الذي أحدث ياجمه حججا ... بالنصّ يسرجه بغاية اسراج

من ذا يكابد طوال اللّيل في أرق ... لم يكتمل برقاد طرفه السّاجي

يا لهف نفسي عليه إذ برا سقما ... جسمي فما عن قضاء الله من ناجي

وزادني حزنا إن مات مغتربا ... لم تبكه عين مشجو به شاجي

في موطن شمتت به الأعادي بنا ... كأنّهم شمتوا منّا باعلاج

وإن جفوا فيه أنّ الدّين منقرض ... إذ أدرجوه بكفن أيّ ادراج

سحقا لهم شمتوا جهلا وقد علموا ... أنّ لنا غررا أعلام منهاج

هم الهداة لمن يبغي الهدى وهم ... أئمّة كنجوم بين أبراج

أيّتها النّفس كفّي عنك واصطبري ... واحتسبي الأجر فعل الخائف الرّاجي

لا تصدعي ببكاك القلب واعتصمي ... صبرا فما لشراب الموت من ناجي

لا بدّ من كلّ ذي روح سيجرعه أمّا بعذب شراب أو بأجاج

وكلّ ذي قدم فالقبر مسكنه تولجه فيه أيد أيّ إيلاج

أما ترى الموت لا يبقي على أحد حيّا وإن كان ذا ملك وذا تاج

حقّ تزحزحه عن ملكه ويرى نعش له أكتاف وأتباج

ممهّد التّرب في غبراء موحشة من بعد فرش على عرش من العاج

وبعد ذا لم يفق حيّا حوى غاية في الدّين ليس لها في النّاس من راج

إذ أجهد النّفس في التّقوى وأزعجها عن غيّها وهواها أي ازعاج

وكابد اللّيل في البيدا على قلص ترمي الأتوف بها دما بأمشاج

حتّى أناخ بها البطحا فعاج بها نحو الرّسول وقد شدت باحداج

فأب لما قضى من عمره وطرا ينضي المطايا بتهجير وادلاج

فالله نسأله عفوا لنا وله بمقعد الصّدق في ملك وأزواج

مع الرّسول نبّي الله في غرف لباسهم خضر سندس وديباج

صلّى عليه الذي أسرى به راكبا من بطن مكّة ليلا ظهر معراج.

وكلّ قارعة بالخطب داهية أعيت على الأودعي النّطق حراج

ومن لمسترشد يحقه أدبا ومن لملتحف بالضّمر محتاج

ومن لذي عدم أو ذلّ ذي ندم يكفي ويشفي من العمى بافراج

من ذا لمدرسة أو كشف عابسة تغشى على القلب مثل الحندس الدّاجي

أو دفع حادثة أو قمع عادية أو ردع نائبة حلّت بأوداج

من ذا يكابد طوال اللّيل في أرق لم يكتمل برقاد طرفه السّاجي

يا لهف نفسي عليه إذ برا سقما جسمي فما عن قضاء الله من ناجي

وزادني حزنا إن مات مغتربا لم تبكه عين مشجو به شاجي

في موطن شمتت به الأعادي بنا ... كأنّهم شمتوا منّا باعلاج

وإن جفوا فيه إنّ الدّين منقرض ... إذ أدرجوه بكفن أيّ ادراج

سحقا لهم شمتوا جهلا وقد عملوا ... أنّ لنا غررا إعلام منهاج

هم الهداة لمن يبغي الهدى وهم ... أئمة كنجوم بين أبراج

أيّتها النّفس كفي عنك واصطبري ... واحتسبي الأجر فعل الخائف الرّاجي

لا تصدعي ببكاك القلب واعتصمي ... صبرا فما لشراب الموت من ناجي

لا بدّ من كلّ ذي روح سيجرعه ... أمّا بعذب شراب أو باجاج

وكلّ ذي قدم فالقبر مسكنه ... تولجه فيه أيد أيّ إيلاج

أما ترى الموت لا يبقي على أحد ... حيّا وإن كان ذا ملك وذا تاج

حقّ تزحزحه عن ملكه ويرى ... نعش له فوق أكتاف وأتباج

ممهّد التّرب في غبراء موحشة ... من بعد فرش على عرش من العاج

وبعد ذا لم يفق حيّا حوى غاية ... في الدّين ليس لها في النّاس من راج

إذ أجهد النّفس في التّقوى وأزعجها ... عن غيّها وهواها أيّ ازعاج

وكابد اللّيل في البيدا على قلص ... ترمي الأنوف بها دما بأمشاج

حتّى أناخ بها البطحا فعاج بها ... نحو الرّسول وقد شدّت بأحداج

فأبى لمّا قضى من عمره وطرا ... ينضي المطايا في ملك وأدلاج

فالله نسأله عفوا لنا وله ... بمقعد الصّدق في ملك و أزواج

مع الرّسول نبّي الله في غرف ... لباسهم خضر سندس وديباج

صلّى عليه الذي أسرى به راكبا ... من بطن مكّة ليلا ظهر معراج

---

(1) مرثيّة الشيخ سعيد بن أحمد السّدويكشي في يدراسن بن عبد الواحد النّفوسي .

الشيخ أبو القاسم البرّادي:

هوالعلاّمة الشيخ أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم بن سليمان بن إبراهيم بن أبي عمران البرّادي، الدّمري – نسبة إلى موطنه الأصلي: جبل دمّر – ببني خداش– .

وكانت دمّر مركزا للتّعليم، والثّقافة. ومن علمائها :الشيخ زيري بن كلمين .

وقد انتقلت عائلة البرّادي إلى جزيرة جربة، في أواسط القرن 8هـ /14م .

ولد المترجم له سنة 720هـ/1319م .

أخذ العلم عن الشيخ يعيش بن موسى الزّواغي بمدرسة ولحي، وعن الشيخ صالح بن نجم المغراوي، بمدرسة تاجديت . ثمّ انتقل إلى جبل نفوسة. وأخذ عن الشيخ عامر بن علي الشمّاخي (ت792هـ/1390م)، وعن الشيخ أبي موسى عيسى الطّرميسي الذي أخذ عنه الشيخ إسماعيل الجيطالي. وبعد أن أتمّ تعلّمه، تولّى التّدريس بمدرسة ولحي. وقصده طلاّب العلم، من داخل الجزيرة، ومن خارجها .

وفي سنة 766هـ/1374م، ذهب إلى أريغ، للاتّصال بالإباضيّة، والاطّلاع عن المؤلّفات القيّمة الموجودة هناك. ومنها :

–كتاب السّيرة، للشيخ أبي زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني.

–كتاب الشيخ أبي محمّد ويسلان بن أبي صالح، في الفروع .

وفي سنة 765هـ/1373م، ذهب إلى مكّة المكرّمة لأداء فريضة الحجّ. واتّصل هناك، بإباضيّة عمان. وترأس" مجلس العزّابة" بعد الشيخ سعيد بن علي يامون (ت 800هـ/1397م) .

وقد ازدهرت الحركة العلميّة في عهده. وكانت الرّسائل المحمّلة بالأسئلة والأجوبة الفقهيّة، تتنقل بين: جزيرة جربة، وجبال نفوسة، ووادي ميزاب، وجبل دمّر. وكانت وفود الطّلبة تتنقل بين هذه الجهات لمزيد التّعمق في العلم، والمعرفة .

من مؤلّفاته :

-الجواهر المنتقاة لما أخلّ به كتاب الطّبقات .
-البحث الصّادق،والاستكشاف عن حقائق وأسرار كتاب العدل والانصاف، في أصول الفقه، للشيخ ابي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني.
-أطروحة" المفيد" في: الحقائق، والاعتقاد، والتّوحيد، ومسائل العلم، وحدوده .
-رسالة في تاليف الإباضيّة .
-شفاء الحائم على بعض الدّعائم. ويقول فيه متحدّثا عن مؤلف هذه الدّعائم العلاّمة أبي بكر أحمد بن النّظر العماني:
-" فإذا تتبّعت في كتبه بديع البيان، مثل المطابقة، والالتفاف، والاستطراد والاستعارة، والكتابة، والحذف، والمقابلة، وغير ذلك من أوجه البديع، رأيت ما تشهد له باليد الطّولى،والقدر الأعلى. وإذا اقتصرت على ما اعتمده.واقتنعت بما قصده. وهو ما عليه معوّله من ذكر مسائل الفروع. وجدت في ذلك آية من آيات الله المعجزة، وحسنة من حسنات الزّمان المعجبة".

توفي -رحمه الله- سنة 810هـ/1407م. وضريحه بروضة عائلة البرّادي قرب منزلهم، بحومة جعبيرة.

أبرز تلاميذه :

-أبو إسحاق بن إبراهيم بن سعيد بن أحمد السّدويكشي .
-أبو زكرياء يحي بن أفلح الصّدغياني.
-إبناه : أبو عبد الله محمّد ، وأبو محمّد عبد الله.

الشيخ عبد الله بن قاسم البرّادي :

أخذ العلم عن والده: الشيخ أبي القاسم، وعن الشيخ أبي عمران موسى بن أيّوب بن يعيش الزّواغي، بمدرسة ولحي . ثمّ ذهب إلى تونس. ودرس بجامع الزّيتونة. وذلك قبل أن يتولّى التّدريس بمدرسة ولحي، إضافة إلى رئاسة مجلس العزّابة .
قال الشمّاخي في سيره :
" كان عالما، محققا، قويّ الحجّة والدّليل. تقدّم للمناظرة أمام أبي فارس عزّوز، بحضور الحسين بن أحمد أحد علماء جامع الزّيتونة. فأعجب هذا الأخير بمكانته العلميّة. وقال للحاضرين بالمجلس:
"ما رأيت أعلم من البرّادي." ثمّ التفت إلى مدرّس العربيّة عبد الله البحتري وقال:
"إنّه يشاركك في العربيّة. ويزيد عليك في علوم أخرى".
قال أبو الرّبيع سليمان بن أبي زكرياء الفرسطائي: قدم أبو محمّد عبد الله البرّادي، إلى جبل دمّر. فسألته عن مسألة في الإيمان. فقال:
"قال بعض العلماء: النّظر في الإيمان إلى ما يدّل عليه اللّفظ. ويقتضيه. "وقال بعضهم: النّظر فيه إلى النيّات. وهو أولى".

أبرز تلاميذه :

-أبو يوسف يعقوب بن أحمد اليفرني .
-أبو النّجاة يونس بن سعيد بن تعاريت .
-أبو يحي زكرياء بن أفلح الصّدغياني.
-إبنه: أبو زكرياء يحي.

توفي رحمه الله سنة 836 هـ/1432م وضريحه بروضة البرّادي، بحومة جعبيرة.

الشيخ سعيد التّغزويسني :

هو العلاّمة الشيخ أبو عثمان سعيد بن محمّد بن عمر بن يحي التّغزويسني نسبة إلى تغزويسن، بجبل نفوسة.
ومن فروع عائلة التّغزويسني بجربة :
- أسرة ابن حمّودة، بحومة جعبيرة. وأوّلهم: الشيخ حمّودة التّغزويسني.
- أسرة أبي إسحاق، بحومة والغ. وجدّهم: الشيخ أبو إسحاق إبراهيم التّغزويسني .
- أسرة الزّنكري، بحومة الرّياض. وتنسب إلى الشيخ عمر التّغزويستي.
ولد المترجم له سنة 980هـ/1572م، بحومة مزران ونشأ في بيت علم وتقوى.
أخذ العلم عن الشيخ قاسم بن سعيد اليونسي (ت1034هـ/1624م)، بمدرسة تاجديت. ثمّ تولّى سنة 1040هـ/1630م التّدريس في مدرسة ولحي، إلى جانب رئاسة مجلس العزّابة.

وكان متضلّعا في مادّة العربيّة وفروعها. وقد قال عن نفسه في إحدى رسائله:

"زرت شيخي بالمسجد الجديد : يعني تاجديت. وقد وقعت مخاصمة بين تليمذين في قول أبي نصر: "وشرح ذلك الأكل عن سبب" حيث أعرب أحدهم الأكل خبرا لمبتدإ وهو شرح. وردّ عليه الآخر وقال. " إنّه مخفوض. وهو عطف بيان أو بدل". فصوّبت الرّفع. وقلت لهما: أين الخبر؟ فقال أحدهما : سبب هو الخبر. فقلت: "وما حقيقة الخبر"؟ فقال: "الجزء الذي تتمّ به الفائدة".

أهم مؤلّفاته :

-شرح القصيدة الحائيّة ،لأبي نصر فتح بن نوح الملوشائي

- أبرز تلاميذه:

-أبو النّجاة يونس بن إبراهيم الهوّاري .

-إبنه: أبو عبد الله محمّد .

توفّي -رحمه الله- يوم 10شعبان سنة 1073هـ/1662م وضريحه بروضة قرب منزلهم، بحومة مزران.

- الشيخ محمّد التّغزويسني :

هو الشيخ أبو عبد الله محمّد بن سعيد التّغزويسني .
أخذ العلم عن والده: الشيخ سعيد وعن الشيخ عبد الرّحمان الحيلاتي بمدرسة ولحي، قبل أن يتولّى التّدريس فيها، إضافة إلى رئاسة مجلس العزّابة .
وإليه ينسب مسجد تغزويسن، بحومة بازيم .

ومن علماء عائلة التّغزويسني، نذكر كذلك :
-الشيخ أبو الفضل قاسم بن صالح التّغزويسني. نسخ كتاب الإيضاح سنة 1122هـ/1711م .
-الشيخ أبو الرّبيع سليمان بن يحي بن أحمد التّغزويسني (ت1155 هـ/ 1742م) .
-الشيخ أبو عثمان سعيد بن عمر التّغزويسني . نسخ كتاب الوضع سنة 1166هـ/1753م.
-الشيخ أبو حفص عمر بن محمّد التّغزويسني . " شهر الزّنكري ". بنى "مسجد اللّيل" بحومة وادي الزّبيب، سنة 1167هـ/1754م. وقد بناه ليلا خشية من الأعداء.

- الشيخ علي بن بيان :

هو العلاّمة الشيخ أبو الحسن علي بن سالم بن بيان .
ولد سنة 1045هـ/1634م، بحومة مجماج .
حفظ القرآن الكريم وتعلّم المبادئ، بمدرسة ولحي .
ثمّ انتقل إلى مدرسة بوليمان بجعبيرة حيث أخذ عن الشيخ سليمان بن أحمد الحيلاتي .

وفي سنة 1062هـ/1652م، ذهب إلى مصر ودرس بالجامع الأزهر، وبالمدرسة الإباضيّة بالقاهرة.
كما لازم دروس الشيخ محمّد بن أبي ستّة المحشي، طيلة ستّة سنين.
ثمّ تولّى بعدها التدريس بمدرسة ولحي، بداية من سنة 1068هـ/1657م.
وفي سنة 1103هـ/1691م، حضر الاجتماع العلمي الذي انعقد بنالوت بين علماء جربة ونفوسة.

من مؤلّفاته :

-حاشية على شرح كتاب الجهالات. جمع فيها حواشي شيوخه الثلاثة. وقد رمز للشيخ سليمان الحيلاتي: بحرفي السّين والنون (س.ن). وللشيخ أبي زيد الحيلاتي: بالزّاي والدّال (ز.د). وللشيخ محمّد بن أبي ستّة " المحشيّ" : بالميم والدّال (م.د) .
-رسالة في التّوحيد.
-رسالة في علماء جربة.
-مرثيّة في شيخه المحشي.
-مجموعة فتاوى.

توفي- رحمه الله- بغار مجماج، يوم السبت 14 ذي الحجة سنة 1120هـ/1709م. وضريحه بروضة، قرب منزله، بحومة مجماج.

رسالة إلى قاضي جربة

بسم الله الرّحمان الرّحيم. الحمد لله العليّ الأكرم الذي ألهم، وعلّم الإنسان مالم يعلم. والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد مصباح الظّلام، المعرب عمّا في ضميره بما أضخم به العرب والعجم. صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه. وبعد

فالمخصوص يا بني الإسلام، وجوامع التحيّة والإكرام، من ابتهج بلدنا بقدومه. وتزخرفت أرجاؤه بنشر أحكامه، وعلومه. واستفاض لدينا عظيم كرمه، وفضله، وحسن خلقه، وعدله. الطّالب مثّال الاقدام. وما إن وصل إلينا شخص الكتاب الذي هو سبب هذا الخطاب. وكشف غمّ القلوب، والألباب. وأزال ما فيها من الأشواق. وصاحب القبول التّام، حتىّ أتينا سعيا إلى ذلك المقام. واختصرنا من الكلام على الإسلام. فاللّبيب منّا في هذا الوقت، من قام بتحصيل قصره. وجلس. وحافظ على أوقات خمسه .

هذا والسّلام عليكم، يشملكم الشمال المقدّمة على المحمول، والموضوع. ويحيط بكم إحاطة الهالة بالقمر، والأكمام بالثّمر .

واستغفر الله من الخطإ، والزّلل في القول، والعمل. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

منظومة للشيخ علي بن بيان

على منهج الأولى تسير رجوعنا ... فلم نكترث بالورد اذ لم يذبل
تركنا بني عمر قطينا بأرضهم ... ولم نبال من سليم ذوي الجهل
تنشق الحجاج منها روائحها ... لمغربها تحكي رياح القرنفل
حططنا حذا أهل المدينة رحلنا ... وقد ألبسوا الكلا لباس التململ
وأضرمت البغضا بها نار فتنة ... زمانا ومن يسرع إلى البغي يخذل
انخنا الجمال فاطمأنت نفوسنا ... بأوطاننا من رحلة المترحل
وذاك بعون الله بلغنا المنى ... وأيّدنا بلطفه والتوكل
لك الحمد والشكر الجزيل مداوما ... علينا بما أولى من الفضل والطول
فطوبى لنا إن كان حطت ذنوبنا ... أتينا بسعي صالح متقبل
فوا حسرتا نفسي وطول تأسفي ... إذا كان حجي ناقصا لم يكمل
ولكننا نرجو من الله عفوه ... على كلّ حال في الرّخاء وفي الأزل
واستغفر الرحمان ذنبي وزلتي ... وسوء اعتقادي بالجفا في التقول
فدونكموها درّة صدفية ... حجازية ملبوسة بأفخر الحلل
تهيج للمشتاق فرط صبابه ... إلى الكعبة البيت الشريف المفضّل
فجاز بها عفو الإله ولم يكن ... أخا كسل عن فرضه ونثقل
وتاريخها الشهر الحرام وقبله ... ثلاثون تتلوه ثلاث من الحول
وسبع من المبين تمّ عدادها ... علت مائة إحدى وتسعون بالنقل
وصلّى له العرش ربّي وخالقي ... على المصطفى المبعوث بالحقّ والفضل

الشيخ المحشّي (1)

إلى الله أشكو لوعتي وشجوني ... لفقد فريد الدّهر بالفضل مكتسا
على فرش مرفوعة ونمارق ... مزيّنة نسجا حريرا وسندسا
فحاك إباضا وابن وهب ومسلما ... وجدّد ما من دينهم كان دارسا
فأحي رسوم مذهب الحقّ بعدما ... دعائمه عافت ومحياه اتيسا
ولم يأل جهدا في المصالح منجدا ... لذي الدّين بل عن ساعد الجدّ حاسا
فزاد عن عشر من الكتب ألفا ... ثلاثا تزيل الشك والرّيب واللّبسا
أرأيت من أحل الجزيرة جامدا ... في نشر تجدّد الرّسوم والدّوارسا

على نهج خير الرّسل في الوحي حسبما ... أبان أصول الدّين للحقّ أسّسا
وذلك بعدما أقام ثمانيا ... وعشرين مصرا حافظا ومدرّسا
تركت طريق الحقّ بعدك ضائعا ... فمن للرّكوب يا بن عمر ومنقسا
ومن غوثنا عند الشدائد ملجأ ... ومأوى الفقير والأرامل والنّسا
فلا خير في الدّنيا ولا في نعيمها ... إذا ما الفتى قد ضيّع العمر مفلسا
فويل لمن عدا على الحقّ ونأى ... فما تاب حتّى خاله الموت ملبسا
ودون المنى قد عاقه يوم حتفه ... فأضحى حزينا في الرّجوم بما أسا
على أنّني ذاك المطيع راجيا ... عظيم الرّجا امداده أن ينقسا
ذنوبا كموج البحر عمّني صغرها ... كبائرها كعدّ بنت وعطرسا
على أنّ عفو الله ذي الفضل أعظم ... فما في جناب العفو ذنب فما عبسا
يكون إذا تدارك العبد رحمة ... من الله لطف يقيم المقوّسا
فعفوك أرجو يا عفوّ وراحم ... وقل يا رحيم رحمتك وقني الأسا

****

لقد أرقت ودمع العين كالهطل ... يهوى وبتّ نحيف الجسم ذا علل
وكاد قلبي من الاسقام ينصدع ... وطال شجوني وتمّ بالنّوم اكتحل
لفقد شيخي إمام العصر قدوتنا ... بدر التّمام سمي خاتم الرّسل
نجل الزّكي أبي حفص الذي شهدت ... له الورى أنّه سيّد كلّ ولي
قد ضمّ في كفن فالقبر مسكنه ... ممهّد التّرب والأحجار والنّسل
عدل ذكيّ نقيّ القلب ذو ورع ... فالله أكرمه بالعلم والعمل
قد نشأ في طلب المجد ثم سمت ... همّاته ربّنا بالفضل لم تنل
أكرم به سيّدا فاق الورى شرفا ... إذ قدمنا مجده علوا على زحل

---

(1) مرثيّة الشيخ علي بن بيان ، في شيخه المحشي.

ومن علماء مدرسة ولحي، نذكر أيضا :

-الشيخ أبو عثمان سعيد بن أحمد بن صالح البربوشي :

أخذ العلم عن الشيخ يوسف المصعبي بمدرسة الجامع الكبير. ونسخ شرحه على كتاب الدّيانات، في شهر محرّم سنة 1161هـ/1748م.

-الشيخ أبو الرّبيع سليمان بن عمر بن سلامة البربوشي :

درس بمصر، من سنة هـ 1155 هـ /1743م إلى سنة 1176هـ/1755م.

-الشيخ أبو عفيف صالح بن محمّد البربوشي(ت 1220هـ/1805م).

-الشيخ جمعة بن أحمد البربوشي (ت1226هـ/1811م) .

-الشيخ أبو البركات رمضان بن محمّد بن تمنصورت

نسبة إلى بني منصور.

قال ابن تعاريت :

"ومنهم العلماء الفقهاء: أولاد منصور بواد ي الزّبيب، وقلالة."

-**الشيخ أبو عفيف صالح بن محمّد بن تمنصورت :**
ذكره الشيخ علي بن يوسف المصعبي بقوله :

سلام عليكم من لسان حبيبكم فقيه أديب في علوم القراءة
التّمنصورتي يدعى حقيق بصالح تلاميذه الحفاظ في كلّ رقعة

- **الشيخ أبو النّجاة يونس بن أحمد ولحي** (ت1071 هـ /1660م).
-**الشيخ أبو الفضل قاسم بن عبد الرّحمان ولحي** (ت1240 هـ /1825م).
-**أخوه : الشيخ عيسى** (ت 1247هـ/1832م).

علماء مدرسة ليمس

يقع جامع ليمس في حومة آجيم. وهذه الكلمة: آجيم، أو أدجيم، بالأمازيغيّة تعني: البحر الزّاجر، أو الطّامي. واسم حومة آجيم الفينيقيّ هو: تيبازا. ويعني الممرّ أو المعبر .

وأصل تسمية هذه المنطقة السّاحليّة الغربيّة من جزيرة جربة : بآجيم، يعود إلى زمن انحصرت فيه الأرض بالبحر. وغرقت القرية. وعمّها الماء. وبقي طرف الوادي يابسا فكثرت فيه النّباتات. وعظمت الأشجار حتّى صارت آجاما. و مفردها: أجمّة. وهي مأوى الأسد في الشّجر الكثيف و الملتفّ.

وأمّا ما جرفته السّيول من الأرض العالية، فيسمّى: الجرف. وبين هذا الأخيروالجزيرة، مسافة ميلين، تقطعها الآن عبّارات عائمة: رائجة وغادية ناقلة للمسافرين، والسّلع، والسيّارات، والحافلات .

ويعود بناء هذا الجامع إلى أواسط القرن الأوّل للهجرة. وقد كان، في الجاهليّة بيعة للنّصارى. ولمّا فتحت جربة. ودخل أهلها الإسلام، حوّلوها إلى مسجد وجعلوا فيه محرابا. ثمّ بعد قرن تقريبا، وقع توسيعه. وجعل له محراب آخر وبقي القديم على حاله، ليدلّ على الزّيادة فيه.

وينسب إلى بني ليمس الذين زادوا فيه. وقاموا بشؤونه. وكانت أسرتهم تقيم بالقرب منه .

وكلمة "ليمس" أطلقها الرّومان على الخطّ الممتدّ بين البحر والصّحراء، في الجنوب الجزائري.

وكان سكّان تلك الجهة يقاومون الاستعمار الرّوماني مغتنمين اقتصاره على احتلال المراكز العسكريّة، والاقتصاديّة. وأسرة بني ليمس أصلها من هناك. وقد انتقلت إلى جربة بعد الفتح الإسلامي .

وكانت به مدرسة علميّة، من علمائها :

- الشيخ عبد الله بن صالح الشمّاخي. وإبنيه: عبد اللّه وسعيد.

- الشيخ أبو محمّد عبد الله الشمّاخي:

أخذ العلم عن الشيخ سليمان بن موسى بن عامر الشمّاخي، وعن الشيخ عبد الله بن أيّوب الجيطالي .

أبرز تلاميذه:

-أبو عفيف صالح بن نوح التّندميرتي (ت 874 هـ /1470م) .
-أبو يحي زكرياء بن يحي الباروني .
-أبو يوسف يعقوب بن أحمد اليفرني .

- الشيخ أبو عثمان سعيد الشمّاخي:

ذهب إلى مكّة المكرّمة لأداء فريضة الحجّ مع أخيه الشيخ عبد الله سنة (829 هـ / 1420م) .
توفّي ليلة الإربعاء الثاني من ربيع الأوّل، سنة (865 هـ /1462م).
وضريحه بروضة تجمع العلماء الثلاثة: الشيخ عبد اللّه و إبنيه- رحمهم الله-.
وقد زرتهم في شهر ربيع الأوّل سنة (1394 هـ /1974م) .

و من مشائخ الشمّاخي نذكر كذلك:
الشيخ أبو طاهر إسماعيل الشمّاخي، وإبنه: الشيخ أحمد. وإبنه: الشيخ عبد الله وإبنه: الشيخ إبراهيم وإبنه: الشيخ بلقاسم. وإبنه: الشيخ عمر الذي توفّي سنة (995 هـ /1586م). وترك ثلاثة أبناء تولّوا التّدريس بعده. وهم:

- الشيخ أبو يعقوب يوسف بن عمر الشمّاخي:

أخذ العلم عن والده: الشيخ عمر، بمدرسة ليمس. وعن الشيخ قاسم بن سعيد اليونسي (ت 1034 هـ /1624م) ، بمدرسة تاجديت.

أبرز تلاميذه:

-أبو الرّبيع سليمان بن محمّد بن عمر بن جلود .
-أبو عفيف صالح بن محمّد بن ويران .
-أبو العبّاس أحمد بن أبي القاسم بن محمّد النّفوسي .
-أخواه: أبو الرّبيع سليمان، وأبوعبد الله محمّد.

الشيخ أبو الرّبيع سليمان بن عمر الشمّاخي :

أخذ العلم عن والده: الشيخ عمر، وعن أخيه الشيخ يوسف، بمدرسة ليمس. ثمّ اشتغل بالتّدريس فيها .

أبرز تلاميذه:

-أبو زكرياء يحي بن سعيد اللّيني .
-أبو العبّاس أحمد بن عيسى المثني .
-أبو الحسن علي بن أحمد الشمّاخي .
-أبو عمران موسى بن سعيد النّالوتي .
-أبو الرّبيع سليمان بن قاسم الجادوي .
-أخوه: أبو عبد الله محمّد .

الشيخ أبو عبد الله محمّد بن عمر الشمّاخي :

أخذ العلم عن والده: الشيخ عمر، وعن أخويه الشيخين: يوسف وسليمان بمدرسة ليمس. ثمّ تولّى التدريس فيها، إلى جانب العلاّمة الشيخ عبد الله بن سعيد بن يحي الجادوي، لكثرة الطّلاب بها . ونذكر منهم :

-أبو حفص عمر بن أحمد الجادوي، وأخوه أبو عثمان سعيد .
-أبو العبّاس أحمد الشمّاخي الثاني، وإبنه أبو محمّد عبد الله .
-أبو الفضل قاسم بن عمر الشمّاخي، وأخوه أبو يعقوب يوسف .
-أو عثمان سعيد بن يحي الشمّاخي .
-أبو الفضل قاسم المثني.
-أبو الحسن علي بن سليمان بن حديد.
-أبو عبد الله محمّد بن عبد الرّحمان مالّيو.

أبرز تلاميذه:

-إبنه: أبو الرّبيع سليمان، المتوفّى سنة 1234 هـ /1819م، عام توجّهه إلى الحجّ وضريحه بمكّة المكرّمة، شرّفها الله.
ومن علماء مدرسة ليمس نذكر أيضا :

- الشيخ يعقوب الشمّاخي:

هوالشيخ أبو يوسف يعقوب بن أحمد بن موسى الشمّاخي.
درس بمدرسة ليمس بحومته، وبجامع الزّيتونة بتونس.
قال الشيخ البيدموري :
"كان وحيد عصره، وفريد دهره، محققا، وإماما في سائر العلوم: أمّا النّحو، فعشّه الذي يعرف كيف يدخل فيه، ويخرج منه. وأمّا في اللّغة، فيا للعجب. وفي التّفسير، لو قال أحد أنّه ما شذّ عنه شيء، فلم يكذب. وفي الحديث. يحفظ ما رواه الرّواة، بضبطه، و شكله، ومعناه. وفي التّاريخ وتسمية المحدّثين، فكأنّه حضر معهم، وصاحبهم. أمّا الأصول، والفقه، فكان فيهما آية.
حضرت مرارا حينما يحكم بين النّاس، فتعجّبت في تفصيله في النّوازل. وقلت:
"لاينبغي أن يحكم بين النّاس، إلاّ مثل هذا".
وحضرت مجلسه وسألته عن مسألة لم أجد من يزيل عنّي اشكالها. فأبهرني بجوابه. وبالجملة من لم يره لم ير ما يتحدّث به عنه."

- الشيخ سليمان بن أبي بكر الشمّاخي :

هو الشيخ أبو الرّبيع سليمان بن أبي بكر بن محمّد بن يحي الشمّاخي.
درس المبادئ بحومته ثمّ أخذ عن الشيخ يوسف المصعبي، بمدرسة الجامع الكبير. ونسخ هناك الجزء الثالث من كتاب الايضاح، سنة 1112 هـ /1670م.
ثمّ أخذ عن الشيخ عمر بن أبي ستّة، بمدرسة بوستّة. ونسخ هناك كتاب نوازل نفوسة .

أبرز تلاميذه :

-إبنه: أبو عفيف صالح .

الشيخ يحي بن سعيد اللّيني:

هو الشيخ أبو زكرياء يحي بن سعيد اللّيني.

أخذ العلم عن الشيخ سليمان بن عمر بن قاسم الشمّاخي، بمدرسة ليمس. ثمّ ذهب إلى مصر. ودرس بالجامع الأزهر، وبالمدرسة الإباضيّة، بالقاهرة. ونسخ هناك كتاب الحجّ من الإيضاح، في شهر صفر سنة 1094 هـ /1683م.

الشيخ سليمان الفوراتي:

هو الشيخ أبو الرّبيع سليمان الفوراتي، الخيري – نسبة إلى حومة آجيم-.

درس المبادئ بمدرسة ليمس. ثمّ انتقل إلى مصر، وأخذ عن الشيخ عمر التّلاتي بالجامع الأزهر، وبالمدرسة الإباضيّة، بالقاهرة .

وكان وكيلا على أوقاف الطّلبة هناك، وشديد الحرص على القيام بواجبه على أحسن وجه.

وحدث أن سمع بأنّ العمّال الذين يعملون بواحة الجيزة يريدون قسمة النّخيل، في غيابه. فبعث برسالة عاجلة إلى الشيخ سليمان المصعبي المكلّف بالعمّال، يطلب منه ترك القسمة. وذلك في 16رجب سنة 1184 هـ /1770م.

فالمترجم له لا يسمح لأحد أن يعبث بالأوقاف، التّي دفع من أجلها الكرماء أموالا طائلة، خدمة للدّين، والعلم . فهو يعيش لمجتمعه، لا لنفسه فقط . فمن خصال المسلم الدّوبان في مصلحة الأمّة.

وممّا يعرف عنه أنّه لمّا عجز عن الذّهاب إلى مدرسة ليمس، بقي يعطي الدّروس في منزله، إلى أن توفّي – رحمه الله–

أبرز تلاميذه :

–أبو عثمان سعيد بن محمّد الشمّاخي .
–إبنه : أبو عبد الله محمّد.
–

– الشيخ قاسم بن سليمان الشمّاخي:

هو العلاّمة الشيخ أبو الفضل قاسم بن سليمان بن محمّد بن عمر الشمّاخي.

أخذ العلم عن والده الشيخ: سليمان بمدرسة الجامع الكبير. ثمّ ذهب إلى تونس ودرس بجامع الزّيتونة. فبلغ الغاية في علم المعقول. وأصبح علاّمة زمانه في علوم المنطق، والأصول، والفرائض، والأحكام، والفلك. ثمّ تولّى التّدريس بمدرسة ليمس. وله مجالس علميّة بثلاث مدارس:

– مدرسة بوليمان .
–مدرسة مدارجن.
–مدرسة تلاكين .

وبهذه المدرسة الأخيرة ، يحضر أغلب فقهاء الجزيرة .
وكان رئيس "مجلس العزّابة "في عصره.

وفي سنة 1265 هـ /1848م، ذهب إلى مكّة المكرّمة، لأداء فريضة الحجّ، مع إبنه سعيد بك ، القائم بأعمال تونس، بالقاهرة . والتقى هناك بقطب الأئمة: الشيخ محمّد بن يوسف اطفيّش. ودعاه أن يفسّر القرآن الكريم. فصنّف "هميان الزّاد". وطلب منه أيضا شرحا على كتاب "النّيل". وقد عزم المترجم له على شرح مقدّمته.

وبدأ بباب الطّهارات. ولم يتمّه، حيث أخذته المنيّة، سنة 1282 هـ /1865م. وترك ثلاثة أبناء نجباء هم :
-أبو العبّاس أحمد الذي خلفه في التّدريس، بمدرسة ليمس.
-أبو عثمان سعيد بك: سفير تونس في مصر (ت 1298 هـ /1881م).
-أبو الرّبيع سليمان الذي تفرّعت عنه أسرة الشمّاخي، بحومة وادي الزّبيب.

من مؤلّفاته :

-حاشية على كتاب "السّؤالات"، للشيخ المرغني، السّوفي: وهو أوّل تآليفه.
-حاشية على كتاب "تبيين أفعال العباد"، للشيخ أبي بكر الفرسطّائي (ت504 هـ /1110م) .
-حاشية على كتاب "النّيل"، للشيخ الثّميني.
-اللؤلؤة: منظومة في التّوحيد، وشرحها .
-مجموعة فتاوى .

توفّي يوم 14يونيه 1282 هـ /1865م - رحمه الله-.
وخلفه إبنه: أبو العبّاس أحمد الذي نسخ كتاب العقيدة، في شهر شعبان سنة 1353 هـ /1838م. وطلب من الله أن لا يرى النّصارى الصّليبيّين في جربة. فاستجاب -سبحانه وتعالى- لدعائه.

حيث توفّي قبل دخولهم إلى الجزيرة فقد غادر الحياة الدّنيا يوم 12 جمادى الثانية سنة 1298 هـ /12ماي 1881م -رحمه الله-. وترك إبنين هما :
عمر، وقاسم الذي تفرّعت عنه عائلة الشمّاخي، بحومة بني باندو.

الشيخ سعيد بن يحي الصدّغياني (I)

يصدّق الظنّ بي أن كان في أملي ... أن الجواد طويل العمر في مهل
وخاب ظنّي به إذ جاءني خبر ... أن المحبّ قضى نحبا من الأجل
خان اصطباري كما جان الزّمان به ... وما حسبت بأن يقضي على عجل
وإذ نعتني نعاة الموت دبّ على ... جسمي سموم كما لو دبّ في الجبل
لذاب يا أسفي لهفي ويا حزني ... على الخليل الذي خلا من الزّلل
قد أحسن الله منه الخلق مع خلق ... سهل الطبيعة منقادا على وجل
لانه حينما تلقاه مبتسما ... برق تقدّم وقع الجود والبذل
برق السّماء بماء العذب يمطرنا ... وبرقه بجزيل الفضل ذو قلل
ووجهه الورد غضا يتلألأ به ... منوّر الوجه بهج الذات ذو جلل
فخر الشمائل أذكى الفكر في أدب ... وفي المهابة كالضرغام في العظل(1)
قد قيس بالبحر في جود فقلت لهم ... البحر يغرق فلكا أشحنت بحلي
والسرّ بالبدر بعد النّصف ينقصه ... وليس تنتقص الأسفار من كلل
ودأبه النّصح للملهوف حيث أتى ... مشاورا خائفا ذو الكرب والخجل
الهم بارح قلبي منذ خالطني ... وقد عفاني شؤون الصعب والتفل
ما كنت أحسب أنّ البين يؤلمني ... حتّى استبان به كالسّقم والعلل
ما كنت أحسب أنّ البين من ... مهواه غير ذوات الأعين النّجل
ماكنت أحسب أن الدّهر يمكر بي ... فكنت كالجمل المهجور في الإبل
شمت(2) الرّجال ولم أر له مثلا ... في الحزم والعزم مع بعد عن الكسل
يتلو الكتاب كتاب الله مرتجيا ... أجرا ووعدا بقلب خائف وجل
ما للمنية أحدثت لنا نفعا ... في العيش بل كربة في القلب تتصل
مالي ارى شجر التفاح منفتحا ... مالي ارى الورد لم يذبل ولم يحل
يا ويح نفسي ويا ويح الأحبّة من ... يقيمنا في اعوجاج القول والعمل
فليس للعيش بعد فقده أبدا ... طيّب ولا عدة النّوم في المقل
يا سيّد هو كهف المضعفين ثوى ... فكيف للقبر وضع الكهف في الرّمل
كيف المقام بصدغيان حين غدت ... مسودّة ثمّ صارت موحش الطلل
من للغريب بها ومن لها ثمّ من ... لمن نحا جربة من قمّة الجبل
من للمشائخ من العلم يطلبه ... ومن لطالب حفظ الذكر ذي أمل
من للقناطر من العدل من لهما ... من للقواعد والإيضاح ذي الخلل

من لابن دواود(3) شهر الصوم يلزمه تلاوة الذكر والإحسان والخول
ومثل ذاك أبو الأيمان(4) عمّره درسا وفهما وبحثا غير ذي كسل
ومن لكم معشر العميان لا سيّما من كان منهم بقول الله محتفل
ومن لكم معشر التجار يرسلكم وكل ذي شركة قلت ومن جلل
ومن لكم معشر النسّاج ينفعكم أهل العيادة بل والسّال والشمل
ومن لكم يا ذوي الأسفار في لجج من البحور وفي برّ على الإبل.

(I) مرثية الشيخ قاسم بن سليمان الشماخي، في الشيخ سعيد بن يحي الصدغياني.

(1) الضرغام في العظل :الأسد في مأواه.

(2) شمت : رأيت .

(3) ابن داوود : هو مسجد بني داوود، بحومة صدغيان.

(4) أبو الأيمان : هو جامع بوليمان، بصدغيان.

الشيخ سعيد الجادوي:

هو العلاّمة الشيخ أبو عثمان سعيد بن يحي بن أحمد الجادوي – نسبة إلى بلدة جادو –بجبل نفوسة حيث، كانت تقطن عائلة الجادوي، قبل أن تنتقل إلى حومة آجيم، بجزيرة جربة .

وقد وفد الشيخ سعيد صحبة أبيه: الشيخ يحي. ودرس بمدرسة ليمس. ثمّ انتقل إلى مدرسة بوسنّة، حيث أخذ عن الشيخ سليمان بن أحمد بن أبي ستّة. ثمّ تولّى التّدريس بمدرسة حومته.

وأنشأ المترجم له مدرسة، بجانب منزله. وكان أوّل المدرّسين بها. ثمّ خلفه أولاده، وأحفاده.

وفي سنة 1103هـ /1691م، شارك في الاجتماع العلمي الذي انعقد بمدينة نالوت، بجبل نفوسة بين علماء الجزيرة والجبل، لتقرير بعض القضايا الهامّة. وقد حضره الشيخ نصر بن خميّس العماني .

وممّا اتفقوا عليه: أنّ الشهادة في كتابة الأحباس، والبيع، والرّهن، لا تتمّ إلاّ بشهادة عدلين. ومن أعضاء المجلس :

-الشيخ صالح بن صالح التّندميرتي .

-الشيخ صالح بن عمر الباروني .

-الشيخ رمضان بن أحمد بن يعلى.

-الشيخ عمر بن أبي القاسم الباروني .

-الشيخ سليمان بن محمّد الباروني .

وفي سنة 1113هـ /1701م، كان ضمن الوفد الذي أعاد الأمير موسى بن عبد الرّحمان بن جلود، إلى جربة .

من مؤلّفاته :

-مرثيّة في شيخه سليمان بن أبي ستّة.
-قصائد في الأحكام، والعبادات.
-رسالة بعثها إلى سلطان مراكش إسماعيل بن شريف (1152هـ /1739م) يبرز فيها حقيقة مذهب الإباضيّة، وارائهم .

أبرز تلاميذه :

-إبنه: أبو محمّد عبد الله.
-مسعود بن حديد.
أبو البركات رمضان الغول .

توفي رحمه الله سنة 1196هـ /1781م وضريحه عليه محراب بروضة قرب منزله، بحومة آجيم، على الطريق الرّابطة بين مسجد ليمس و المرسى.

أسماء الله الحسنى

أيا طيّب الأسماء يا من هو الله ... ومن لا يسمّى ذلك الإسم إلاّ هو
أيا حسن الأوصاف يا أحسن الثنا ... ويا محسنا عم الانام بحسناه
هو الله في الأرض والله في السما ... هو الله ما أحلى ثناه وأشهاه
يطيب ويحلو كلما كرر اسمه ... مرارا وترتاح النفوس لذكراه
وتلتذّ أفواه بأسماء كلّما ... تكرّر منها إسم تلذّذ أفواه
تحنّ وتلقاه النفوس صبابة إلى الله ... فلا زالت تحن وتلقاه
ويا خالق الكرسي والأرض والسما ... وخالق ما تحت الجميع وأعلاه
ورازق من في البرّ والبحر والهوا ... وما أحد فيهنّ يرزق إلاّ هو
ويا ربّ كل الخلق بل يا إلاهه ... ومن عمّ كلّ العالمين بالاه
ومن كان من ربّ فإنّك ربّه ... وما كان من مولى فإنّك مولاه
تعاليت يا ذا العزّ والملك والبقا ... فمالك أنداد ولا لك أشباه
ومن لا يحيط الواصفون بوصفه ... فمن ذا الذي بالوهم يدرك معناه
تقاصرت الأفهام عن كنه ذاته ... فلا كيف هو تدري العقول ولا ما هو
فلا قبله حيّ ولا حيّ بعده ... وما مثله حيّ يدوم كمحياه
وكلّ إله غيره فهو باطل ... وإن قال بعض ذاك فيه وسمّاه
فحاشاه ممّا قال فيه مشبه ... وحا شاه من افك المعطّل حاشاه
وسبحانه في ذاته وصفاته ... ويكفيك في تنزيهه قل هو الله
ولله أسماء حسان إذا دعا ... إليه بها داع أجاب ولبّاه
مباراة ممّن يسال الله حاجة ... بها فليثق أن يستجاب لدعواه
وقد عدّدت تسعا وتسعين لفظة ... وقد وعد المحصي لهن بحسناه
جعلت بيوت الشّعر حين نظمتها ... وألفتها في السمط عدّة أسماء
تكفّل للدّاعي إذا ما دعا بها ... إليه بان يعطى مناه وبغياه
بها يدرك الإنسان غاية سؤله ... ويبلغ ذو الحاجات ما هو يهواه
وينجو بها المكروب ممّا يخافه ... ويكفي بها الملهوف ما هو يخشاه

منظومة للشيخ سعيد الجادوي
في أسماء الله الحسنى

أركان الإسلام (1)

الحمد لله وصلّى الله على ... نبيّه مصطفاه ومجتباه
محمّد خير نبيّ مهتدا ... في الأرض ثمّ في السّماء أحمدا
وأسال الله العظيم مغفرة ... ونعما وغرفا مزيّنة
في جنّة الفردوس طاب المسكن ... جنّة عدن فضلها مبين
هي ثواب للمطيع الصّادق ... المحسن البرّ الأمين النّاطق
فجملة التّوحيد فرض أوّل ... على المكلفين قول أعدل
معرفة الإلاه الأسفل وعلا ... أوّل ما كلّف به المبتلى
فانه كلف لا محالة ... في أول البلوغ بالدراية
بعد البلوغ لا يسوغ الجهل ... طرفة عين فاسمع ما اقول
وبعدها الصلاة فرض يا فتى ... ثمّ الزّكاة فرضها قد ثبتا
ورمضان صومه لفضل العمرة ... وطاعة أولي الأمر نصر السنة
فالدين مبنيّ على ما ذكرى ... نصّ على ذلك ما ساد الورى
في قوله الإسلام بني على ... خمس قواعد عليها أصلا
من أتقن الخمس على الحكم الذي ... بيّن في الشّرع يفوز في غدي
ولا يكون متقنا لها حتّى ... يأتي الأوامر جميعا مثبتا
ويترك المناهي كلّها فلا ... يرتكب المحضور في الشّرع تلا
وصلّ يا ربّ على أحمد ... نبيّنا مكرّم محمّد

---

(1) منظومة الشيخ سعيد الجادوي في أركان الإسلام.

الشيخ محمد بن أبي القاسم المصعبي (1)

وشعلة نار في فؤادي تعاظمت ... وصمت لها الآذان والعين أرمدت

ودمع غزير قد تطاول جريه ... على الخدّ مغرقا به قد تفجّرت

وعيل لنا صبر وشتّت أمرنا ... وصرنا بقايا حلف سوء تقطّعت

وغيرت الدّنيا وزال سعادها ... وكدرت الأيّام لما تغلّبت

وكنّا جميعا في هناء وراحة ... ولذّة عيش والصّدور توسّعت

إلى أن أتى النّاعي من الغرب مخبرا ... بفقد عميد الدّين والعدّة انقضت

فأضرم نارا في حشا كلّ متّق ... وجدّد حزنا والقلوب تصدّعت

لبسنا سرابيل الأسى وتهدّمت ... بمدفنه كل المآثر وانمحت

وضاقت نفوس القوم واشتدّ حزنها ... وفاضت دموع العين فيضا وأكثرت

على عمدة الإسلام والدّين والتقى ... منار الهدى شيخ المشائخ قد بكت

محمّدنا السّامي الأرومة سيّد ... ومأوى الضّعيف والأرامل حظيت

بغرداية شاد العلوم وبثّها ... بتدبير أستاذ إمام قد أحصيت

به الأمر بالمعروف قامت قناته ... جهارا وأنف باغضيه تجدّعت

أساس الورى عدلا ووعظا مؤثرا ... وأوسعهم فتيا ونارت وأر ضخت

سبيل الهدى أهدى إلى الحقّ مرشدا ... بني مصعب أنوارهم قد تتابعت

مصيبته جلّت وعمّت وأذهبت مجالس أهل الحقّ غربا وشرّقت

قواعد مذهب الإباضي تخرمت وصارت هباء والعلوم تصاعبت

على كلّ مشغول شقيّ مذبذب حليف الهوى دنياه لا شكّ أدبرت

وفرط في الخيرات لا خير يرتجى لديه وعنده الشّرور تجمّعت

فلا طالب ندب أديب مهذّب يحدّد أسباب المآثر قد بنت

رضينا وأسلمنا الأمور جميعها لخالقنا ذي حكمة قد تقدّمت

قضا بفناء الخلق طرا وعوده لبعضهم نصيّة قد تحققت

ويا شامتا بالموت اقصر فإنّه سيأتيك مقهورا ونفسك أزهقت

وتسكن في الأطباق أرضا وحفرة مسوّدة فيها الشّقاوة هيّئت

وتجزي بعقبي ذي الشماتة جزية وبعدا وأهوالا إلى لرمسك أقبلت

لنا خلف يحمي الديار وقادة مصابيح في الظلمات ضاءت وعرفت

سلوك سبيل العلم والحلم والتقى هداة الورى في العلم جدّت وعلّمت

فهذا وصلى الله ما لاح بارق على المصطفى به الأنام تشرّفت

---

(1) مرثية الشيخ سعيد الجادوي، في الشيخ محمّد بن أبي القاسم المصعبي.

- الشيخ مسعود بن حديد:

هو الشيخ مسعود بن سليمان بن مرزوق بن حديد.

وعائلته: ابن حديد، أصلها من بلدة جيطال بجبل نفوسة. وقد استقرّت بحومة آجيم، بجزيرة جربة في أوائل القرن 11 هـ /17م. وبنت مسجدا هناك وجعلت فيه مدرسة علميّة .

أخذ العلم عن والده: الشيخ سليمان، بمدرسة " ابن حديد ". وعن الشيخ سعيد بن يحي الجادوي، بمدرسة ليمس .

قال ابن تعاريت: " كان عالما فقيها، وشاعرا أديبا " .

من مؤلّفاته :

- منظومة في أركان الإسلام، والفرائض، والسّنن.
- نظم "المنظومة الجادويّة " في العبادات .

أبرز تلاميذه:

- إبنه: أبو العبّاس أحمد.

توفي سنة 1157 هـ /1744م- رحمه الله.

الشيخ سعيد الجادوي (1)

شجوت لأمر فادح بي نازل ... فضيع شنيع هائل أيّ هائل
قد أبعد عن عيني الكرى ولذيذها ... وأسبل خدّي للدّموع الهواطل
وانحلّ جسمي ثمّ فاقت خواطري ... وأشعل نارا في الحشا والمفاصل
وأورثني هما وحزنا مداوما ... وفي القلب منه لوعة وبلابل
سلام على الدّنيا سلام مودع ... فقد أوحشت منّا علينا المنازل
وزاد لذيذ العيش صبرا وعلقما ... وماء لبحر النّيل مثل الحناضل
بفيك الثّرى يا ناعي الدّين والهدى ... لقد هدّ ركن الدّين ما أنت قائل
نعيت أمير المؤمنين فقل لنا ... أبا الحقّ إن مات الإمام الحلاحل
لئن كان ما قد قلت حقا فإنّه ... لخطب لسكان الجزيرة هائل
أمات فما للنّيرات طوالع ... وشمس الهدى كدّرت بالأصائل
وهذي الجبال الشمّ شامخة الذّرى ... فما بالها قد طوّعتها الزّلازل
وذي الأرض خسف بها وبأهلها ... أحققت أم قد غال عقلك غائل
وإن كان ما قد قلت حقّا وإنّنا ... لنعلم أنّ الموت بالخلق نازل
وانا إلى الله العظيم مصيرنا ... وأنّ قضاء الله للكل شامل
وأنّ قصارى كلّ حيّ إلى ألفنا ... وإن نال من دنياه ما هو أمل
إمام همام فيلسوف سميدع ... أديب لبيب مهتد للدّلائل
خضم العلوم الزّاخرات وشمسها ... إذ أشكلت يوما علينا المسائل
تسربل سربال الأصول به ارتدى ... ردا النّحو واكتسى علم الفواصل
له قامة في الفقه أطول قامة ... يحاكي الرّبيع والخليل ووائل
كريم شريف الأصل شهم غشمشم ... اخو همّه صعب على ذي الرّذائل
له الأمر بالمعروف سرّا وجهرة ... وينهى عن الفحشاء كلّ القبائل
إمام له سرّ مع الله خالص ... وسيرة عدل ما سواه يماثل
له خلق مثل الرّياض إذا بدا ... به النّخل وهو مسدال للعثاكل
وصدر هو البحر المحيط بعلمه ... فمنه علوم النّاس تملي السّجاجل
وكفّ تحبّ الجود طبعا وعادة ... كثير نواله جميل الخصائل
وعين تحامي النّوم في غسق الدّجا ... تناجي الإله بالدّعا والوسائل
جزيرته في الأرض ضاءت فإنّها ... به البدر في جنح من اللّيل شاعل
على بابه كالجيش ما بين زائر ... وشاك وخصم أو ذليل وسائل
فما منهم إلاّ ينال سؤاله ... بيسر وحلم ما يحبّ يناول

هو البدر والغير النّجوم فهل ترى لنجم شعاعا إذ ترى البدر كامل
هو العلم الهادي إلى الحقّ والهدى به يهتدي من حيرته المجاهل
هو الغيث غيث المرسلين ومن له أتى بل يداه سحبهنّ هواطل
أقام قناة الدّين بعد اعوجاجها وشيّد من جنانها ما هو ماثل
وقام بأمر الله جلّ جلاله ولم يثنه عن نصره الدّهر عاذل
وأطفأ نار الظّلم بعد التهابها أهلك أسد الكفر وهي صواهل
ولا راعه قول العدوّ ومكره ولا صدّه عنهم خؤون وخاذل
ابا كان لايتام يحنو عليهم فما لهم الاه كاف وكافل
يراهم بعين لا يرى غيرهم بها ولا هو عنهم ما تصب بغافل
يفيض عليهم غيث سحب نواله إذا اختلفتهم عن نداها البخائل
وإن نزل العراف سدّة بابه تلاقتهم قبل النّزول الفضائل
فمن عمله يملي عليهم مسائلا ومن جوده تجري عليهم جداول
فيشفي سقيم الجهل ترياق علمه وتحيي قتيل الفقر منه النّوافل
وإن أبصروا يوما جمال جبينه تجلّت هموم عنهم وبلابل
فلا لشهي الزّاد تطرب نفسه ولا الملبس الباهي تراه يجاول
يبيد بليغ القول ماهو قائل وينسي جميل الفعل ما هو فاعل
ويحتقر الدّنيا احتقار مجرّب يرى أنّ ما فيها وحاشاه زائل
إذا قدموا يوما إليه طعامه يقول أما غيري له اليوم أكل
ترى الوفد أفواجا إليه كأنّما ينادي بهم داع إلى العلم حافل
فمن آيب يثني عليه بعلمه ومن قادم قد أتعبته الغوائل
فذا باسمه يسعى المطيّ مرمل وذا باسمه يحدو بها وهو قافل
صفات له لو أنّ معاشر عشرها تحلى بها الخلق لم يلف خامل
فدع عنك تعداد لمعنى صفاته فعند التّناهي يقصر المتطاول
وإن كنت سحبانا بيانا ولهجة لأنّك في مدح الإمام لباقل
فيا يومه ماذا هدمت من العلى بك انزاح عنّا منه تلك الشّمائل
ويا حامليه كيف سرتم بنعشه أيا عجبا يمشي بأحبل حامل
ويا غاسليه كيف قمتم بغسله أيقوى لتقليب الشوامخ غاسل
ويا قبره كيف اتّسعت لشخصه وقد كان بحرا ماله الدّهر ساحل
أبا عثم من لي بالشّريعة أن وهت عراها وشأن الدّين نصّ مخاتل
أأنساك لا والله والله حالفا إلى أن يهلّ التّرب فوقي هائل
أصبّر نفسي أن تفيض دموعها وبيني وبين الصّبر عنك مراحل

حقيق لعيني أن تجود بدمعها ... عليه أزيره أزير المراجل
لنا خلف نجل له وهو سيّد ... هزبر هزابر وليث القسائل
فيا أهل جادو عظّم الله أجركم ... ففيكم بقايا ما حوى السّحب وابل
تصبّر أخي عبد الإلاه فقد مضى ... أبوك سبيل الرّاشدين البهالل
ففيك لنا إذ عشت خير وكيف لا ... وأنت سليل من ليوث الجحافل
فيا معشر الطلاّب جدّوا ولازموا ... سليل ونجل الشيخ تحووا الفضائل
لئن رفعت شمس إلى الله منكم ... لقد أشرقت فيكم شموس كوامل
عليكم ودونكم بها ولتلازموا ... وعوا قولها وجانبوها التّمائل
بقيت لدين الله تحمي دياره ... تصفد أصحاب الهوى بالسّلاسل
عليكم سلام الله منّي لجمعكم ... يعمّكم شيبا ومردا وكاهل
وإنّي لأولى النّاس بالبعد منكم ... ولكنّما الصادي كثير التّحايل
بنو جادو هم أهل العلوم ومنبع ... وسادات هذا الدّين هم كالقناديل
ولا سيّما شمس العلوم وبدرها ... وحيد زمانه عديم المماثل
يسمّى ويدعى صالحا وهو صالح ... وبدر لهذا الدّين ليس بافل
فكن يا أخي عبد الإله ملازما ... لديه تفوز بالعلوم الجلائل
إذا ما دعوته لكشف مهمّة ... أتاك سريعا وخذ نصيحة قائل
امام يهاب الليث سطوة باسه ... ويرجوه ايتام الورى والارامل
فلا البحر يحكيه اذا جاء سائلا ... ولا العود يحكيه اذا خف جاهل
كثير الرماد عند ساحة داره ... جبان الكلاب بل هزيل العجاجل
هو الليث لكن جاره غير خائف ... إذا خاف اسد الغاب كي القنابل
وعن علمه فاسأل إن كنت جاهلا ... تخبرك عنه كتبه والرّسائل

---

(1) مرثية الشيخ مسعود بن حديد في شيخه سعيد بن يحيى الجادوي.

- الشيخ عبد الله الجادوي :

هو العلاّمة الشيخ أبو محمّد عبد الله بن سعيد بن يحي بن أحمد الجادوي.

أخذ العلم عن والده: الشيخ سعيد، بمدرسة ليمس. ونسخ هناك "الرّسالة الشّمسيّة" في المنطق، سنة 1124 هـ /1731 م.

قال ابن تعاريت :

"كان علاّمة زمانه. له براعة خاصّة في الأحكام، والقضاء وله فتاوى شافية، تدلّ على غزارة علمه، وكثرة اطّلاعه.

كما كان شاعرا، كوالده- رحمهما الله-".

كان المترجم له شديد الحرص على التّعليم، وبث المعرفة.

ومن عادته، أنّه كان يقوم آخر اللّيل، للتنقّل ثمّ ينظر في كتب التفاسير ويراجع دروس النّهار والتلاميذ يحفظون ألواحهم ويراجعون إلى أن تحلّ صلاة الصّبح فيصلّون ثمّ يقرؤون القرآن الكريم حلقة، إلى طلوع الشّمس فيبدأ في دروس التّفسير، حتّى الضّحى ثمّ ينصرف إلى بيته ثمّ يعود ليصحّح ما كتبه التلاميذ ثمّ يشرع في دروس الفقه .

وقد كان حكّام تونس يقدّرونه، ويحترمونه، ويهابون شأنه ويبعثون له الرّسائل ومنها:

- رسالة الأمير يونس بن علي باشا (1156هـ-1164هـ/1743-1751م):

أمّا بعد، فإنّنا جدّدنا هذا الأمر للمكرّم الفقيه، العلاّمة المدرّس بجامع بني ليمس بجزيرة جربة: الشيخ عبد الله بن الشيخ سعيد الجادوي الأجيمي. وأوصينا باحترامه، وحفظ جنابه، بحيث لا يهتضم له جانب. ولا يطرقه أحد بسوء. فعلى من يقف عليه. لزوم العمل بما فيه، من غير خلاف.

كتب في آخر شهر رجب سنة 1157 هـ /1744م

- رسالة الباي علي بن حسين :

الحمد لله على من يقف على أمرنا هذا، من الولاّة، والقوّاد، والمشائخ، والرّعيّة، والعامّ، والخاص، وذوي الأحكام.

أمّا بعد، فإنّنا جدّدنا أمرنا هذا، للمكرّم، الأجل، العالم، المدرّس: الشيخ عبد الله بن سعيد الجادوي، بجامع ليمس، بجزيرة جربة. لأنّه ينسب لله تعالى، والعلم الشريف. وأوصينا الرّعيّة بمراعاته، وحفظ جنابه. فلا يطرق بمضرّة، وعلى هذا يكون العمل من غير تردّد، والسّلام.

كتب في أوائل شهر محرّم سنة 1170 هـ /1756م

- رسالة الباي محمّد باي :

الحمد لله. إلى من يقف على أمرنا هذا، من الولاة، والقوّاد والمشائخ، بجربة. وفق الله الجميع لصالح الأعمال .

أمّا بعد. فإنّنا جدّدنا أمرنا هذا، للمكرّم الفقيه: الشيخ عبد الله بن سعيد الجادوي، باحترامه، وعدم الجسارة عليه. فلا تهتك له حرمة. ولا يهضم له جانب. ولا يطرقه طارق. وعلى الواقف على أمرنا هذا، العمل به من غير تردّد، والسّلام.

كتب في شهر ربيع الأنوار سنة 1170 هـ /1756م.

أبرز تلاميذه:

-أبو عفيف صالح بن سليمان ماليو.
-أبو حفص عمر بن أحمد الجادوي.
-أبو عبد الله محمّد بن عبد الرّحمان ماليو.
-إبناه: أبو الحسن علي، وأبو عثمان سعيد.

توفّي سنة 1196 هـ /1781م- رحمه الله-

مرثية للشيخ عبد الله الجادوي (1)

سلام على جار بفخر وسؤددا ... وعزّا منيعا لن يبيد وينفدا

أبي القاسم الخير الهمام المعظّم ... سليل المصنّف الإمام محمّدا

فطوبى له من عالم متماثل ... وشيخ جليل لن يزال مؤيّدا

بعون وتوفيق لنيل مكارم ... وارغام أنف كلّ غار وحاسدا

هو العالم التّحرير فذّ أوانه ... سما وارتقى على البريّة واهتدا

فعلم المعاني والبيان ومنطق ... وعلم البديع ثمّ نحو به ارتدا

كذاك العروض والحساب ولغة ... وعلم تفاسير القرآن المشيدا

وعلم الكلام والقوافي المقيدة ... وباقي العلوم ثان مثنّى وموحّدا

بليغ فصيح شاعر أي شاعر ... حوى الفقه مع علم الفرائض واقتدا

بسيرة من قد كان ركنا وملجأ ... لآل إباض في المغارب مرشدا

له سمة كالشّمس بانت منيرة ... ووجه يضيء كالضياء إذا بدا

ركيز تقيّ عاقل متواضع ... سخيّ كحاتم الجواد أو أزيدا

شريف كريم طيّب الفرع والنّهى ... شجاع كعنتر إذا اشتدّ بل عدا

حليم أديب سيّد أيّ سيّد ... سألتك يا رحمان ابقه مقصدا

لدين ابن وهب في جبال المصاعب ... وذخرا حصينا لن يزال مشيّدا.

---

(1) مرثية للشيخ عبد الله بن سعيد الجادوي في الشيخ ابي القاسم بن محمّد المصعبي.

- الشيخ مرزوق بن سليمان بن حديد:

أخذ العلم عن الشيخ سعيد بن يحي الجادوي بمدرسة ليمس، وعن الشيخ عمر بن رمضان التلاتي بالجامع الأزهربالقاهرة، قبل أن يتولّى التدريس بمدرسة حومته، سنة 1145 هـ /1732م .

-إبنه: الشيخ أبو الحسن علي .

-نسخ حاشية المحشي على الجامع الصّحيح للرّبيع بن حبيب، سنة 1148 هـ /1735م، أثناء دراسته بالقاهرة.

توفي سنة 1175 هـ /1744م- رحمه الله.

- الشيخ أبو الحسن علي بن سليمان بن حديد:

تعلّم المبادئ بحومته، آجيم. ثمّ انتقل إلى مصر، سنة 1180 هـ /1767م.ولازم دروس الشيخ عمرو التلاتي بالمدرسة الإباضيّة، وبالجامع الأزهر، بالقاهرة ونسخ هناك، كتاب"المعجز التلالي في تفسير القرآن الكريم". وذلك في شهر شوال سنة 1185 هـ /1772م.

- الشيخ أبو عفيف صالح بن عثمان بن حريز:

درس بالمدرسة الإباضيّة، وبالجامع الأزهر، بالقاهرة، طيلة 25 سنة (1130-1155 هـ /1718-1743م) .قبل أن يتولّى التّدريس بمدرسة ليمس.

- الشيخ أبو حفص عمر بن سعيد بن يحي بن أبي زكرياء بن حريز:

بدأ التّدريس بمدرسة ليمس، سنة 1180 هـ /1766م. وذلك بعد أن أتمّ دراسته بالقاهرة.

- الشيخ أبو عفيف صالح بن سليمان مالّيو:

أخذ العلم عن الشيخ سعيد بن عبد الله الجادوي، بمدرسة ليمس. ثمّ تولّى التّدريس فيها، سنة 1196 هـ /1781م .

- الشيخ أبو زكرياء يحي بن عبد الرّحمان مالّيو:

أخذ العلم عن أخيه الشيخ محمّد، وعن الشيخ قاسم بن سليمان الشمّاخي بمدرسة ليمس، وعن الشيخ عمر التّلاتي بمدرسة الإباضيّة، والجامع الأزهر بالقاهرة. ثمّ تولّى التّدريس بمدرسة حومته. وقام بعمله أحسن قيام. فجدّ. وكدّ. وسخّر نفسه في سبيل نشر العلم، والدّين.

وممّا اشتهر به حرصه: عن الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر. فكان لا يخاف في الله لومة لائم -رحمه الله -.

- الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن سعيد الجادوي:

هو صاحب كتاب "الفوائد والمسائل".
وقد أصدر الباي محمود بن محمّد أمرا بوجوب احترامه، وتقديره. وكذلك أخويه، في رسالة بعثها إليه، في ربيع الأوّل سنة 1230 هـ /1815م. ومنها :

إلى من يقف على أمرنا من الولاة، والكواهي، والأغواط، والقوّاد، والمشائخ والرّعيّة، بجزيرة جربة، والخاصّ، والعامّ، من ذوي الأحكام. سدّد الله أمر الجميع .

أمّا بعد. فإنّنا جدّدنا أمرنا هذا، للأسماء الثلاثة:

-الشيخ صالح، والفقيه أحمد، والشيخ علي المدرّس بجامع ليمس. بسراحهم من جميع المطالب المخزنيّة، والقوانين العرفيّة، قلّت أو جلت، لأنّهم فقهاء منسبون لله تعالى، وللعلم الشريف. وأوصينا برعايتهم، واحترامهم، وعدم الجسارة عليهم. بحيث لا يهضم لهم جانب، ولا يضرّهم أحد بمضرّة. فعلى من يقف عليه، العمل بما فيه، من غير خلاف، إن شاء الله .

- الشيخ أبو عثمان سعيد بن عبد الله الجادوي :

هو الذي أخذ عنه الشيخ صالح بن سليمان ماليو.
وله أمر من الباي: محمّد بن حسين بن محمود، يقضي بوجوب احترامه وتقديره. كتب في أواسط شهر صفر سنة 1276هـ/1859م. وذلك عبر رسالة منها :

"الحمد لله إلى من يقف على أمرنا هذا، من الولاة، والمشائخ، والخاص والعام

فإنّنا جدّدنا أمرنا، المكرّم، الأجل، الفقيه: سعيد بن الشيخ عبد الله الجادوي المدرّس بجامع ليمس، في سراحه من جميع المطالب، لأنّه فقيه. كأبيه وأوصينا باحترامه. والسّلام .

- الشيخ سليمان بن قاسم بن علي الجادوي :

هو الشيخ أبو الرّبيع سليمان بن قاسم بن علي بن عبد الله الجادوي .
أخذ العلم عن الشيخ سليمان بن محمّد الشمّاخي، بمدرسة الجامع الكبير. ثمّ تولّى التّدريس بمدرسة ليمس.
قال ابن تعاريت : " كان علاّمة .والغالب عليه علم الفقه، وأصول الدّين. "
وله أمر من الباي: مصطفـــى بن محمود، مؤرخ في 25ربيع الأوّل سنة 1251 هـ /1835م، يقضي بوجوب احترامه، وتقديره.
وهذا نصّه :
بسم الله الرّحمان الرّحيم. وصلّى الله على سيّدنا محمّد
إلى من يقف على أمرنا هذا، من الولاّة، والقوّاد، والمخازنيّة، وجميع الرّعيّة.
أمّا بعد. فإنّنا جدّدنا أمرنا للشيخ سليمان الجادوي، وأبناء أعمامه، في سراحهم من جميع المطالب المخزنيّة، والقوانين العرفيّة، وأوصينا برعايتهم ، واحترامهم فعلى من يقف على أمرنا هذا ، أن يعمل بمقتضاه. والأمر كلّه بأوامر الله .

أبرز تلاميذه :

-أبو حفص عمر بن الحاج يحي.

أهم مؤلفاته:

- حاشية على كتاب السّؤالات، للشيخ أبي عمر عثمان بن خليفة المرغني .

توفّي بعد عودته من الحجّ، سنة 1273 هـ /1856م- رحمه الله .

- الشيخ صالح المعدّي :

هو الشيخ أبو عفيف صالح بن محمّد المعدّي.
درس بمدرسة ليمس، ثمّ درّس فيها . وكان متبحّرا في العلوم وخاصّة في أحكام الميراث .

أبرز تلاميذه:

-أبو البركات رمضان بن يحي اللّيني .
- أبو حفص عمر بن أبي زيد العوّام .
- أبو زكرياء يحي الشمّاخي .
- إبنه: أبو زكرياء يحي.

- الشيخ عمر العوّام :

هوالشيخ أبو حفص عمر بن أبي زيد بن عبد الرّحمان العوّام .
أخذ العلم عن الشيخ صالح المعدّي، بمدرسة ليمس. ثمّ ذهب إلى تونس. ودرس بجامع الزّيتونة. ثمّ انتقل إلى مصر، سنة 1308 هـ /1891م، للدّراسة بالجامع الأزهر، وبالمدرسة الإباضيّة، بالقاهرة. قبل أن يقوم بالتّدريس بمدرسة ليمس .

أبرز تلاميذه :

- أبو عبد الله محمّد بن يوسف بن تعاريت .
- أبو الرّبيع سليمان بن قاسم الجادوي .
- أبو حفص عمر بن إبراهيم بن مرزوق.
- أبو الرّبيع سليمان بن يونس.

توفي في شهر شوال سنة 1335 هـ /1917م -رحمه الله -

الشيخ سليمان بن قاسم بن سليمان الجادوي – الصّحفي –:

هو العلاّمة الشيخ أبو الرّبيع سليمان بن قاسم بن سليمان بن قاسم بن عبد الله الجادوي الصّحفي – لاشتهاره باصدار الصّحف.

ولد بحومة آجيم سنة 1293 هـ /1876م .

تلقى مبادئ العلوم بحومته. ثمّ التحق بجامع الزّيتونة. وأخذ عن عدّة علماء منهم :

الشيخ أحمد بيرم، والشيخ إسماعيل الصّفايحي، والشيخ عثمان بن المكّي التوزري، والشيخ محمّد النّجار، والشيخ محمّد بن يوسف، والشيخ مصطفى رضوان.

وبعد ثلاث سنوات قضاها بتونس، ذهب إلى جبل نفوسة. ولازم دروس الشيخ عبد الله بن يحي بن أحمد الباروني (ت 1331 هـ /1913م)، بمدرسته بالبخابخة. وبعد أن ملأ وطابه من العلم، عاد إلى تونس.

واشتغل بالتّجارة في سوق اللفّة. وكان مكانه: منتدى يقصده الأدباء والسّياسيّون.

وفي سنة 1339 هـ /1920م، انتخب عضوا في اللّجنة التنفيذيّة للحزب. وشارك في وفد الأربعين الذين ذهبوا إلى الملك محمّد الناصر باي، للمطالبة بالاصلاح. وقد بذل في سبيل القضيّة الوطنيّة، والقضايا الإسلاميّة، مجهودات قيّمة. وكان مناضلا بجرائده، وكتبه.

وقد أصدر ثلاث جرائد أسبوعيّة هي :

-**جريدة "المرشد"**: وهي علميّة، سياسيّة، وقضائيّة. أسّسها سنة 1324 هـ /1906م .

-**جريدة " مرشد الأمّة "**: وهي علميّة، وسياسيّة. أصدرها سنة 1326هـ /1908م، بعد أن أوقفت "المرشد ".

-**جريدة " أبو نواس "** : وهي فكاهيّة، وهزليّة .

قال الشيخ محمّد الفاضل بن عاشور: "للشيخ سليمان الجادوي روح حماسيّة إسلاميّة ووطنيّة. ينهج في تحريره نهج التذمّر، والاحتجاج. ويحتدّ في مهاجمته. ويستقصي الحجج الموضوعيّة، من كلّ وجه، ولوعلى غير مبدئه، قصد افحام الخصم. ويبدو في طريقته: التّبات على المبدإ، واليقين الدّيني. فهو مدرسة في المقال الاجتماعي- رحمه الله-.

من مؤلفاته :

- كتاب الفوائد الجمّة في منتخبات مرشد الأمّة .

توفّي في شهر نوفمبرسنة 1954م/1373 هـ -رحمه الله-.

الشيخ سليمان باشا الباروني (1)

أأنس نما أم بحر بحر علم الدّفاتر ... طما أم همى غيث الهنا باليشائر

وفي يفرن بدر غدا اليوم لامعا ... أضاء دياجي اللّيل من كلّ عامر

عنيت به صنو الفؤاد الذي غدا ... ولامين تاجا عن رؤوس الأكابر

سليمان نجل الدّائع الصّيت شيخنا ... عبيد الإلاه قدوة للأواخر

ألا أيّها الخلّ الصّديق الذي بدت ... مفاخرة مثل النّجوم الزّواهر

بل العالم التّحرير الجهبذ الذي ... له الحجّة البيضاء عند النّظاظر

بل الضغيم المنصور في كلّ محفل ... بلى بل خطيب فوق جلّ المنابر

رفعت على الأقران من كلّ فرقة ... وكنت فريد الوصف قطب الدّوائر

أذقت كؤوس رعب وخوف كلّ حاقد ... وأخمدت جهرا كلّ غاو وماكر

قدمت على الأوطان يا علم الهدى ... قدوما كبدر التمّ فارتاح خاطري

وضاءت بك الأوطان شرقا ومغربا ... وتاهت على الأقطار من كلّ عامر

تجمّلت يا قطر العلا بجماله ... وحزت فخارا فوق كّل مكابر

تباشرت البلدان وازداد أنسها ... وفاحت بها روض الرّبى في الأباكر

" فجادو" ديار العزّ والمجد والعلا ... سمت وتجلّت في ثياب المفاخر

فبشرى لكم بشرى ديار نفوسة ... بذلكم الشّهم العظيم الماثر

سليمان يا ضو الفؤاد فإنّ لي ... إليك تباريحا من الشّوق ظاهر

لكم في زوايا القلب منّي مكانة ... ولست وأيم الله فيكم بفاتر

---

(1) منظومة الشيخ سليمان الجادوي، في الشيخ سليمان الباروني.

الشيخ سليمان باشا الباروني (1)

يا ابن البروني يا ذا العلم والأدب ... نجل الإمام الهمام الفاخر النسب
يا ألطف الناس أخلاقا وأكملهم ... حلما وفضلا فكم لله من عجب
لنا اشتياق إلى علياء أعظم من ... شوق الحجيج إلى الأبناء و النشب
أنا عهدناك شهما سيدا بطلا ... مهنّدا أسدا سمحا لدى الطلب
ذا همة مصلحا ذا عقة شهرت ... تسمو مآثرك الغرّا سما الشّهب
أجدادك الغرّ في العصر القديم علوا ... فافخر بأصل شهير المجد في الكتب
فيهم أمير وفيهم عالم وبهم ... أسد وذو المال منهم حاتم العرب
وكيف لا ونرى التّاريخ مجدّهم ... في كل عصر وهل للبدر من حجب
دار الخلافة قد أولتك مكرمة ... والجاهلون بأهل الفضل في تعب
حاشا لهمتك العليا يدنّسها (2) ... أقوال من شأنها التنقيص بالذّهب
قد تنكر العين نور الشّمس من رمد ... وقد يرى النّور نارا حامل الحطب
وهاكها حرّة خوذا محجلة ... كالشّمس بازغة في منزل الأدب

فأجابه الشيخ سليمان باشا الباروني بقوله :

لله درّك يا ابن الجادوي فما ... أوفاك خلاّ وما أدراك بالأدب
أهديت عقدا غريب النظم لؤلؤه ... من منطق صيغ من مستعذب العرب
حلّ السّرور بنا منذ جاءنا فغدا ... سحبان في خجل حسان في عجب
إنّي أقدّم شكري بالقريض ولا ... أبوح عجزا بما ألقاه من طرب

(1) قصيدة الشيخ سليمان الجادوي إلى الشيخ سليمان باشا الباروني.
(2)يشير الى ما وشي به في حقّ الشيخ سليمان الباروني، إلى دار السّعادة، حتى صدرت الأوامر ببرائته، وبعزل أعضاء مجلس الاستئناف، انتصارا للحقّ، وحفظا لشرف المنصب والعدل.

الشيخ رمضان اللّيني:

هو العلاّمة الشيخ أبو البركات رمضان بن يحي بن سعيد اللّيني.
ولد بحومة آجيم سنة 1279 هـ /1860م .
توفي والده، وهو إبن عام واحد. فاهتمّت والدته بتربيته، وتعليمه. وكفّ بصره وهو إبن إحدى عشرة سنة .
حفظ القرآن الكريم. وأخذ المبادئ عن الشيخ صالح المعدّي، بمدرسة ليمس. ثمّ ذهب إلى جبل نفوسة. وأخذ عن الشيخ عبد الله بن يحي بن أحمد الباروني بمدرسة البخابخة، بيفرن . ثمّ انتقل إلى تونس، للدّراسة بجامع الزّيتونة. وبقي هناك قرابة ثلاث سنوات. ثمّ ذهب إلى مصر ودرس بالجامع الأزهر وبالمدرسة الإباضيّة. وأقام بوكالة البحّار، بالحيّ الطولوني، بالقاهرة، مع مجموعة من الطّلبة، من جربة، ونفوسة ومنهم :
-الأخوان: يوسف وصالح إبنا الشيخ سعيد اليونسي .
-أبو الرّبيع سليمان الباروني .
-أبو عثمان سعيد الباروني.
-أبو حفص عمر العوّام .
وفي سنة 1315 هـ /1897م، طبع المترجم له كتاب " شرح الحائيّة "، للشيخ محمّد المصعبي، مع شريكه: الحاج محمّد بن عيسى اليزقني، الميزابي . وكذلك كتاب " الطّهارات"، من ديوان الأشياخ، بالمطبعة البارونيّة، بالقاهرة .
وفي سنة 1317 هـ /1900م، احتفل بزواجه. ثمّ ذهب إلى ميزاب. ولازم دروس قطب الأئمّة: الشيخ محمّد بن يوسف اطفيّش. وذلك قبل أن يتولّى التّدريس بمدرسة ليمس .
ولمّا استدعاه أهل نالوت، من جبل نفوسة، للتّدريس ببلدتهم، أجاب دعوتهم ومكث عندهم قرابة العامين

وكان له مجلس علمي، نصف شهري، بجامع الشيخ بحومة السّوق، مع الشيخ أمحمد بن تعاريت والشيخ، يحي بن سليمان المعدّي، والشيخ علي بن قاسم المثني، والشيخ عمر بن إبراهيم بن مرزوق.
وكان يلقي الدّروس في المناسبات التي يستدعى إليها، داخل الجزيرة . وقد حضرت بعضها.

أبرز تلاميذه :

-أبو الحسن علي يحي معمر .
-أبو النّجاة يونس بن قاسم الشمّاخي .
-أبو العبّاس أحمد اللبّان .
-أبو النّجاة يونس بن قاسم المثني.
-مسعود قاري.

توفّي -رحمه الله -يوم 1 جمادى الأولى سنة 1366 هـ /أواسط شهرأفريل سنة 1947م. وضريحه بروضة قرب منزله، بحومة آجيم .

وقلت فيه مرثيّة نظّمتها، يوم 4 جمادى الأولى 1366 هـ /1947م. ومنها :

آبك الدّماء وقل لجربة ترتدي ثوب السّواد على الفقيد الأوحد
المرتضى رمضان عالم عصره في الشّرعيات أنعم به من سيّد
هلعت لموتك يوم نعيك أنفس أسفا لفقد العالم المتهجد
قد كنت فيهم مرشدا ومعلّما ومقوما للمائل المتشرّد
ولقد علمت بان موتك لازم لم يبقى حيّ في الدّنيا لم يفقد

كلّ يوافي يومه لا مهرب ... من ذلك اليوم الرّعيب المرعب

لكن فقدك لا يعوّض مثلكم ... لاسيّما في ذا الزّمان الأنكب

قد كنت ملجأ قاصد ومنهلا ... للواردين وكنت أحسن مرشد

من للعويص من المسائل إن بدت ... من يرشد الحيران إن لم يهتد

لم يبقى بعدك عالم متضلّع ... يشفي الغليل إذا تجاسر معتد

نالوت قد لبّيت دعوة أهلها ... لما تنادوا : هل لنا من متعبّد ؟

فأجبت دعوتهم وقمت مبادرا ... ترسي العلوم بقوّة وتجلد

جعلوا بمقدمك الكريم بجمعكم ... بحفاوة وكرامة وتودّد

فأقمت فيهم ماقدرت متوّجا ... بالعزّ والإكرام غير منكّد

أخذوا علومك فاستناروا بنورها ... في ظلمة الجهل المميت المبعد

قد كنت فيهم في عزيمة مخلص ... تبدي النّصائح في نشاط مجدّد

وبك الجزيرة قد زهت بعلومك ... في طيلة العمر المديد الأسعد

قاربت بل علّمت بل سدّدت بل ... قد كنت خير معلّم ومسدّد

نم مطمئنّا في ظريحك هانئا ... في رحمة أكرم به من مرقد .

مجلس الحكم بليمس

كان جامع ليمس مجلسا من مجالس العلم، والحكم، لعزّابة جربة. وقد أصدر عدّة أحكام، منها هذين الحكمين :

1- المرأة تصبح في عصمة نفسها إذا تغيّب عنها زوجها، أكثر من سنتين.

ونصّ الحكم :

الحمد لله، حضرت لدى المجلس الشريف: بمسجد بني ليمس، المرأة الحرّة أمّ العزّ بنت سعيد ،عرف بن غيدن الخيري، زوجا لسليمان بن الفقيه سعيد بن عمر الويراني الخيري، طالبة الخروج عن عصمة زوجها سليمان المذكور، الغائب عنها لمدّة تزيد عن سنتين، فارطة عن التّاريخ، بذكرها. واشتهر عند النّاس. فخرجت من عصمته، على إذن فقهاء المجلس المذكور، بالشّرط الجازم الواقع عند عقد النّكاح في الغيبة، المتّفق عليه عند أهل جزيرة جربة: إن غاب عنها أكثر من حولين، رجع أمرها بيدها .

وحضرت حينئذ عند شاهدين. ووضع في حجرها ختمة القرآن الكريم، والذّكر الحكيم. وقالت: " والله الذي لا إلاه إلاّ هو، عالم الغيب والشهادة. إنّه منذ خرج عنّي هذا الزوج، لم يرجع إليّ، ليلا ولا نهارا، ولا سرّا ولا جهرا. ولا أستطيع القيام في عصمته' .

وبعد أن حلفت بيمينها ،عمّا يجب ،وكيف يجب، طلقت نفسها تطليقة واحدة، بل ثلاث تطليقات. وبها ملكت نفسها. وسلمت من الزّوج المذكور التّسليم التّام. وشهد عليها بذلك بمحلّ حكمهم. وهي بحال الزّواج شرعا، وعرفا. وقرّر التّصريف بالمرأة المذكورة، كما يجب .

بتاريخ يوم السّبت أواسط الرّبيع الثاني عام 1125 هـ/1714 م.

وشهد به الشيخين سليمان بن أبي القاسم الباروني، وموسى بن سعيد النّالوتي.

2- إقرار الحكم الصادر بنالوت، والقاضي: بأنّ الشّهادة لا تكون إلاّ بشهادة عدلين .

ونصّ الحكم :

الحمد لله. وصلّى الله على سيّدنا محمّد. حضر بالمجلس الشريف: مجلس بني ليمس، العقد المسطّر بباطنه. فتأمّل فيه فقهاء المجلس المذكور تأمّلا شافيا على ماذكر فيه. فوجدوه تامّا، صحيحا، يقضى به، ويحكم بمضمونه. ولم يقدح في شيء منه. وأذنوا لنا بنقله عنهم. وهو بالحالة الجائزة شرعا .

بتاريخ أواسط محرّم سنة 1146 هـ /1733م .
وشهد بجميعه: الشيخ صالح بن صالح النّدميرتي، والشيخ صالح بن عمر الباروني، والشيخ رمضان بن أحمد بن يعلى، والشيخ عمر بن أبي القاسم الباروني. وبه حكم صادر من الشيخ سليمان بن محمّد الباروني .
وأصل الحكم: أنّه في سنة 1103 هـ /1692م، وقع اجتماع بالجامع الكبير بنالوت، بجبل نفوسة، حضره من جربة :

- الشيخ سعيد بن يحي الجادوي .
- الشيخ علي بن سالم بن بيان .
- الشيخ أبو القاسم بن زكرياء الباروني .
- الشيخ عمر بن صالح الباروني .
- الشيخ علي بن أبي بكر الباروني .
- الشيخ يوسف بن محمّد المصعبي .

- الشيخ محمّد بن يوسف الباروني .

ومن نفوسة :

- الشيخ صالح بن يوسف التّندميرتي.
- الشيخ عبد الله بن مهني النّالوتي.
- الشيخ سفيان بن عبد الرّحمان النّالوتي.

وغيرهم من علماء الجبل. إلى جانب:

- الشيخ العلاّمة نصر بن خميس العماني.

واتّفقوا على العمل بشاهدين عدلين في كتابة: الأحباس، والبيع، والرّهن، والصّدقات، وغيرها. وإنّ شهادة العدل الواحد لا تكفي في العقود. والله أعلم .

علماء مدرسة مدراجن

يقع مسجد مدراجن بحومة مزراية. و هذه الكلمة الأخيرة "مزراية" مأخوذة من المزر. وتعني: القوّة والاستحكام.
ويعود تاريخ بنائه إلى أواخر القرن 5 هـ /11م. وقد بني كبيرا منذ البداية لكثرة السّكان حوله .
وسمّي بمدراجن: لكثرة درجات مأذنته التي تحتوي على 63 درجة. وهي من أعلى ماذن جربة. وذلك ما يفسّر الوظيفة الدّفاعية لهذا المعلم الأثري، زيادة على وظيفة التّدريس. فقد أنشئت به مدرسة علميّة، من علمائها :

- الشيخ أبو محمّد عبد الله بن سعيد الصّدغياني :
رئيس مجلس العزّابة في النصف الأوّل من القرن 7 هـ /13م.
له رسالة في التّعريف بالإباضيّة، وبمبادئها الصّحيحة، المعتمدة على القرآن والسنّة، أرسلها إلى أهل وارجلان، بالجزائر .

- الشيخ أبو عبد الله محمّد بن أحمد الصّدغياني:
هو الذي أسّس مسجد ولحي بوادي زبيب.

- الشيخ أبو عمران موسى بن عبد الله الصّدغياني :
هو الذي تسمّت بإسمه الجهة الجنوبيّة الغربيّة لمسجد مدراجن، حيث كان يسكن.

- الشيخ زكرياء بن أفلح الصّدغياني :

هو العلاّمة الشيخ أبو يحي زكرياء بن أفلح الصّدغياني: الجدّ الأوّل لعائلة الفلاّح بجربة.

أخذ العلم عن الشيخ سعيد بن علي يامون، بمدرسة تلاكين. وعن الشيخ موسى بن أيّوب بن يعيش الزّواغي، وعن الشيخ عبد الله بن قاسم البرّادي، بمدرسة ولحي. ثمّ تولّى التّدريس بمدرسة مدراجن، وبمدرسة تاجديت .

كما ترأس مجلس العزّابة، في أواسط القرن9 هـ /15م .

من مؤلفاته :

-منظومة في جمل الإعراب.

-منظومة في الفرائض والميراث .

أبرز تلاميذه:

-أبو النّجاة يونس بن سعيد بن تعاريت .

-أبو الرّبيع سليمان بن إبراهيم البرّادي .

توفي-رحمه الله- سنة 902 هـ /1496م، وضريحه بروضة مسجد المعزوزين الذي ينسب إليه، بحومة صدغيان.

- الشيخ يحي بن يعقوب اليزمرتني :

ترأس "مجلس العزّابة "في أواخر القرن 9 هـ /15م .

له قصيدة يعاتب فيها القائمين على أوقاف المساجد. ويلومهم على تقصيرهم.

ومنها :

مالمسا جدكم أموالها وضعت في غير موضعها عن أهلها منعت

كانت لقرّائها ومن يعمّرها بعد مصالحها للذكر قد جعلت

لا تضعوا الشّيء في غير موضعه فتظلموه ديار الظلم قد خربت

يامن سعى في خرابها فدونكم خزي من الله في الدّنيا ولا نعمت

في الخصوص مساكن النّساء أرى أهل المودّة أهل العلم قد حجبت

أبرز تلاميذه:

-أبو النّما زايد بن عمر اللّوغ .

توفّي -رحمه الله -سنة هـ 910 هـ /1504م. وضريحه بروضة شمال شرقي مسجد مدراجن، بحومة مزراية وقد اشتهر منزله باسم " جدّي يحي ".

- الشيخ إلياس الهوّاري:

هو العلاّمة الشيخ أبو الفلاح إلياس بن داود الهوّاري.
وعائلة الهوّاري مشهورة بالعلم، والعمل. ولهم مسجد قرب منزلهم، بحومة مزراية يعرف باسمهم : "مسجد الهوّاري ". ويسمّى كذلك "مسجد سيدي غريب".وذلك أن هذه الأسرة كانت تسكن بحومة سدويكش، قبل أن تنتقل إلى حومة مزراية. فكانت غريبة عن أهل هذه الأخيرة. فسمّي مسجدهم بذلك الاسم .

وقد وقع هذا الانتقال، عام الرّهائن في القرن 7 هـ /13م. فقد انتقلت إلى تلك الحومة كذلك، عائلتي: بحرون والبحّار، من سدويكش. وعائلتي: ابن عمر والآجيمي، من آجيم .

وإلى جانب قيامه بالتّدريس بمدرسة مدراجن بحومته، تولّى المترجم له رئاسة مجلس العزّابة، في النّصف الأوّل من القرن 10 هـ /16م.

قال الحيلاتي :

"وإليه ترجع الشّورى في أمور جربة الدّينيّة، و الدّنياويّة من مجالس العلم، ومدارس التّعليم، ومجلس العزّابة، وانتقاله من مسجد إلى آخر".

قال ابن تعاريت :

"ويكفي في فضله، أنّه من ذريّة الشيخ هود بن محكم الهوّاري: قاضي الإمام أفلح بن عبد الوهّاب الرّستمي (211-240 هـ /825-854م).

وكان يراقب الثّغور السّاحليّة. ويتفقد مراكز المرابطين بها، على الأعداء، من قراصنة النّصارى. وكان يصلّي في كل مسجد ما شاء الله من النّوافل- رحمه الله-.

وقد شارك الشيخين: قاسم بن سعيد اليونسي، وأبا زيد بن سليمان بن أبي زيد، في الزّيادة في جامع الشيخ، بحومة السّوق. وذلك سنة 1028 هـ /1620م.

- الشيخ زايد اللوغ :

هو العلاّمة الشيخ أبو النّما زايد بن عمر بن إبراهيم بن سليمان اللّوغ .

ولد بحومة مزراية سنة 870 هـ /1476م .

أخذ العلم عن الشيخ يحي بن يعقوب اليزمرتني، بمدرسة مدراجن. ثمّ تولّى التّدريس بها. وله مسجد صغير جنوب منزله، كان يتعبّد فيه، ويعرف بإسمه إلى الآن : " مسجد عمّي زايد " .
وإلى جانب التّعليم، شارك المترجم له الشيخ إلياس الهوّاري في خفر السّواحل، ومراقبة المرابطين، بالمساجد السّاحليّة للجزيرة .
وكان رئيسا للمجلس الشورى، في مجلس العزّابة الذي كان يرأسه انذاك الشيخ العلاّمة: أبو سليمان داود بن إبراهيم التّلاتي .
قال ابن تعاريت :
"إنّ اجتماع العلماء عند الشيخ: زايد اللوغ بحومة مزراية. ولا يخرج الرّأي إلاّ من عنده، تقديرا له، واحتراما لمقامه".

توفي -رحمه الله - في آخر سنة 950 هـ /1543م. وضريحه بروضة جنوب منزله، بحومة مزراية، داخل منزل اليونسي الآن.

ومن علماء مدرسة مدراجن نذكر أيضا :

الشيخ أبو البقاء يعيش بن خليفة الصّدغياني (ق10هـ /16م).

له مرثيّة في صديقه الشيخ يحي بن صالح الهوّاري يقول فيها:

فقدت نحيل الجسم والأسر والقوى ... مثيرا لبلبال الفؤاد من الجوى
وأحرقني ما قد سمعت لفقدكم ... جنادا به ترجوا السّباحة في الهوا
تسلّ سنّي القدر مستصحب الرّضى ... تبوّأ بما صحّ الجنان من المأوى
فما أن دعاني من جهالة حدكم ... وحمل العلوم بالرّواية ملتقى
ولكن لنا في الذّكر قال فذكّر ... فإنّ لها نفعا لمن ذلكم حوى
فيا من له تنعى النّواحي بأسرها ... ويحظى اكتسابي واقترافي على النّوى
أغثني بغفران الذّنوب مفرّجا ... لما في ضميري من وساوسي استوى
وصلّي إلاهي ثمّ أزكى تحيّة ... على أحمد ذي الفضل والحوض واللّوا

- **الشيخ أبو يحي زكرياء بن إبراهيم بن أحمد الهوّاري :**
أخذ العلم عن الشيخ أحمد بن سعيد الشمّاخي.

- **أخوه الشيخ أبو النّجاة يونس:**
نسخ جزئي : الرّهن والبيوع، من كتاب الإيضاح، للشيخ إسماعيل الجيطالي فـــي شهر شعبان سنة 1036 هـ /1426م.
وكنت ألقي الدّروس بهذه المدرسة من سنة 1939م إلى سنة 1965م.

الشيخ زايد اللوغ (1)

فقدنا أبا النّما والإسم زايد — فالله درّ عالم يتوسّل

إلى الله بالخيرات فورا ويذهب — مذاهب دين الله والحقّ يقبل

ويدعوإلى الحسنة بحسن ونيّة — أأساليب نور العلم بالحلم يمهل

ويشفي غليل ذي السّؤال مجاوبا — فما مثله في النّاس من يتوسل

وفي صدره الصّبر الجميل مع الهدى — تقيّ نقيّ لا تراه يعجل

وفي الله لا يخاف لومة لائم — ولا يخشى جبّارا وللخير يفعل

يصوم نهارا قائم اللّيل خفية — تجنّب نوما دائما يتنفل

ولو أنّ وحي الله فينا لخصه — ففي فضله الأعلى يكاد ينزل

فمن لليتامى من بعده ومن ينصر — المظلوم ومن للعلم يفتأ يسأل

عن الضّعفاء والأرامل كلّهم ... يواسي ذوي الحاجات ماهو يبخل

وأنّى لنا صبر عليه وإنّه ... ببطن الغيوب والثراء مجدل

ترمس في روض الجنان من المنى ... إذ روحه في عبقري مزمل

إذا ما قضى بين الرّجال بحكمه ... يسلّط حكما بالدّليل ويعدل

له رأي من الفراسة يهتدي ... إلى النّور والضّياء لا يتميّل

تلقفه الرّيحان من جنّة المأوى ... وأزلفت الفردوس فيها يرفل

حوى شخصه القبر المضيء مرحبا ... به زائر أكرم بضيف وأجمل

بكى الدّين والإسلام لمّا تغيّب ... بكأس الرّدى وللدّمع سكب ومنهل

فقلت له لا تبك عيناك إنّه ... له أثر يبقى ولا يتبدّل

أيا معشرا القرّاء خذوا وارثه ... ببركة هذا الدّين قد يتنصّل

من السّلف الماضي إلى الخلف الهدى ... بعصمة ربّ العرش لا تتزيل

وعضوا عليها بالنّواجد واقتفوا ... سلالة راسب لا يتحوّل

عليكم سلام الله بعد صلاته ... على المصطفى نجل الكرام المرسل

وأستغفر الرّحمان من كل هفوة ... خطأ أو عمدا والمحارم أكمل.

---

(1) مرثية الشيخ سليمان التلاتي، في الشيخ زايد اللّوغ.

علماء مدرسة القصبيّين

جامع القصبيّين، أو جامع قلاّلة -نسبة إلى حومة قلاّلة- التي تقع على السّاحل الجنوبي الغربي لجزيرة جربة. وقد عرفت بهذا الإسم: " قلاّلة " لاشتهارها بصناعة القلال، من الفخّار. واسمها الفينيقي هو: "هاريبوس" :أي مدينة الطّين.
وقد تمّ بناؤه في بداية القرن 4 هـ /10م، في الجهة الجنوبيّة للسّوق، على الطّريق الرّابطة بين حومتي قلاّلة وسدويكش .
وكانت به مدرسة علميّة من علمائها :

- الشيخ داود التّلاتي:

هو العلاّمة الشيخ أبو سليمان داود بن إبراهيم التّلاتي- نسبة إلى حومة تلات التي تقع في الجهة الشّماليّة لحومة قلاّلة .
وكلمة تلات أمازيغيّة الأصل، تعني: مجمع الشّعاب التي أحدثتها مياه الأمطار، المنحدرة من الهضاب والتلال .
ولد في أواخر العقد الثاني من القرن 10 هـ /16م، من أسرة كريمة، معروفة بالتمسّك بالدّين، وموصوفة بمكارم الأخلاق. فقد كان والده تقيّا، محبّا للعلم وأهله. فعلّمه. واعتنى به . فبعد أن حفظ القرآن في كتّاب حومته، رحل في طلب العلم، واقتطاف أزهار فنونه، من رياضها. وقصد جبل نفوسة، حيث أخذ عن الشيخ العلاّمة أبي زكرياء يحي بن عيسى الباروني. ثمّ رجع إلى جربة وأخذ عن الشيخ أبي القاسم بن يونس السّدويكشي. ثمّ عن الشيخ أبي يحي زكرياء بن إبراهيم الهوّاري، بمدرسة مدراجن.
وليستزيد من العلم، رحل ثانية إلى نفوسة.ولازم دروس الشيخ أبي يوسف يعقوب بن صالح التّندميرتي، بمدينة "أجنّاون ". ثمّ انتقل إلى مدينة بقالة ودرس المنطق، والبيان، عن الشيخ إبراهيم بن أحمد:

من ذريّة أبي منصور إلياس النّفوسي، عامل الإمام أفلح بن عبد الوهّاب (211-240 هـ /825-854م).
ثمّ أخذ عن الشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي (ت971 هـ /1564م). -نسبة إلى مدينة مليكة بوادي ميزاب- .
وفي سنة 962 هـ /1556م ، انتصب للتّدريس بمدرسة القصيبيّين. ثمّ انتخب رئيسا لمجلس العزّابة. وكان في مكانته بمنزلة: الإمام العادل في تنفيذ الأحكام والسّهر على راحة السّكان، وقضاء شؤونهم الدّينيّة، والدّنيويّة. فهو الذي يتولّى الفتوى، والفصل في القضايا، والحكم في النّوازل، والحسم في النّزاعات ومراقبة المدارس العلميّة، والمدرسين فيها.
قام المترجم له بوظيفته أحسن قيام. فحكم بين النّاس بالعدل، وأصلح ذات البين وثبّت الحقوق، وأوصلها إلى أصحابها. وكوّن المدارس. وجلب لها مدرّسين ومن يقوم بشؤونها. واعتنى بأوقاف المساجد. ورتّب حلق قراءة القرآن. ونظّم دروس الوعظ، والإرشاد.
قال التعاريتي :
" كان مجاهدا في نشر العلم، واصلاح أمّته، وابعاد كلّ ما من شأنه أن يدخل الضّعف في أخلاقها، أو يخلّ بالأمن في ربوعها، مجدّا في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، بالحكمة، والموعظة الحسنة. وكان يقف أمام الطّغاة. ولا تأخذه في الله لومة لائم ".
وكان له موقف جريء مع درغوث باشا التركي: حاكم طرابلس، حين هجم على جزيرة جربة. واستعان عليها بعامله مسعود السّمومني .

قال أبو زكرياء الباروني:
"أتى موسى بن عمر بن أبي الجلود إلى الشيخ داود التّلاتي، مع جماعة من الجند. فقالوا له: لو سرت معنا إلى درغوث، لنتكلّم عن الضّعفاء. فقال لهم الشيخ : نعم .
فسار معه حتّى أتى درغوث فكلّمه هذا الأخير عن مخالفة أهل جربة له. فقال له الشيخ :
" نحن جماعة العزّابة ليس بأيدينا، ولا إلينا، تولية الأمراء، ولا عزلهم، في هذا الزّمان ".
فقال درغوث :" بل أنتم حاصرتم مسعودا. وفعلتم. وفعلتم..."
فأجابهم الشيخ : "ما فعلنا إلاّ الخير. ولسنا من أهل الشرّ. بل الفساد من قبلك لتقديمك الأسافل. وغير ذلك ..."

من مؤلّفاته :

-شرح متن الأجرميّة ، في النّحو .
-شرح مقدّمة التّوحيد، للشيخ عمر بن جميع .
-مرثيّة في الشيخ زايد اللّوغ: شيخ العزّابة في عصره .
-مرثيّة في الشيخ عيسى بن إسماعيل المصعبي .

أبرز تلاميذه :

- أبو زيد عبد الرّحمان بن أحمد الحيلاتي .
- أبو عبد الله محمّد بن زكرياء الباروني .
- أبو العبّاس أحمد بن أبي القاسم بن أبي ستّة.

كان المترجم له مجاهدا في الدّعوة إلى الحقّ حتّى استشهاده، إثر تصدّيه لدرغوث باشا الذي أمر بقتله، في أوائل جمادى الأولى سنة 967 هـ /1559م- رحمه الله- . وضريحه غربي مسجد بركوك، أو مسجد" أبي كندة"- نسبة إلى مؤسّسه- .

الشيخ زايد اللوغ (1)

بدأت بحمد الله لا أتقوّل ... وأبدي حزنا مرّه يتعلل

توت في فؤادي لوعة تتعنجر ... لداهية تشوي وعيني تهطل

وكدّر بالأسى ضميري واستبى ... كرائي وإنّ العقل أهدى وأذهل

وجاءت بلابل لنفسي واعترت ... وخلدي وروعي بالعلائق تشغل

وأهزل جسمي ثمّ دوّى فأردعت ... وصالي وكان قلبي يتنصل

ولا لاحق الأبطال مقبوب حافر ... سبوح جموح يتمضا ويقبل

ويدبر حينما يكرّ لطعنة ... بشطب غليظ حكمه يتويّل

ولقد دهاني خطب ديني ومذهبي ... وارقني داء شنيع مطول

---

(1) مرثية الشيخ داود التلاتي، في الشيخ زايد اللوغ.

- الشيخ عبد الرّحمان الحيلاتي :

هو العلامة الشيخ أبو زيد عبد الرّحمان بن أحمد الحيلاتي .
ولد بحومة جعبيرة، سنة 925 هـ /1518م .
حفظ القرآن الكريم. وتعلّم المبادئ بمدرسة ولحي. ثمّ التحق بمدرسة القصبيّين حيث أخذ عن الشيخ أبي سليمان داود التّلاتي. ثمّ ذهب إلى جبل نفوسة. وأخذ عن الشيخ أبي يوسف يعقوب بن صالح التّندميرتي. ثمّ سافر إلى مصر. ودرس بالمدرسة الإباضيّة، وبالجامع الأزهر، بالقاهرة .
ولمّا عاد إلى جربة سنة 967 هـ /1560م، كما تولّى التدريس بمدرسة القصبيّين وكذلك بمدرسة ولحي. تولّى رئاسة مجلس العزّابة. وتصدّى للمشاكل التي حدثت في عهده بسبب هجومات الإسبان، والأتراك، على جربة.

أبرز تلاميذه :

-أبو الفضل قاسم بن سعيد اليونسي .
-أبو يعقوب يوسف بن صالح البّلاز .
-أبو عبد الله محمّد بن سعيد التّغزويسني .

توفّي- رحمه الله- في أواخر ق10 هـ /16م. وضريحه بروضة البرّادي بحومة جعبيرة .

ومن علماء مدرسة القصبيّين نذكر كذلك:

- **الشيخ أبو عفيف صالح بن رمضان بن منصور:**

أخذ العلم عن والده: الشيخ رمضان، بمدرسة القصبيّين. وكان من أبرز التّلاميذ، إلى جانب أبي الرّبيع سليمان بن أحمد الغول (1087 هـ /1678م) .

- **إبنه أبو حفص عمر.**

- **الشيخ عبد الرّحمان بن يوسف القصبي :**

نسخ الجزء الأوّل من كتاب "الإيضاح "سنة 1071 هـ /1660م .

- **الشيخ يحي بن منصور:**

هو الشيخ أبو زكرياء يحي بن سليمان بن منصور .

تعلّم المبادئ بجربة. ثمّ ذهب إلى مصر. ودرس بالمدرسة الإباضيّة، وبالجامع الأزهر بالقاهرة، حيث أخذ عن الشيخ عمر التّلاتي. ثمّ تولّى التّدريس بمدرسة القصبيّين، سنة 1152 هـ /1739م .

- **الشيخ محمّد بن منصور:**

هو الشيخ أبو عبد الله محمّد بن يحي بن منصور.

أخذ العلم عن الشيخ محمّد بن يوسف المصعبي، بمدرسة الجامع الكبير.

قال ابن تعاريت :

" كان عالما، فقيها، وأديبا. كفيف البصر، فعوّضه الله حظّا وافرا من الذّكاء والفهم، والحفظ".

اشتغل بالتّدريس بمدرسة القصبيّين، إلى أن توفّي سنة 1273 هـ /1856م- رحمه الله-.

- الشيخ سليمان بن منصور:

هو الشيخ أبو الرّبيع سليمان بن صالح بن أحمد بن عمر بن منصور.
ولد بحومة قلالة سنة 1251 هـ /1836م.
أخذ المبادئ عن والده: الشيخ صالح، بمدرسة حومته. ثمّ ذهب إلى مصر. ودرس بالجامع الأزهر، وبالمدرسة الإباضيّة، بالقاهرة. ونسخ هناك كتاب السّير للشماخي، سنة 1263 هـ /1846م.

علماء مدرسة بن يعلى

يقع مسجد بن يعلى بحومة بني ديغت- الرّياض حاليّا -. وكلمة "ديغت" تعني شخص له شأن .

ويعود تأسيسه إلى أواخر القرن 5 هـ /11م. وكان مجلس عزّابة جربة يعقد به .

وفي إحدى اجتماعاتهم هناك، برئاسة :الشيخ سعيد بن محمّد التّغزويسني أتاهم مخبر بأنّ النّصارى نزلوا على برج التشتيل. فتفرّق المجلس. وذهب المشائخ للقتال. وذلك إثر الحملة الإسبانية الثالثة على جربة، سنة 967 هـ /1566 م. ومكث الأعداء بالبرج، ثمانية اشهر. ثمّ تمّ اخراجهم بإعانة جيش السّلطان .

وكانت به مدرسة علميّة، من المدرّسين فيها :

- **الشيخ أبو الفضل قاسم بن صالح بن عمر بن سعيد الزّنكري** (1133 هـ /1721م) .
- **أخوه: الشيخ أبو عبد الله محمّد** (1155 هـ /1742م) .
- **أخوه: الشيخ أبوعثمان سعيد** (1164 هـ /1751م) .
- **الشيخ أبو الرّبيع سليمان بن أبي القاسم بن يعلى** (ت1241هـ /1833م).
- **الشيخ أبو الفضل قاسم بن سليمان بن محمّد بن عمر الشمّاخي** (ت1282 هـ/1865م)

إلى جانب توليه التّدريس بمدرسة تلاكين.

وبمدرسة بوليمان بصدغيان.

علماء مدرسة تاجديت

يقع مسجد تاجديت بحومة فاتو. وكلمة "تاجديت" أمازيغيّة الأصل. وتعني: الجديد. وتسمّى بذلك الإسم نظرا لعهد إنشائه، مقارنة بالمساجد التي بنيت قبله مثل: مسجد تلاكين بحومة غيزن ، ومسجد مدراجن بحومة مزراية .

ويطلق هذا الاسم: تاجديت على بلدة بجهة أريغ بالجنوب الجزائري .

ذكر أبو الرّبيع سليمان بن يخلف المزّاتي (ت 470 هـ /1077م) في كتابه التحفة:

اجتمعت في تاجديت مدارس عديدة، فيها حلق كثيرة من التلاميذ. واجتمع فيها من أهل الفضل ،والعلم ، والعدل، وأصحاب السّير، والتّاريخ، والورع، والعبادة، وعلماء التآليف، ما لم يجتمع في غيرها من بلدان أهل الدّعوة، في ذلك الأوان، حتّى عدّوا في الحلقة: ثمانين تلميذا. وعدّوا: مائتين من التلاميذ الحافظين، لمائتي كتاب وعدّوا من العلماء: مائتي عالم، لا يردّ أحدهم جواب ما سئل عنه إلى غيره .

وإنّ روضة تاجديت من أكبر روضات الإباضيّة فلم يقبر في غيرها، ماقبر فيها من المشائخ البررة، ذوي التّقوى- رحمهم الله-.

وأمّا تسمية الحومة: بفاتو، فيعود إلى انتقال بعض سكّان تلك الجهة، من مكان إقامتهم الأولى: جنوب المسجد، إلى الشمال. فكان جواب السّائلين عن سكّان الجهة الجنوبيّة: أين هم ؟ هو فاتوا، أي فاتوا عن هذه الجهة. وبارحوها. والله أعلم .

وكانت الجهة الشماليّة من هذه الحومة غير مسكونة في القرون الوسطى لأنّ سواحل الجزيرة كانت غير مأمونة الإقامة، خشية هجوم الصليبيّين .

وبداية من سنة 981 هـ /1573م، عادت الطمأنينة إلى النفوس، بفضل المرابطين في مساجد السّواحل. وأصبحت هذه الجهة عامرة بالسّكان، خاصّة وأنّها تحتوي على أراض صالحة للزّراعة.
ومسجد "تاجديت" أنشئ في أواخر القرن 3 هـ /9م، بأمر من الدّولة الرّستميّة
وقد تمّ بناؤه مربّع الشكل، واسع المساحة، عالي السّقف. حيث يبلغ طول ضلعه 17 مترا. ومنارته من المنارات المرتفعة، بجربة. ممّا يدلّ على دوره الدّفاعي .
وتكوّنت به مدرسة علميّة، كانت تعجّ بالطلاّب الذين توافدوا عليها من داخل الجزيرة، ومن خارجها. وبقايا مساكن الطّلبة، والمدرّسين، ومعلّمي القرآن الكريم، تشهد على ذلك .

ومن علماء هذه المدرسة:

- الشيخ يوسف الإباضي:

هو الشيخ أبو يعقوب يوسف الإباضي .
أخذ العلم عن الشيخ أبي عمرو عثمان بن خليفة المارغني، السّوفي، المتوفّى في أوّل القرن 6 هـ /12م. وخلفه تلميذه الشيخ أبو موسى عيسى اليفرني: أستاذ الشيخ عيسى الجادوي والشيخ أبي زكرياء يحي الجادوي، والشيخ ميمون بن تاكيس الورغمي الذي تولّى التّدريس بعده .

- الشيخ سيفاو الأبدلاني النّفوسي: -نسبة إلى جبل نفوسة-.
وكلمة "سيفاو" أمازيغيّة الأصل. وتعني: المضيء، والمنير.
توفّي يوم الاربعاء 8 رمضان سنة 640 هـ /1242م- رحمه الله.

- الشيخ عثمان الزّاراتي:
هو الشيخ أبو سعيد عثمان الزّاراتي -نسبة إلى جهة الزّارات- .
أخذ العلم عن الشيخ سيفاو الأبدلاني، بمدرسة تاجديت. وتولى التّدريس فيها بعده.

أبرز تلاميذه :
- أبو عثمان سعيد بن أمغار بن صالح.
- أبو محمّد عبد الله بن عثمان الصدغياني .
- أبو عفيف صالح المغراوي .

من مؤلفاته :
- كتاب مسائل ملتقطات .
- مجموعة فتاوى.

- الشيخ صالح المغراوي:
هو الشيخ أبو البرّ صالح بن نجم المغراوي .
أخذ العلم عن الشيخ عثمان الزّاراتي، بمدرسة تاجديت. واشتغل بالتّدريس فيها طيلة أربعين سنة، مجانا، إلاّ ما يتحصّل عليه من أوقاف المسجد، كغيره من الطّلبة. حيث كان يشرف على هذه الأوقاف. ويتعهّد أمور المسجد، والمدرسة من اصلاح، وغيره، دون أن يتقاضى أجرا على ذلك.
تولّى رئاسة مجلس العزّابة، في أواسط القرن 7 هـ /13م .

أبرز تلاميذه :

- أبو القاسم بن إبراهيم البرّادي.
أبو البقاء يعيش بن موسى الزّواغي الذي خلفه في التّدريس.
توفّي سنة 670 هـ /1271م -رحمه الله-.

- الشيخ إبراهيم بن أحمد أبو الأحباس :

هو الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد أبو الأحباس التّندميري: من ذرية أبي منصور إلياس. وأصله من بلدة بقالة، بجبل نفوسة .

- الشيخ يعقوب بن صالح التّندمري:

هو الشيخ أبو يوسف يعقوب بن صالح بن نوح التّندميرتي- نسبة إلى بلدة تندميرة -بجبل نفوسة .

أبرز تلاميذه :

-أبو القاسم بن يونس السدويكشي .
-أبو زكرياء يحي بن عبد الله البرّادي.

- الشيخ قاسم اليونسي:

هو العلاّمة الشيخ أبو الفضل قاسم بن سعيد اليونسي .
ولد سنة 940 هـ /1531م بحومة غيزن، جنوب منزل يامون اليوم. حيث كانت تقطن عائلة اليونسي، منذ القرن 7 هـ /13م.
أخذ مبادئ العلم بمدرسة تاجديت. ثمّ التحق بمدرسة القسميّين. حيث أخذ عن الشيخ عبد الرّحمان الحيلاتي، قبل أن يتولّى التّدريس بمدرسة تاجديت اضافة إلى رئاسة مجلس العزّابة .

قال ابن تعاريت :
"هو علاّمة زمانه، ورجل الدّين، والعلم، والسّيف، والقلم وهو المقصود بجربة، للحكم في النّوازل، وغيرها من الأمور".
وكانت له منزلة كبيرة عند النّاس لفضله، وعلمه، وعمله.
وفي شهر جمادى الثانية سنة 1010 هـ /1601م، زمن إمارة: عمر بن مسعود بن جلود، وشي بالمترجم له، عند جعفر باشا والي طرابلس (990-1013 هـ /1581-1604م). فعاقبه هذا الأخير. لذلك سافر وفد من العلماء إلى طرابلس لاثبات براءته .
وفي سنة 1020هـ/1611م، طعن فيه أحد القضاة عند الباشا يوسف داي(1019-1047هـ/1610-1637م) الذي طلب منه ألفي دينارا سلطانيّة. فذهب الشيخ قاسم إلى تونس. والتقى بالباشا. ودافع عن نفسه. فأيّده الله بنصره، على من عاداه. وفتحت له أبواب الخير، وصار ذا قدر عظيم عند الأمراء، والفقهاء هناك. أمّا القاضي، فقد عزل. وصار مثلا به يعتبر .
وفي سنة 1028 هـ /1620م، شارك الشيخ إلياس بن داود الهوّاري، والشيخ أبا زيد الصّدغياني، في توسيع جامع الشيخ، بحومة السّوق .
قال ابن تعاريت :
"وله أبناء سادوا بجربة" وإليهم ينسب "مسجد اليونسيّين" بحومة القشعيّين.

أبرز تلاميذه :

-أبو الرّبيع سليمان الحيلاتي .
-أبو عثمان سعيد التّغزويسني.
-أبو النّما عبد العزيز بن محمّد المصعبي .
إبنه: أبو الرّبيع سليمان الذي اشتهر بالمجاهرة بالأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر (ت 1060 هـ 1650م) .

توفي -رحمه الله- سنة 1034 هـ /1625م. وضريحه بروضة قرب منزله، جنوب منزل، يامون بحومة غيزن .
ومن علماء عائلة اليونسي، نذكر أيضا :

- **الشيخ سليمان بن قاسم اليونسي، وأخوه: الشيخ أحمد.**
- **الشيخ عمر بن سليمان اليونسي، وأخوه: الشيخ يحي.**
- **الشيخ أبو القاسم بن أحمد اليونسي** (ت1131هـ/1719م).
- **الشيخ سعيد بن يحي اليونسي.**
- **الشيخ صالح بن عمر اليونسي، وإبنه: الشيخ قاسم.**
- **الشيخ يوسف بن عبد الرّحمان اليونسي:** المشهور بـ "خواجة"

الشيخ يونس بن تعاريت :

هو العلاّمة الشيخ أبو النّجاة يونس بن سعيد بن يحي بن تعاريت، الخيري -نسبة إلى أولاد الخيري- بحومة آجيم. حيث أنّ عائلة ابن تعاريت كانت تقطن بحومة آجيم ثمّ انتقلت إلى حومة صدغيان، لمّا قرّر مجلس العزّابة تقسيم بعض العائلات، ونقل بعضها حتّى لاتكثر العداوات بينها .
أخذ العلم عن الشيخ زكرياء بن أفلح الصّدغياني بمدرسة مدراجن، وعن الشيخ عبد الله بن قاسم البرّادي بمدرسة ولحي. ثمّ انتصب للتّدريس بمدرسة تاجديت فتوافد عليه الطّلبة من جربة ومن خارجها. وكوّن أعلاما أحيوا العلم، والدّين بعده .
وقد اسندت إليه رئاسة" مجلس العزّابة "سنة 903 هـ /1498م .
واستجاب لطلب أهل ميزاب، بارسال عالم يحيي الدّين في ربوعهم، باختياره تلميذه: الشيخ سعيد الخيري الذي ثبّت المدرسة الإباضيّة إلى اليوم، هناك.

وإلى جانب التّدريس، ورئاسة مجلس العزّابة الذي يشرف على شؤون الجزيرة الدينيّة، والدنيويّة، كان يدعو إلى الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، وإقامة حدود الله، وضمان استتباب الأمن بين النّاس، رجاء في ثواب الله، ورضوانه. فكان يتنقل بين الجهات متفقدا، ومرشدا.

وقد شارك المترجم له في الدّفاع عن الجزيرة، مع الشّيخ أبي زكرياء يحي السّمومني، إثر حملة الصليبيّين سنة 916 هـ /1510م. تلك الحملة التي صالت في كامل سواحل شمال إفريقيا:من وهران إلى طرابلس. وانكسرت شوكتها أمام فئة قليلة من أهل جربة .

قال تعالى : " كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصّابرين " (1).

فبعد أن احتلّ القراصنة الإسبان بجاية، ثمّ مرسى الجزائر الكبير، ثمّ وهران، ثمّ طرابلس، توقع خبراء جربة أن يتّجه هؤلاء الغزاة، إلى جزيرتهم. واجتمعوا بحضور الشيخ يحي السّمومني، عند الشيخ يونس رئيس العزّابة. وأخذ هذا الأخير يدعو النّاس إلى التّهيء للقاء الأعداء، وإلى الاعتصام بالله. والاكثار من ترديد قول الرّحمان: كأن يقرأ ثمن القرآن كلّ ليلة. ويختم بما بقي ليلة الجمعة. كما بعث برسالة إلى مشائخ "مسجد تالة "بنالوت، بجبل نفوسة، للتوسّل إلى الله حتّى يحفظ أهل جربة من النّصارى.

ولمّا جاء الأسطول الإسباني متكوّنا من: مائة وعشرين سفينة، تحمل: خمسة عشر ألف جندي، بأسلحتهم المتطوّرة هاجم الجزيرة بكلّ ما لديه من قوّة، وكبرياء، ونشوة بالانتصارات السّابقة فقابله أبطالها بعدهم القليل، وإيمانهم القويّ. فكتب الله لهم النّصر. وخذل المعتدين. وردّ كيدهم في نحورهم .

قال الشاعر :

قوّة الله إن تولّت ضعيفا تعبت في مراسها الأقوياء.

وهكذا كان المترجم له يكافح من أجل إقامة دين الله، والحكم بين الناس بالعدل، واعطاء كلّ ذي حقّ حقه، إلى جانب الدّفاع عن الجزيرة، إذا اعتدى عليها معتد، أو أغار عليها مغير، تنفيذا للأحكام التي يصدرها مجلس العزّابة الذي يضمّ علماء جربة المبرّزين .

أبرز تلاميذه :

-سلامة بن يوسف الجنّاوني :جدّ عائلة بن سلامة، بحومة التشعيّين ووالغ.

-أبو يوسف يعقوب بن صالح بن نوح النّفوسي.

-أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد أبو الأحباس التّندميرتي: وهو من ذريّة أبي منصور إلياس النّفوسي.

-أبو عفيف صالح بن نوح بن أحمد الجادوي: صاحب المنظومة الجادويّة.

-أبو عثمان سعيد بن علي الخيري: مصلح وادي ميزاب.

توفي -رحمه الله - سنة 917هـ/1512م. وضريحه بروضة غربي مسجد تاجديت، بحومة فاتو.

---

(1) سورة البقرة – آية : 249.

رسالة من علماء عمان

وصل إلينا إلى عمان، إلى بلد نزوة: الحاج عيسى بن أبي بكر بن محمّد. وكان من أجلّ الواصلين . وسعدنا بوروده. واستبشرنا لمجيئه، ومطلعه. وسرّنا ما اطلعنا عليه من علم سلامتكم، واستقامة حالتكم، وما منحكم الله من صلاح ذات بينكم، وهدايتكم للرّشاد في دينكم، وسلوككم المذهب الرضيّ، والدّين الجليّ، الوهبيّ، الرّاسبي، الواضح نوره، وسبيله، الأوّل سالكوه، وحاملوه .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: " ستفترق أمّتي على ثلاثة وسبعين فرقة كلّها هالكة، إلاّ واحدة ". ونحن بحمد الله من ترك الفرقة الصفيّة .

وقال عليه السّلام:" بدأ الإسلام غريبا. وسيعود غريبا. فطوبى للغرباء من أمّتي .

فقيل له : "من الغرباء يا رسول الله ؟ فقال:

"قوم يعملون بكتاب الله حين يترك. ويتمسّكون بحبل الإسلام حين يقطع".

فاثبتوا على دينكم. فإنّكم إن شاء الله من الفائزين .

ونعلمكم أنّه قد وصل الحاج عيسى إلى سلطان عمان: العلاّمة الأكبر أبو علي سليمان بن سليمان الإباضيّ، المستقيم، العالم في أصول الدّين .وأعلمه أنّه من جربة، من مذهب الوهبيّة. وأخبره بما جرى بين الأمير: أبي زكرياء يحي السّمومني: شيخ الجزيرة، وبين النّصارى من القتال. وما قد نصره الله عليهم فأنزله السّلطان منزلا مباركا، عند إخوانه، وأهل مذهبه.

- الشيخ سعيد بن علي الدّاوي : "عمّي سعيد الجربي"

هو العلاّمة الشيخ أبو عثمان سعيد بن علي بن يحي بن يدّر الدّاوي، الخيري - نسبة إلى أولاد الخيري- بحومة آجيم .
ولد سنة 840 هـ. أخذ العلم عن والده: الشيخ علي بمدرسة ليمس، وعن الشيخ يونس بن سعيد بن تعاريت بمدرسة تاجديت. ثمّ تولّى التّدريس فيها .
وفي سنة 880 هـ /1476م، ذهب إلى ميزاب، تلبية لطلب أهلها من إخوانهم بجربة، أن يرسلوا إليهم عالما حكيما ينشر العلم، وينوّر العقول هناك. وقد اختاره شيخه يونس بن تعاريت للقيام بهذه المهمّة النّبيلة لأنّه أبرز التّلاميذ .
وأصبح يلقب: "بعمّي سعيد الجربي"، مصلح وادي ميزاب .
وقد رافقه عالمان:
-الشيخ بلحاج بن سعيد النّفوسي، والشيخ دحمان الجربي.
وفي زمان هذا الأخير، هاجم العدوّ، ابن دومة، على بلدة: بنورة، بوادي ميزاب. فتولّى الدّفاع عن أهلها. وجهّز الجيش الكافي لذلك، عملا بقوله تعالى: " فمن اعتدى عليكم، فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم. واتّقوا الله واعلموا أنّ الله مع المتّقيين."
وإلى المترجم له، تنسب المقبرة الشّهيرة بمدينة غرداية، بوادي ميزاب. وبروضته يقام مجلس: القصور السّبعة. وباسمه اشتهر مجلس العزّابة : "مجلس عمّي سعيد " . وإليه ينسب الدعاء الذي يقرأ بعد صلاة الصّبح. ويسمّى: دعاء السّلام، لكثرة ترديد كلمة السّلام فيه. وهو الواضع لخطبة العيدين. وهو الذي أنشأ قراءة القرآن، وختمات المقابر، التي تقرأ كلّ يوم جمعة. إلى جانب بعثه لهيئة: الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر.

قال الشيخ إبراهيم أبو اليقظان، في ملحق سيره:
"ترك الشيخ سعيد الجربي كثيرا من نفائس الكتب التي يملكها، حبسا في خزائن دار التّلاميذ بغرداية. فكان نفعها عامّا، وخيرها شاملا لجميع الأجيال العلميّة. أثابه الله. وجزاه عن ذلك خيرا كثيرا"
وممّا يؤثر عنه أنّه لمّا جاءته الوفاة، طلب من الخاصّة من إخوانه، أن يعيّن لهم من أبنائه، من يخلفه لنشر العلم، والقيام بأمور الدّين. فطلب منهم أن يمهلوه، ريثما يختبر منهم من يصلح لذلك.
فسأل أحدهم عمّا هو فاعل فيمن يفعل معه الخير ؟ فأجاب : أكافئه بالخير" ومن يفعل معه الشرّ ؟ فقال: "أكافئه بالشرّ ".
ثمّ سأل الثاني عن من يفعل معه الخير. فقال: "أفعل معه الخير. وعن من يفعل معه الشرّ. فقال : "لاأفعل معه لا خيرا ولا شرّا" .
ثمّ سأل الثالث عمّن يفعل معه الخير. فقال : " أفعل معه الخير" وعن من يفعل معه الشرّ. فقال : أقابله بالخير". فسأله ثانية :"كيف تقابل شرّه بالخير، وقد أساء إليك" ؟ فأجاب: " أقابله بالخير حتّى يكفيني خيري شرّه". فسرّ به. وعيّنه خليفة له . ولعلّه إبنه الأصغر: الشيخ صالح .

أبرز تلاميذه:

-أبو مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي (ت971 هـ -1564م) .

من مؤلفاته :

-مرثيّة في شيخه يونس بن تعاريت .
-قصيدة في شكل أسئلة تتضمّن مسائل فقهيّة، وعلميّة هامّة.

توفي- رحمه الله- سنة 927 هـ / 1520م. و ضريحه بروضة عمي سعيد بمدينة غرداية بوادي ميزاب.

علماء مدرسة بوليمان بجعبيرة

يقع مسجد بوليمان بحومة جعبيرة. وقد أسّسه الشيخ علي بوليمان، في أوائل القرن 4 هـ /10م.
وتجدر الإشارة إلى أنّه يوجد مسجد أخر بهذا الاسم، بحومة صدغيان. وينسب كذلك إلى عائلة بوليمان.
وكانت به مدرسة علميّة، من علمائها:

-الشيخ أبوعفيف صالح البلاّز اليسوتني-نسبة إلى قبيلة يسوتن.
- إبنه الشيخ يوسف .
-الشيخ أبو عبد الله محمّد التفجاني الذي أخذ عن الشيخ عامر بن علي الشمّاخي (ت792 هـ /1390م).
-الشيخ إبراهيم بن أبي نوح بن يوسف بن صالح البلاّز: الذي أخذ عن والده الشيخ أبي نوح.

أبرز تلاميذه :

-إبنه أبو عثمان سعيد.
-الشيخ صالح بن قاسم بن محمّد بن سعيد البلاّز :
نسخ تفسير الشيخ هود بن محكم الهوّاري: قاضي الإمام عبد الوهّاب الرّستمي (171-211 هـ /787-826م)، سنة 986 هـ /1578م .

-إبنه الشيخ أبو يعقوب يوسف :
أخذ العلم عن والده الشيخ صالح بمدرسة بوليمان بجعبيرة، وعن الشيخ عبد الرّحمان الحيلاتي بمدرسة ولحي. ثمّ ذهب إلى مصر سنة 1010 هـ /1609م للدّراسة بالجامع الأزهر، وبالمدرسة الإباضيّة، بالقاهرة .

أبرز تلاميذه :

-أبو الرّبيع سليمان الحيلاتي .

-إبناه: أبو عفيف صالح، وأبو إسحاق إبراهيم .

-أخوه أبو النّجاة يونس .

توفي -رحمه الله- في أواخر النّصف الأوّل من القرن 11 هـ /17م.

الشيخ سليمان الحيلاتي:

هو العلاّمة الشيخ أبو الرّبيع سليمان بن أحمد بن محمّد الحيلاتي.

أخذ العلم عن والده: الشيخ أحمد، المتوفى يوم الخميس6 رمضان سنة 1058 هـ /1648م. وعن الشيخ يوسف بن صالح الباتز بمدرسة بوليمان بجعبيرة، وعن الشيخ قاسم بن سعيد اليونسي، بمدرسة تاجديت. ثمّ تولّى التّدريس بمدرسة بوليمان.

وأحيى ما آندرس من آثار المسلمين، برسالته في "نسبة الدّين": أي ذكر العلماء الذين أخذ بعضهم عن بعض، من عهد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم إلى زمانه .

وزيادة على كونه من أسرة عريقة في العلم، عاش المترجم له في عصر بلغت فيه الجزيرة مرتبة مشرّفة في العلوم الدينيّة، والدنيويّة، بفضل علمائها الأعلام كالشيخ عبد الله بن سعيد السّدويكشي، والشيخ محمّد بن أبي ستّة المحشي والشيخ قاسم بن سعيد اليونسي، والشيخ أحمد بن أبي ستّة، وغيرهم.

من مؤلفاته :

-رسالة في ذكر علماء جربة .
-رسالة في الحروب الصليبيّة التي وقعت بجربة .
-رسالة في نسبة الدّين: من عهد النّبي محمّد عليه الصّلاة والسّلام إلى زمانه.
-شرح المنظومة الحائيّة، للشيخ أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي .
-فتاوى في الفقه والأحكام .

أبرز تلاميذه :

-أبو حفص عمر التّلاتي .
-أبو الحسن علي بن بيان .
-أبو النّجاة يونس بن صالح البلاّز.
-أبو يعقوب يوسف بن يحي البلاّز.
-أبو عفيف صالح بن يوسف البلاّز، وأخوه أبو إسحاق إبراهيم.

توفي -رحمه الله- في آخر شهر محرّم، سنة 1099 هـ /1688م.
وضريحه بروضة مسجد بوليمان، بحومة جعبيرة.

الشيخ سليمان الحيلاتي (1)

آت منازلي وقومي وبلدتي وبلّغهم منّي السّلام إشاعتا

وسلّم على الحبر المطيع إلاهه سليمان يدعى بالحيلاتي صراحتا

لقد طهر الربّ العظيم جنابه ونظّفه من كلّ عيب نظافتا

لقد خاض من بحر المفاخر لجة وقاد إلى الهدى وجاء خلافتا

وساد وبات للمعاني مضاجعا وأحيا مآثرا وأمّ جماعتا

تردّى ثياب الخلد حال حياته برحله ذات الزّهد باتت مناختا

فكم له من فضل علي ومنة وتربية بالرّشد أمحت غوايتا

وقل له بيت الله يدعوك إليه كذا الحرم الرّوضي فاعني عنايتا

لتشرب من ماء زمزم ورحيقها وتغنم بالزّهر المنير زيارتا

---

(1) مرثيّة الشيخ عمر التّلاتي، في الشيخ سليمان الحيلاتي.

ومن علماء مدرسة بوليمان بجعبيرة، نذكر أيضا :

- **الشيخ أبو عبد الله محمّد بن قاسم البلاّز:**

أخذ العلم عن الشيخ يونس بن يحي البلاّز بمدرسة بوليمان، بجعبيرة. ثمّ ذهب إلى مصر. ودرس بالجامع الأزهر، وبالمدرسة الإباضيّة، بالقاهرة. وبقي هناك طيلة 36 سنة (1100-1136 هـ /1688-1724م). وعرف بالأمانة والتّقوى، والورع. إذ يروى أنّ الحاج عثمان بن سلامة الدّواي (ت1101 هـ /1690م) أمّن عنده أمواله، لمّا كان بمصر.

- **الشيخ أبو عفيف صالح بن يوسف البلاّز:**

أخذ العلم عن الشيخ محمّد بن قاسم البلاّز بمدرسة بوليمان، بجعبيرة. ونسخ هناك القصيدة الحجازيّة إثر وصولها إلى جربة سنة 1146 هـ /1733م. ثمّ ذهب إلى مصر سنة 1149 هـ /1736م، للدّراسة بالجامع الأزهر، وبالمدرسة الإباضيّة، بالقاهرة. فلازم هناك دروس الشيخ عمر التّلاتي، قبل أنّ يتولّى التّدريس بمدرسة بوليمان، بجعبيرة.

- **الشيخ حمّودة بن عمر الزّكري:**

هو الجدّ الأوّل لعائلة ابن حمودة، بحومة جعبيرة.

أخذ العلم عن الشيخ إبراهيم بن يوسف البلاّز بمدرسة بوليمان، بجعبيرة.

أحدث جامع "اللّيل" بحومته . وقد بني ليلا خوفا من المعترضين. فسمّي كذلك. وتمّ بناؤه في ليلة 27رجب سنة 1167 هـ /1754م، بأيدي سالم بن أبي بكر البرّادي، ويوسف قدوار .

نسخ كتاب "الجامع الصّحيح" في الحديث، للإمام: الرّبيع بن حبيب الفراهيدي في شهر صفر، سنة 1194 هـ /1779م .

أبرز تلاميذه :

- أبو عفيف صالح بن قاسم البلاّز.

علماء مدرسة جامع الشيخ بحومة السّوق

يقع جامع الشيخ بحومة السّوق التّي أسّسها: الشيخ أبو مسور اليهراسني، في أوائل القرن 4 هـ /10م، لقضاء النّاس حاجياتهم الدّينيّة، والدّنيويّة. فهي مكان إدراي، وتجاري، ومركز للفتوى، والتّقاضي، وعاصمة لجزيرة جربة.

أنشأه:الشيخ أبو عفيف صالح بن يحي بن سليمان السّمومني سنة 955 هـ /1548م. وكان والده الشيخ يحي، قد شارك في هزم الإسبان على ساحل الجزيرة الشّرقي، في 24جمادى الأولى سنة 916 هـ /1510م .

وتولّى توسيعه، سنة 1028 هـ /1620م، ثلاثة من شيوخ العزّابة هم :

-الشيخ أبو الفضل قاسم بن سعيد اليونسي .

-الشيخ أبو زيد بن سليمان بن أبي زيد.

-الشيخ أبو الفلاّح إلياس بن داود الهوّاري .

وجعلوا فيه مدرسة علميّة دام التّدريس بها إلى عصرنا الحاضر . وقد ألقيت فيها عدّة دروس.

وإنّ أوّل صلاة جمعة، في جربة، قد أقيمت فيه، بأمر من الأمير موسى بن سعيد بن جلود. وذلك يوم الجمعة الأولى، من شهر صفر سنة 1079 هـ /1668م. أي بعد وفاة الشيخ سليمان بن عبد الله بن أبي زيد: رئيس مجلس العزّابة، بعام ونصف، أي(18 شهرا). وقد خطب فيه كلّ من الشيخ محمّد بن أحمد الباروني، والشيخ علي بن محمّد بن سليمان الباروني.

زيارة القطب الى جربة

لم يكن قطب الأئمّة: العلاّمة الشيخ الإمام امحمّد بن يوسف آطفيّش، كثير الأسفار. فقد أعطى نفسه للتّدريس، والتّأليف، خدمة للإسلام والمسلمين.

وكانت زيارته إلى جزيرة جربة، في أوّل شهر ذي القعدة سنة 1303 هـ /1886م حدثا في حدّ ذاتها. فقد حلّ بها، رفقة جماعة من الميزابيّين قاصدين بيت الله الحرام، بعد أن أقام أيّاما في مدينة تونس. والتقى بعلماء جامع الزّيتونة. وتناقش معهم في عدّة مسائل. وترك دويّا هامّا في أهل العلم هناك.

وقبل أن نتحدّث عن تفاصيل هذه الزّيارة المباركة، هذه نبذة عن ترجمته:

ولد القطب: امحمّد بن يوسف بن عيسى اطفيّش ببلدة بني يزقن، بوادي ميزاب سنة 1236 هـ /1821م. توفّي والده، وهو إبن أربع سنين. فأدخلته أمّه الكتّاب أين حفظ القرآن الكريم. وعمره لم يتجاوز ثمانَ سنين. ثمّ أخذ مفاتيح العلوم عن أخيه: الشيخ إبراهيم . نظم كتاب المغني في النّحو، لابن هشام، في خمسة آلاف بيت، وهو في 16 من عمره. وما إن وصل العشرين، حتّى أصبح أعلم العلماء، في واد ي ميزاب وإنّ مؤلّفاته، وخاصّة موسوعته الشرعيّة " شرح النيل " لخير دليل على ذلك فهي دائرة معارف في الفقه الإسلامي. وهي من أوفى تآليفه، وأجملها تحريرا وتحقيقا، حيث جاءت في عشرين جزء. وكما ألّف المترجم له:

في تفسير القرآن الكريم :

-هميان الزّاد ليوم الميعاد في 14 جزء، تيسير التّفسير في7أجزاء، وداعي العمل ليوم الأمل في 4 أجزاء.

وفي الحديث الشريف :

-وفاء الضّمانة في أداء الأمانة، في ثلاثة أجزاء ، وجامع الشمل، و ترتيب التّرتيب.

وفي علوم الشريعة :

- شامل الأصل والفرع، وشرح مختصر العدل، والانصاف، والذّهب الخالص.

وغير ذلك من المؤلّفات التي يتعدّى عددها المائة.

وكان قطب الأئمّة ذا مكانة هامّة في العالم الإسلامي . فقد راسله علماء المشرق ، والمغرب. ومنهم: الشيخ محمّد عبدو واعترف له بسموّ المقام الملوك، والرّؤساء. وقلّدوه النّياشين. فقد أهدى له الملك: عبد الحميد الثاني: سلطان الدّولة العثمانيّة نيشانه العلمي الرّفيع. وكذلك فعل سلطان زنجبار

وأئمّة عمان. وكان ينوطها في صدره عند استقبالاته، اعتدادا بالدّول الإسلاميّة التّي كرّمته بها. أمّا نيشان فرنسا، فيعلّقه في أسفل برنوسه. ولا يبالي به، إهانة للمستعمرين، فإنّ الإسلام يعلو، ولا يعلا عليه.

ونعته العلماء بعدّة أوصاف منها كونه إمام عصره، ووحيد دهره، وعلاّمة أوانه، وفخر زمانه.

فقد سما في سماء العلوم إلى أعلى المنازل. ووصل درجة من العلم، يعجز عن الوصول إليها فطاحل العلماء. فصار بعلمه الواسع قطبا في المعارف . فلقب: بالقطب.

وقد مدحه الشيخ عبد الله الباروني النّفوسي، بقوله:

لو رآه جابر أو مسلم وابن محبوب ومن عنهم حوى
لتغالوا كلّهم في مدحه ونسوا كلّ الذي عنه لوى
يكفيك عن فضله خبر تآليفه لم يأت شخص بها في عصرناأبدا

ومدحه الشيخ محمّد بن شيخان العماني، بقوله:

همام غدا بالمغرب اليوم آية وبالمشرق انقادت إليه الخواطر
أنشاه ربّ العرش أكبر آية في الأرض بهرت أولي الأبصار
وأقامه في العالمين خليفة لا يزال يمحو آية الكفار
وعلت به همّاته هام العلا حتّى استوت بأسوة الأقمار

وقد رثاه الشيخ ناصر بن سالم الرّواحي، بقوله :

ياناعي القطب من ذا قام موقفه فصار قطب مدار العلم والعمل
نعيت فردا أم الدّنيا بأجمعها إنّي أحسّ بدهش شامل جلل
لاغروإن فاضت الأكوان آسفة لفقد فرد على الأكوان مشتمل

توفّي القطب يوم السّبت 23 ربيع الثاني سنة 1332 هـ /1914م –رحمه الله.

إنّها نبذة ممّا يمكن أن نذكر عن حياته التي تتطلّب افراد كتاب خاصّ لترجمتها .

أمّا عن زيارته المباركة إلى جربة فنذكر :
وما إن وصل قطب الأئمّة إلى جربة، حتّى سارع أهلها لاستقباله، وافدين من مختلف الجهات. وقصد جامع الشيخ، أين استقبل بحفاوة لائقة به. وأقيمت على شرفه مأدبة غداء.
ثمّ انتقل إلى الجامع الكبير، بحومة الحشان، ليقضي ليلته بجوار الشيخ إسماعيل الجيطالي، ومن في روضته من العلماء: كالشيخ يوسف بن محمّد المصعبي (ت1188 هـ /1774م)، وإبنه الشيخ محمّد (ت1207 هـ /1792م) والشيخ سعيد بن عيسى الباروني (ت1284 هـ /1867م) -رحمهم الله-.
وبعد أن اجتمع بعلماء أبي مسور، وعلى رأسهم: الشيخ زكرياء، زار القطب مكتبة الجامع الكبير، المملوءة بالكتب النّفيسة.
وفي الغد ألقى درسا للحاضرين. وتناقش معهم في عدّة مسائل. ثمّ زوّد الطّلبة المقيمين بالمدرسة بمعلوماته القيّمة، وبنصائحه الثمينة.
ثمّ ذهب لزيارة ضريح العلاّمة الشيخ محمّد بن عمر بن أبي ستّة المحشي (1022-1088 هـ /1613-1679م) بحومة ورسيغن.
وذلك قبل أن يعود إلى جامع الشيخ بحومة السّوق. ويذهب من هناك إلى طرابلس. ثمّ إلى مكّة المكرّمة، لأداء فريضة الحجّ.

رسالة القطب (1)

الحمد لله وحده. والصّلاة والسّلام على رسول، وآله، وصحبه.
وبعد، فسلام من الكاتب لليلتين مضتا من المحرّم عام 1298 هـ /1881م: آمحمّد بن الحاج يوسف على من سعدت بهما جربة. وعلت، وعزّت، وشرفت، وغلت: الشيخ العلاّمة سعيد، وإبنه الشيخ علي، سلاما يصل نشره حيّان، وقرطبة، وعلى الخواص، والعوام، آمرا لهم بالصّلاة، وصالح الأعمال، وراغبا إليهم أن يصدقوا في الأفعال، والأقوال. وأن يتمسّكوا بمذهب الإباضيّة –الوهبية، المشهور بالحقّ. وقائلا في الشيخ وإبنه، أبياتا :

حبيبان كانا في رضاي وأعذاري ... ولوحفواني في عشيّي وأبكاري
بحبهما والبحث عن خبريهما ... وحاليهما أفنيت معظم أعماري
وإن امرء في عرض وحبه ... على خلف بحر واقطار
مقاسي الام النوى وجوى الهوى ... وأخلاق أشواق وأحراق أفكار
يعلل بالامال نفسا عليلة ... تحني لذات الطوق من بعد أوطار
توالت عليه نكبة بعد نكبة ... أمرّت له الحلوى لا صبر مصبار
سعيد ونجله علي وسابقا ... سمعت بان الشبل من نسل مزار
وان سعيدا عالم هابه المخا ... لفنون جميعا أهل وحضّار
وأنّ عليا عالم متمسك ... ففي دين افكاري وحمتي وأذكاري
حبيبي ربّنا قريب وسامع ... مجيب دعاء من دعاه بأسحار

---

(1) رسالة قطب الأئمّة إلى الشيخ سعيد بن عيسى الباروني وإبنه: الشيخ علي.

علماء مدرسة بوستّة

يوجد مسجد " بوستّة" بحومة سدويكش. وقد بناه الشيخ سعيد أرواي الغيزني -نسبة إلى حومة غيزن- ليقيم، فيه الشيخ محمّد بن أبي ستّة - المحشي- (1022-1088 هـ /1613-1679م) دروسه. لذلك ينسب إليه: "مسجد المحشيّ". وقد جعل مكان زيتونة "عمّي عمر"- نسبة إلى والده الشيخ عمر- الذي كان يلقي الدّروس تحتها .

وأسرة أبي ستّة يرجع أصلها إلى أسرة السّدريني. ومنها تفرّعت عائلتا: ابن يوسف، وابن سالم، بحومة الماي. ورئيسهم: الشيخ أبو القاسم. وقد اشتهر ستّة من أبنائه، وأحفاده، بالعلم، وبالتبحّر فيه. لذلك سمّيت العائلة :"بوستّة".

وكانت بهذا المسجد مدرسة علميّة، من علمائها :

- الشيخ أحمد بن أبي القاسم بن أبي ستّة:

هو الشيخ أبو العبّاس أحمد بن أبي القاسم بن أبي ستّة.

أخذ العلم عن والده: الشيخ أبي القاسم، بمدرسة بوستّة. وعن الشيخ داود بن إبراهيم التّلاتي، بمدرسة القصبيّين.

أبرز تلاميذه :

-إبنه أبو عبد الله محمّد.

توفّي -رحمه الله -سنة 1060 هـ /1650م. وضريحه بروضة المحشي، بحومة ورسيغن.

- الشيخ أحمد بن محمّد بن أبي ستّة:

هو الشيخ أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن أحمد بن أبي ستّة .
أخذ العلم عن والده: الشيخ محمّد، بحومته. ثمّ ذهب إلى مصر. ودرس بالجامع الأزهر، وبالمدرسة الإباضيّة، بالقاهرة. قبل أن يتولّى التّدريس بمدرسة بوستّة.

أبرز تلاميذه :

-إبنه :أبو الرّبيع سليمان.

- الشيخ أبو زيد بن أبي ستّة:

هو العلاّمة الشيخ أبو زيد بن أحمد بن محمّد بن أبي ستّة.
ولد بحومة ورسيغن سنة 1034 هـ /1624م .
أخذ العلم عن والده: الشيخ أحمد، وعن أخيه: الشيخ سليمان، وعن الشيخ المحشيّ، بمدرسة بوستّة. ثمّ ذهب إلى مصر. ودرس بالجامع الأزهر وبالمدرسة الإباضيّة، بالقاهرة. وذلك قبل أن يقوم بالتّدريس بمدرسة حومته. كما تولّى رئاسة مجلس العزّابة .
وكانت له مجالس خاصّة يومي: الأحد والثلاثاء، مع علماء الجزيرة لحلّ المشاكل وإزالة الالتباس، عن القضايا الطارئة.
توفّي- رحمه الله -بعد أداء فريضة الحجّ سنة 1100 هـ /1688م .

وقد ذكره الشيخ سعيد بن يحي الجادوي، في إحدى قصائده بقوله :

لنا سند حاوي الطريقة رادع وقامع أهل الافك من كل خاطل

فخائر سبل العلم صنو لعمدتي أبو زيد نافرد وشيخ الأكامل

فكان بفضل الله عزا لدينه تمسّك بالهدى عديم المماثل

وجملة أهل العلم والدّين وآلتقى أساتذة هذا الدّين دين الفضائل

فلا خير في الدّنيا يزول نعيمها جرائمها تحصى على كل غافل

عليك بتقوى الله زاد لقربة يدوم بقاها في النعيم المواصل

فللملتقى في القبر نور وسعة وبالبرّ والتقوى زوال القوائل

حليف الهدى يهدي المعالي محسن زكيّ نقيّ فائق كل فاضل

قد فات الهدى دين المحققين راجيا ظهور الخطاوالله كافي العوادل

فهذا وصلى الله جن دامسا على المصطفى فخر الكرام المهالل

رسالة الشيخ محمّد المصعبي(1)

بسم الله الرّحمان الرّحيم. والصّلاة على سيّدنا محمّد، وآله، وصحبه.

الحمد لله، المنفرد بالدّوام والبقاء، المنزّه على الأنداد، والأضداد، والشركاء المقدّس عن اتّخاذ الأصحاب، والوزراء، المعبود في أقطار الأرض، وفي أعلى السّماء.
أحمده في السرّاء، والضرّاء. وأشكره على النّعم، والآلاء. سبحانه وتعالى، عن قول الملحدة السّفهاء.
وأشهد أنّ لاإله إلاّ الله، وحده لا شريك له. له شهادة نرجوبها النّجاة يوم اللقاء. وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله وحبيبه، وخليله، ارسله فاصلا بين الأعداء، والأصدقاء. صلّى الله عليه وعلى آله، أهل الشرف، والوفاء.
وبعد، فالكتاب إلى عزّابة الجزيرة، ذوي الهدى، والرّعاية، والبصيرة، المقتفين للكتاب، والسنّة، في الحكم، والسّيرة. من أخوانكم في الله عزّابة بني مصعب الموافقين لكم في الدّين، والمذهب. السّالكين في الطّريق الأصوب. سلام عليكم من لسان كافة "عزّابة القصور". ومنهم:
-الشيخ أبو عمران موسى بن محمّد، والشيخ عبد الرّحمان بن موسى، والشيخ عبد الله بن دحمان، والشيخ أبو القاسم بن يحي، والشيخ عبد الله بن عيسى، والشيخ الحاج عبد الله، والشيخ عبد الله بن زكرياء، والشيخ محمّد بن عمر بن مصار، والشيخ محمّد بن أيّوب، والشيخ أحمد بن موسى والشيخ، أبو القاسم بن موسى بن يحي.
سلام قولا من ربّ رحيم، يعمّ كبيركم، وصغيركم.

وأخصّ بالسّلام الشيخ الأمجد، العالم الشهير: أبا زيد بن أحمد بن أبي ستّة، وجميع المشائخ والتّلاميذ القرّاء، و من اتّبع طريق الهدى.
نصر الله جماعتكم. ورفع لواءكم .وأعاننا، وإيّاكم على الدّنيا، والدّين، واتّباع الحقّ المبين. وجمعنا
وإيّاكم في دار الخلد، مع كافة المسلمين. واخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

(1) رسالة الشيخ محمّد بن أبي القاسم المصعبي، إلى الشيخ أبي زيد بن أبي ستّة.

الشيخ أبو زيد بن أبي ستّة (1)

الحمد لله ربّ اللوح والقلم ربّ العباد العظيم الباريء النّسيم

حمدا يدوم دوام الدّهر والأبد في كلّ حال على الأنعام والنّقم

سبحانه وتعالى جلّ وخالقنا عن التماثيل بالأجسام في الوهم

هو الذي بدا الاشياء واخترع سبحانه منشئ الأشياء من عدم

ثمّ الصّلاة على المختار من مضر محمّد سيد الأعراب والعجم

هو الشّفيع الذي نرجو شفاعته يوم التغابن والحسرات والنّدم

صلّى الإلاه عليه كلّما طلعت شمس وما غربت في الحلّ والحرم

وصحبه ثمّ اله وعترته وكلّ من كان يقفو سيّد الأمم

هذا الكتاب يؤمّ أهل مذهبنا من الجزيرة أولي العلم والحكم

ذوي البصائر لا زالت محبتكم راسخة تنحلّ الأبدان من سقم

منّي سلام عليكم مدّة الأجل يا أهل جربة قولا غير منصرم

يعمّ من كان ذا علم وذا ورع ومن يقلّد في الأفعال والكلم

مني السّلام على الشيخ الفقيه أبي زيد أخي ورع في الدّين والوسم

أراه بحرا محيطا في العلوم له في كلّ فن نصيب وافر القسم

شيخ ذكيّ تقيّ عالم فهم بكلّ وصف رديء غير متّسم

شيخ الجزيرة لا تخفى محاسنه ولا مكارمه ذو المجد والكرم

ثمّ السّلام على كل المشايخ مع جلّ التّلاميذ والقرّا وغيرهم

ممّن يدين بتقوى الله ربّهم حرّا وعبدا إناثا مع ذكورهم

قد حال بعدكم بيني وبينكم فلست مقتدرا أمشي على القدم

حتّى أزوركم والقلب مقترح من شدّة الشّوق لا من شدّة السّقم

لو كان عندي جناح طرت نحوكم فإنّ رؤيتكم تشفي من الألم

وددت لو كنت حاضرا بمجلسكم أجني به من ثمار العلم والحكم

حتّى أفوز بعلم كنت جاهله يجلي الصّدا عن جناح ودجى الظّلم

لكن رضائي بما قضى وقدره ربّ العباد علي غير منحسم

أساله العفو و الغفران مبتهلا بفضله إنّه الغفّار للحرم

يعفو ويصفح عني ما اتيت به من الخطايا التي زلت بها قدمي

والمسلمين جميعا ثمّ يجمعنا في جنّة الخلد والآلاء والنّعم.

---

(1) منظومة الشيخ محمد بن ابي القاسم المصعبي، في الشيخ ابي زيد بن ابي ستّة.

الشيخ ابو زيد بن ابي ستة (1)

أتى النّعي من نحو الجزيرة مخبرا ... بأن ضياء الدّين أضحى معقرا
ونور ذوي الإسلام أصبح كاسفا ... وروض العلوم يابسا حين أقبرا
فيالك من خطب فظيع كأنّه ... على القلب و الأحشاء جمر مسعرا
وذلك أنّ الحبر ذا العلم والتقى ... أبازيد المرحوم قد صار أقبرا
قد أنتحبت عنه السّماوات كلّها ... كذا الأرض والأطواد والبيد والذرا
لقد أظلمت منه المساجد حينما ... تغيب عنها والمجالس والقرى
فمن لليتامى والأرامل جوّعا ... ومن للعداة الضاعنين وخضرا
ومن للغريب فاقد الدّار قاصدا ... إلى داره يلقى القراءة والثّرى
ومن ينصف المظلوم ممن أصابه ... ومن ينقذ المعطوب ممن تحبّرا
ومن لذوي الإسلام يعمل ناصحا ... ومن لذوي الحاجات يقضي مشمّرا
ومن لصلاة اللّيل واللّيل مظلم ... سديف مطير بارد غير مقصرا
ومن للصّيام في الهواجر حينما ... تهيج السّموم في المصيف بلا أمترا
ومن التّلاميذ إن أرادوا تعلّما ... ومن للمسائل الصّعاب مقرّرا
إذا أشكلت في مجلس العلم واختفت ... وعاصمت وصار القوم كلّ محيّرا
رأيت له ذهنا ثقوبا وصارما ... حساما فأجلي ألغي عنها وأظهرا
له همّة تعلو الثريّا وأنّها ... لفي الحقّ أرض ليس في القول مفترا

(1) مرثية الشيخ محمّد بن قاسم المصعبي، في الشيخ أبي زيد بن أبي ستّة.

- الشيخ سليمان بن أحمد بن أبي ستّة:

هو العلاّمة الشيخ أبو الرّبيع سليمان بن أحمد بن محمّد بن أبي ستّة.
ولد بحومة سدويكش سنة 1030 هـ /1621م .
أخذ العلم عن والده: الشيخ أحمد، وعن الشيخ المحشي بمدرسة " بوستّة " وكذلك عن الشيخ عبد الله بن سعيد السّدويكشي. وقد كان قويّ الذّاكرة، وسريع الحفظ. إذ حفظ القرآن الكريم، وعمره ثماني سنين. وحدث أن استعار من أحد أصدقائه ألفيّة بن مالك، في النّحو. فأخذ يكرّر قراءتها، وهو في طريقه إلى منزله. وما إن وصل، حتّى حفظها- رحمه الله-.

من مؤلّفاته:

-حاشية على كتاب الجهالات، للشيخ تبغورين بن عيسى الملشوطي.
-حاشية على كتاب الموجز، لأبي عمّار عبد الكافي.
-رسالة القول الفصل، في صفات الله تعالى .
-رسالة تحرير الخلاف بين المذاهب.
-مجموعة فتاوى.

أبرز تلاميذه:

-أبو عثمان سعيد بن يحي الجادوي.
-أبو الحسن علي بن سالم بن بيان.
-أخوه: أبو زيد.

توفّي -رحمه الله- سنة 1090 هـ /1679م. وضريحه بروضة أبي ستّة، بحومة سدويكش.

علماء مدرسة مسجد الشيخ بالقشعيّين

يقع مسجد الشيخ بحومة القشعيّين -نسبة إلى عائلة القشعي- صاحبة النّفوذ والسّلطة. لذلك انفصلت عن حومة صدغيان. وأصبحت الجهة التي تقطن بها تسمّى باسمها.
وقد بناه سنة 1024 هـ /1615م، الشيخ سعيد بن عمر بن موسى بن جلود: حاكم جربة (1020-1062 هـ /1612-1652م) و جعله شمال منزله.
وكانت به مدرسة علميّة، من علمائها:

- الشيخ سلامة الجنّاوني :

هو الشيخ سلامة بن يوسف الجنّاوني- نسبة إلى بلدة جنّاون- بجبل نفوسة.
أخذ العلم عن الشيخ يونس بن تعاريت (ت915 هـ /1509م)، وعن الشيخ يعقوب بن صالح النّدميرتي، بمدرسة تاجديت.
ثم تولّى التّدريس بمدرسة حومته، إلى أن توفّي- رحمه الله -.

- الشيخ سليمان بن محمّد الباروني :

هو الشيخ أبو الرّبيع سليمان بن محمّد بن علي الباروني. اشتهر منزله بحومة القشعيّين باسم :"دار الشيخ علي " -نسبة إلى جدّه: الشيخ علي .
أخذ مبادئ العلم بجربة. ثمّ انتقل إلى مصر. وأخذ عن الشيخ عمر بن رمضان التّلاتي، قبل أن يتولّى التّدريس بمدرسة حومته. كما تولّى رئاسة مجلس العزّابة .

قال ابن تعاريت :
"كان عالما، ومدرّسا مشهورا. وممّن أفاد النّاس بعلومه رحمه الله".

أبرز تلاميذه :

-أبو يعقوب يوسف بن محمّد المصعبي (ت1187 هـ /1773م).
-إبنه: أبو عبد الله محمّد الذي خلفه في التّدريس .

- الشيخ علي بن محمّد الباروني :

هو الشيخ أبو الحسن علي بن محمّد بن سليمان الباروني .
أخذ العلم عن والده: الشيخ محمّد، بمدرسة مسجد الشيخ بالقشعيّين.
وعن الشيخ محمّد بن يوسف المصعبي، بمدرسة الجامع الكبير.
وذلك قبل أن يتولّى التّدريس بمدرسة حومته.
وكان خطيبا بجامع الشيخ بحومة السّوق.
قال ابن تعاريت :
" ومن صفاته: الجدّ، والصّراحة بالحقّ، والشدّة على العصاة فلا تأخذه في الله لومة لائم".

توفّي، سنة هـ 1209 /1794م- رحمه الله.

1- قصيدة للشيخ أحمد الباروني

تذكار حسن حديثكم أضناني ... وحلول طرسكم لديّ شفاني
فتشرّفت كفّي به وتنافست ... عن فضّه من بعد ذاك بناني
ففتحته ووضعت ختما فاخرا ... ختم له شأن ويا للشّان
كمدت منه محاجري فشفيت من ... رمد العيون وفتحت أجفاني
وكشرت حين رأيت كشر سطوره ... فرحا أزحت بكشرها أحزاني
فقراته وفهمت لبّ خطابه ... مع لحنه علنا على الأخوان
معنى الخطاب يفيد أنّك حاكم ... تستقبل الدّعوات بالغفران
فرفعت للباري أكفّ ضارعة ... أرجو قبولا من عظيم الشّان
خفقت جوانحنا لوصلكم فهل ... لوصالنا خفقت لك الجنحان
آسفا كما قد تأسفون لفائت ... إنّ اللّقاء مقدّر بزمان
إذ كنت في بلد وفيه أخلّة ... ولكم أخ فيه من الأخوان
عمرت مساجدكم بها محاكم ... قد أسّست للفصل كل زومان
وبذرتم الأموال بذر سماحة ... في الله لا لحوائج الإنسان
ماذا تقول فهل رأيت خصالهم ... أم ناقلا أم شأنك الهذيان
فاسال خبيرا عنهم فهم هم ... شمّ الأنوف على ذوي الطغيان
ملكوا البلاد برأيهم وبما لهم ... وصفوا بحسن خصائل الإنسان
وربّت بها أسواقهم بتجارة ... يأوي لها قاصي المكان ودان
ونمت بها أرباحهم فكسوا بها ... عزا لديكم دائما وأمان
حفت عناية ربّهم بهم فقد ... نالوا مقاصدهم بكلّ مكان
لولا العناية ما ستقلوا أمرهم ... ببلاد نائب عابد الصلبان
أو لم يكن لهم أمام يقتدي ... به كلّ قاص أو دان
نارت شموس علومه أقطارنا ... وأضاء نور سناه قطر عمان
فلكم به أهل القصور مزية ... عمت علوا سائر الإخوان
أهل القصور السّبع آل مصعب ... سيماكم التقوى بكلّ مكان
أمّا سجاياكم سجايا ذي النّهى ... بذل النّدى عنا ورفض الفان
غرداية الكبرى بها ما شأنها ... فتداركوها زينة الأخوان
قد اسست قبل القصور على التقى ... والعلم والبركات والإيمان
دم يا أبا بكر أنيس غضنفر ... من للبلاد يجول في الفرسان
نجلا لأيوب المجرد ابترا ... مع سابح لحماية الإخوان
فاقر السّلام عليه بعد وسمه ... مع ابنه عبد العزيز الدّان

ذاك الذي سبقت محبته لنا ... عالي المقام يجود بالإحسان
لولاه ما جبت القرى متسربلا ... ثوب الصّفا بإقامتي وضعان
وكذاك صهرهما ابن مسقط رأسنا ... نبت المكارم سيّد الأقران
من همه بمسائه وصباحه ... احياء مذهبه بكل مكان
من حاز قصب السبق من زمن ... الصّبا وفتى وكهلا شأنه ذي الشّأن
عمر ويوسف حيهم بتحية ... منّي تعميم سائر الإخوان
وعلى أخي عيسى المليكي تحيّة ... لله درّ أخي فصيح لسان
رمت المعالي فقد علوت مطالعا ... تزداد عنه العدل بالخصمان
قد تعتريه الخمس فانظر أيّها ... لك سائغ واحذر من الرّحمان
واسلك سبيل العدل تنج من الرّدى ... وانسج على منوال أهل عمان
أو سيرة القطب الفريد محمّد ... من أعجز العلماء بالبرهان
أهل القرارة نلتم شرفا به ... إذ كان من عند الرّفيع الشان
حلما وزهدا والندايةَ والتقوى ... فرد بمصعب ما له من شأن
دم يا ابا بكر بعزك وانتفع ... بانارة تنجو من الخسران
والأمر بالمعروف حاذر ضده ... واحكم بحقّ الدّاءم الأزمان
ولتنههم في البيع عن محظوره ... نحو الرّبا والغشّ والإيمان
وجب الثناء عليكم أهل الهدى ... سدتم على من ثمّ بالبلدان
وبكل ناد قلتم شرفا على ... سكانه بالصّدق والإحسان
حتى بقيتم فيه ملجا من اوى ... ولقد بقيتم منيةَ الأماني
يا من تعالى وانتهى لعلوه ... من ليس يشغل شانه عن شان
يا ظاهرا يا باطنا يا اخر ... يا أولا من غير بدء زمان
يا خالقا يا رازقا يا باسطا ... يا عالما بالسرّ والإعلان
يا من يرى بالليل ما بالبحر من ... خلق ويعلم عدّة الحيتان
والورق والأشجار والانفاس من ... متنفس والنجم والثقلان
تحصى الجراد وتحصي كلّ النّحل ... والقطر المنزل منك بالميزان
صلّ على الهادي البشير محمّد ... من قادنا شفقا إلى الإيمان
واغفر لإخواني وأهل دياناتي ... والمؤمنين بربّهم والجان
واسكنهم غرفات جنتك التي ... زينتها بالحور والولدان
أنا أحمد الباروني الجاني رجا ... لذنوبه عفوا من المنان
يرجوك عبدك في الرّجا متضرعا ... فامنن عليه ربّ بالغفران

الشيخ شعبان القنوشي:

هو الشيخ شعبان بن أحمد القنوشي. أخذ العلم عن الشيخ يوسف المصعبي (ت1178 هـ /1773م)، بمدرسة الجامع الكبير. ثمّ تولّى التّدريس بمدرسة مسجد الشيخ، بالقشعبين.

من مؤلّفاته:

-القصيدة الجربيّة.

-ديوان شعر في: التّوحيد، والصّلاة، والصّوم، والوعظ.

مجموعة فتاوى.

الشيخ صالح القنوشي:

أخذ مبادئ العلم بمدرسة مسجد الشيخ بالقشعبّين ثمّ ذهب إلى مصر.

وأخذ عن الشيخ عمر بن رمضان التلاتي.

وقد رثاه بقصيدة :

الشيخ صالح القنوشي (1)

وما للتلاتي عنه ولّى سروره ... وفجأة بعد الحبيب وجوده

وأسى رجيما بالمساوي ولايا ... يسجن الشجون العاديات شهوره

وأصبح في ضنك وضيق وذلّة ... إذا بت فؤاد من رعته عصوره

وأدبر أنسا وأقبل حزنه ... وأفل نجمه وغارت بحوره

وأسره البكا ولازمه الرّدى ... وفارقه النّوم اللّذيذ خطوره

وصار يهمّ في الخرائب حائرا ... وصاحبه الكرب المتين جسوره

ويظلّ ينادم الهمّ ويشتكي ... جراحات لبّ موبقات حجوره

وماهي إلاّ من فراق القنوشي ... أبي الفضل صالح الكثير بدوره

لقد كان لي ظلاّ ظليلا وناصرا ... وعونا وحصنا عاليات قصوره

وكم زاد عنّي من تحامل حادث ... وصورة دهر مؤلمات شروره

ووافقني قولا وفعلا وسيرة ... وعنّي ومأربي تولّى فتوره

فيا لهف نفسي من فوات خليلها ... وأشجع أسدها المنير حضوره

فمن لي بليث دابه البطش بالعدا ... ومن لي يقوم في المعالي ظهوره

ومن لي بعده شفوقا مسائرا ... ومن في مصالحتي يجول شعوره
ومن ذا اللذي يأوى ويحمي منازلي ... وتزهو وتنموفي الرّياض زهوره
ومن ذا اللذي يريحني ويعودني ... ويشرح صدري المطبقات مشوره
ومن ذا اللذي يأتي التلاتي بعده ... وتتلى به أبياته وشطوره
ومن بعده يحي المروة والنّدى ... وتظهر في كلّ الأفاق بدوره
به أشرقت شمس التلاتي وربعه ... وأقمر ليله وناحت طيوره
ونال به المرام واهتزّ عطفه ... ومدت عليه في الأنام ستوره
وسيقت له الأفراح والأمن والمنى ... ولانت له أشعاره ونثوره
وفاح له ورد البساتين والرّبى ... وجلت صغاره وغالت نزوره
وبانت علومه وراحت طنونه ... وطال غرامه وحالت نسوره
بوادره تخشى وفضله لا يخفى ... وما لائق الا وفيه سطوره
عزيز على الاقران في كل محفل ... بهيبته التي عليها صخوره
دليل على الاخوان في كل نافع ... يخفض حناحيه العديم دبوره
سريع إلى الهدى بطيء عن الدّنا ... وفي صالح الأعمال طال عبوره
لعمري أنّه دواء جنوده ... وسمّ على قوم غشاه ثبوره
يواسي الصّفات والمساكين بالعطا ... ويمحي به عن العثير عثوره
نقيّ الرّداء واللّباس ومركب ... ومن أفخر الأقوات كان فطوره
وسيع الدّيار والمتاع ومشرب ... نظيف طعامه لذيذ سحوره
رئيس شرود عن جرائم وقته ... غنيّ بربّه بريء حجوره
وماله في الورى مثيل ولا يرى ... عقيبه شخص في السّخاء نشوره
عزائمه مثل النّجوم والثواقب ... وبسط نظامه محال صدوره
وما القول في حرّ أفاد مكارما ... وشاعت حسانه وفاحت قدوره
وسارت به الرّكبان شرقا ومغربا ... وسدّ به عن المعاني ثغوره
تنزّه عن فعل المعيب وقوله ... وفي البيع والشرّ تناهت دهوره
عليه من الرّحمان سحب رحائم ... وروح جنان وافرات أجوره
إلاهي صبرا للتلاتي شافيا ... من هذا الفراق الواقدات جموره
وعلما وراحة وعزا وثروة ... لعبد ضعيف في الرّجاء ونوره
وصل وسلمن على خير من أتى ... نبيّا ومرسلا زكيّا عطوره
وآل وصحبه ورسل والأنبياء ... ومن هو تابع تمام شكوره

---

(1) مرثيّة الشيخ عمر التّلاتي، في الشيخ صالح القتوشي.

علماء مدرسة بوليمان بصدغيان

يقع مسجد بوليمان بحومة صدغيان التي تحتوي على عدّة جهات، منه:
-جهة تاينخت :وتمتدّ من مسجد بوليمان إلى مسجد سعيد بن صالح.
-جهة تشكنونت : وتمتدّ من مسجد القائد إلى مسجد فضلون.
-جهة سدّ الوادي : تمتدّ من مسجد الحاجة اللّؤلؤ إلى كوشة الهنشير.
-جهة البورج: من مسجد أورير إلى الدّخلة.
-جهة سعيد بن صالح: من المدرسة الإبتدائيّة إلى مسجد سعيد بن صالح.
-جهة مسجد بن يخلف.
-جهة مسجد بن داود.
وكانت هذه الحومة تشمل كلاّ من: غيزن، ومزراية، وفاتو، وقشعيّين.
وتضمّ عدّة مساجد قديمة، بنيت على خطّين:
- خطّ شمالي به: مسجد تاجديت، ومسجد بوليمان، ومسجد تلاكين، ومسجد مدراجن، ومسجد الهوّاري.
- خطّ جنوبي به: مسجد بن يخلف، ومسجد المرابط حنيني، ومسجد المرابط أبي القاسم، ومسجد بني داود، ومسجد الخوش، ومسجد الحاجّة اللّؤلؤ ومسجد بني معزوز، ومسجد تيغرغار، ومسجد فضلون.
ومسجد بوليمان بصدغيان- نسبة إلى بانيه- من عائلة بوليمان، بحومة جعبيرة ولهم مسجد هناك، بنفس الاسم.
بني في أوائل القرن 10 هـ /16م، مستطيل الشكل لا تتجاوز مساحته 10مترا مربعا. ولمّا ضاق بالمصلّين، زيد فيه. وبقي محرابه القديم على حاله، إلى الآن وقام الحاج علي بن حمزة بن تعاريت: رئيس البنّائين، في ذلك الوقت، بالاعتناء به. فجعل فيه قببا، وأعمدة رخاميّة، ومأذنة مرتفعة: عدد درجاتها 73. فأصبح

في هيئة جميلة، وفريدة من نوعها، بجربة. وتمّ ذلك سنة 1190هـ/1776م. وكانت به مدرسة علميّة، من علمائها:

- **الشيخ أبو حفص مكناس:** وإليه تنسب عائلة بن حرزالله، بحومة والغ.

- **الشيخ أبو القاسم المكناسي:** وإليه ينسب مسجد المرابط بلقاسم، بحومة صدغيان.

- **الشيخ موسى بن علي الباروني :**

هو العلاّمة الشيخ أبو عمران موسى بن علي بن محمّد بن سليمان الباروني .

أخذ العلم عن الشيخ محمّد بن يوسف المصعبي، بمدرسة الجامع الكبير. ثمّ ذهب إلى تونس. ودرس بجامع الزّيتونة. وأصبح يشار إليه بالبنان. وذلك قبل أن يتولّى التّدريس بمدرسة بوليمان، بصدغيان. فاجتمع حوله الطّلبة، من داخل الجزيرة، ومن خارجها. وجدّ واجتهد. وأدّى رسالته على أحسن وجه.

توفّي- رحمه الله- سنة 1234 هـ /1819م. وضريحه بروضة جنوب مسجد بوليمان، بحومة صدغيان.

مناظرة مع السّنّاري (1)

قال ابن تعاريت :

حدّثنا شيخنا سعيد بن عيسى الباروني. قال " أتى إلى جربة، سنة 1230 هـ /1815م، عالم مصري يقال له: أحمد السّناري. وقصد السّوق الكبير. وقد جاء باحثا، ومجادلا. فسأل عن العلماء. فدلّ على القاضي، والمفتي. ولكن لم يجد عندهما علما. فسأل عن غيرهما. فدلّ على الشيخ سعيد بن عيسى الباروني بالجامع الكبير. فذهب إليه. ووجد معه الشيخ موسى المترجم له. وبدأ السّناري يسأل. والشيخ سعيد يجيب، إلى أن كلّ هذا الأخير. وذهب ليستريح. وترك مكانه للشيخ موسى، الذي أجاب على كلّ أسئلة السّناري. فسلّم له. وشهد له بغزارة العلم، قائلا: " هذا هو العالم الفقيه ".

وقد دامت هذه المناظرة: من بعد صلاة العشاء إلى ما قبل صلاة الصّبح.

ولمّا ذهب السّناري إلى تونس، جادل علماء جامع الزّيتونة. وقال لهم:

" لم أجد العلم إلاّ في جربة " .

---

(1) مناظرة الشيخ موسى الباروني، مع السّناري .

- الشيخ يوسف بن علي الباروني:

هو الشيخ أبو يعقوب يوسف بن علي بن سعيد الباروني .
أخذ العلم عن والده: الشيخ علي، بمدرسة الجامع الكبير. ثمّ تولّى التّدريس بمدرسة بوليمان، بصدغيان، من سنة 1314 هـ /1896م، إلى سنة 1330 هـ /1912م -رحمه الله.

- الشيخ سعيد بن علي بن تعاريت :

هو العلاّمة الشيخ أبو عثمان سعيد بن علي بن حمزة بن يونس بن يحي بن تعاريت .
ولد بحومة صدغيان، سنة 1289 هـ /1872م.
تعلّم المبادئ. وحفظ القرآن الكريم بمدرسة بوليمان، بحومته. ثمّ ذهب إلى تونس. ودرس بجامع الزّيتونة. حيث تحصّل على شهادة "الاشهاد" ، وشهادة "التّحرير" .
وفي سنة 1315 هـ /1895م، ذهب إلى جبل نفوسة. وأخذ عن الشيخ عبد الله بن يحي الباروني، بيفرن. وعرف هناك: بالجدّ، والاجتهاد، والحزم، والشّجاعة، والجرأة، وحبّ المجادلة، والمحاورة. وحدث أن طالب عالم غرياني الشيخ عبد الله، للجدال في المسائل الخلافيّة. فذهب إليه المترجم له. وتجادل معه وهزمه. وذلك بزاوية السّنوسية، بالقلعة. ولمّا عاد. قال لشيخه عبد الله :" لقد كفيتك المؤونة مع الغرياني. فقال له: "كيف تذهب إليه من غير إذني" ؟
فأجاب بما يلي :" لو استاذنتك لما أذنت لي . فذهبت إليه وحدي حتّى لو انهزمت فإنّما انهزم تلميذك، لا أنت ".
ثمّ ذهب سنة 1316 هـ /1898م، إلى وادي ميزاب. وأخذ عن قطب الأئمّة: الشيخ محمّد بن يوسف طفيّش، ببني يزقن، بوادي ميزاب .

ولمّا عاد إلى جربة سنة 1317 هـ /1899م، دعاه صديقه الشيخ علي الكاتب للتّدريس بمدرسة" مسجد الكاتب "، بحومة المحبوبيّين. ثمّ تولّى التّدريس بمدرسة بوليمان، بحومته.
وفي سنة 1328 هـ /1910م، انتقل للتّدريس بمدرسة تيلوين المشهور:" بجامع المجلس"، بحومة قلالة . ثمّ درّس بمدرسة مسجد القايد، بحومة صدغيان .

من أهمّ مؤلّفاته :

- كتاب المسلك المحمود في معرفة الرّدود. طبع بتونس، طبعة حجرية سنة 1316 هـ /1898م .

توفي، ليلة الخميس في شهر أوت سنة 1356 هـ /1936م- رحمه الله.

- الشيخ امحمّد بن يوسف بن تعاريت:

هو العلاّمة الشيخ أبو عبد الله امحمّد بن يوسف بن سعيد بن تعاريت.
ولد بحومة صدغيان سنة 1298 هـ /1880م.
أخذ المبادئ بمدرسة بوليمان، بحومته. ثمّ ذهب إلى تونس. ودرس بجامع الزّيتونة. وتحصّل على"شهادة التّطويع" سنة 1328 هـ /1910م .
ثمّ ذهب إلى وادي ميزاب. ولازم دروس قطب الأئمّة: الشيخ محمّد بن يوسف أطفيّش الذي عزّ عليه فراقه.
فأنشد فيه هذا البيت :

وكلّ ملمّات الزّمان وجدتها سوى فرقة الأحباب هيّنة الخطب

وذلك قبل أن يتولّى التّدريس بمدرسة بوليمان، بصدغيان.
وقد حضرت جلّ دروسه.
وكان له مجلس علميّ خاصّ مع الشيخ رمضان اللّيني، والشيخ يحي المعدّي والشيخ عمر بن إبراهيم بن مرزوق، كلّ نصف شهر، بمسجد الشيخ، بحومة وادي الزّبيب.
وممّا يؤثر عنه القيام بدروس الوعظ، والارشاد، والافتاء، في سهرات المناسبات، بعد ختم القرآن الكريم. كما هي العادة إلى الآن.

توفّي في شهر أفريل سنة 1369 هـ /1949م -رحمه الله- .

علماء مدرسة القبليّين

مسجد القبليّين – نسبة إلى مكانه بالجهة الجنوبيّة– من حومة قلالة. أسّسه الشيخ أبو العبّاس أحمد بن سالم الغول، سنة 1154 هـ /1741م. وجعل به مدرسة علميّة، كان من أوّل المدرّسين فيها.

وقد أخذ الشيخ أحمد العلم عن والده: الشيخ سالم الذي أخذ بدوره عن الشيخ صالح بن منصور، وعن الشيخ محمّد بن عمر بن أبي ستّة بمدرسة القصبيّين.

ثمّ ذهب إلى مصر. ودرس بالمدرسة الإباضيّة، وبجامع الأزهر، بالقاهرة .

وخلفه إبنه :أبو البركات رمضان.

– الشيخ رمضان بن أحمد الغول :

هو العلاّمة الشيخ أبو البركات رمضان بن أحمد بن سالم الغول .

ولد بحومة قلالة سنة 1150 هـ /1737م .

أخذ العلم عن الشيخ عمر بن رمضان التّلاتي بالمدرسة الإباضيّة، وبالجامع الأزهر، بالقاهرة. ونسخ هناك كتاب" التّرتيب"، في شهر جمادى الأولى سنة 1190 هـ /1776م، وشرح شيخه على "النّونيّة "، في شوال سنة 1197 هـ /1782م. وكذلك كتاب" الضّمانات "من الدّيوان، في شهر ذي الحجّة سنة 1200 هـ /1785م ثمّ تولّى التّدريس بمدرسة القبليّين.

وكانت بينه وبين شيخه، رسائل ودّ وصداقة، محمّلة بقصائد مدح وثناء، منها:

أديب لبيب بالبهاء متوج — نجوم حسانه أنارت إنارتا

ومن ثغره تبدو لآلي عقوده — منقحة لم تحو يوما ركاكتا

طليق لسانه ذكي فؤاده — والفاظه بالطبع تأبى قلاقتا

وليس بنحوي يلوك لسانه — ولكن سليقي يبيّن إبانتا

بما حازه من المعاني تنزها — تلام له من أن يحوز غرابتا

ثمّ تغيّرت العلاقة بينهما. وتبدّلت الصّداقة عداوة ، نتيجة انتقادات، صدرت من الشيخ رمضان الغول في شيخه ، نقلها بعض التلاميذ الذين ينتقلون بين جربة والقاهرة .
فنظّم الشيخ عمرو التّلاتي قصيدة ، يذمّ فيها تلميذه الشيخ رمضان الغول، منها :

إلاّ انه ابدى عداوة آخر — وأمسى مشاجرا وشن إغارتا

وباينني قولا وفعلا ومسندا — وبدل بي قوما أهانوا إهانتا

وشافهني بالسّوء غير مرّة — ودان بذلك الأنام وقايتا

وأبدل بالنّور الظّلام وبالهدى — ضلالا مبيّنا نال فيه جراحتا

وكم سار بي إلى العداء متبجّحا — بهجري ورمى بالقبيح ضلالتا

أغرته أكلة السّماني غرة — وظن ذمامه يدوم بضاعتا

ايا سيبويه يا علامة عصره — تذكر عهودا سالفات وعادتا

واحي رميم الود يا خير وقته ... وعد ثمّ جد تداوي شكايتا

الا يا ابن غول ما لقبك ساليا ... وداد رفيق في المعالي منارتا

فكم مرة اتفلت في الوجه قاصدا ... وكم مرّة انشدت شعرا سماجتا

فكم لي من نصح قديم وحادث ... وكم لك من وال افاد خسارتا

إذ قلت عجلن اتيت مؤخرا ... وإن قلت شمرن سنمت سامتا

إذ كنت ناهيا تكون مبادرا ... وإن كنت فاعلا أتيت إمارتا

إذا بت راضيا غدرت مغاضبا ... وما العمر فعلتي اجزت إجازتا

إذ كنت مقبلا تكون موليا ... وما قطّ قد رأيت منّي رداءتا

وناقضتني جندا يمينا ويسرة ... وفي كلّ يوم تستفيد استفادة

وكم تبت مشغولا بشانك ساهرا ... وكم قد دفعت في الوصال مفازتا

وكم لي من سحر وسرّ وحيلة ... وكم قد سلكت في القاء مسافتا

وربيته حتّى إذا ما تركته ... أخ القوم واستغنى وجاز فضاعتا

توليت عنّي بالقبيح مخاصما ... وأعظمت نفسا مظهرا لي فخامتا

وكنت كفيء الظلّ بينا يظلني ... ويعجبني إذ زعزعته عجاجتا

ستبدي لك الأيّام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار أهل بخارتا

بحبّك قد صرت في كلّ مجلس ... وما الدّهر قد شاهدت منك دلالتا

أغرتك أيّام الفراغ مع الصّبا ... ولم تدر أنّ ما لديها دمامتا

أضلتك أهل الزّهد باللّفظ في القرى ... فظلت تسيح في الضّلال سباحتا

-الشيخ أحمد الثاني بن رمضان الغول:

هو العلاّمة الشيخ أبو العبّاس أحمد الثاني بن رمضان بن أحمد بن سليمان الغول.

أخذ العلم عن والده: الشيخ رمضان بمدرسة القبليّين، وعن الشيخ محمّد بن يوسف المصعبي، بمدرسة الجامع الكبير. ثمّ تولّى التّدريس بمدرسة حومته. وكذلك بمدرسة القائد، بحومة صدغيان. وقام بمهامه أحسن قيام. وتخرّج على يده جيلا عاملا للدّنيا، والآخرة.

توجّه إلى مكّة المكرّمة لأداء فريضة الحجّ سنة 1234 هـ/1835م. وتوفّي في تلك السّنة -رحمه الله-.

ومن علماء مدرسة القبليّين نذكر أيضا:

- الشيخ أبو الربيع سليمان بن صالح بن أحمد بن عمر بن منصور:

ولد سنة 1251 هـ /1835م بحومة قلالة.

أخذ المبادئ بجربة. ثمّ ذهب إلى مصر للدّراسة بالمدرسة الإباضيّة، وبالجامع الأزهر، بالقاهرة . ونسخ هناك كتاب السّير للشمّاخي، سنة 1263 هـ /1846م.

-الشيخ أبو عبد الله محمّد بن يحي بن منصور:

أخذ العلم عن الشيخ محمّد بن يوسف المصعبي (تـ1207هـ/1792م)، بمدرسة الجامع الكبير.

قال ابن تعاريت :

"كان فقيها، عالما، وأديبا رزقه الله حظّا وافرا من الذّكاء والفهم، والحفظ.

توفّي سنة 1273 هـ /1856م- رحمه الله-.

علماء مدرسة بن ويران

مسجد بن ويران- نسبة إلى عائلة ابن ويران- بحومة آجيم. ولها فروع في حومتي سدويكش، وصدغيان.
بني في أوائل القرن 9 هـ /15م. وتكوّنت فيه مدرسة علميّة، من علمائها :

- الشيخ أبو العبّاس أحمد بن سعيد بن ويران (ت1083هـ /1673م):
كان له وقف ملاصق لجامع طولون، بالقاهرة. حبّسه على الطّلبة، هناك- رحمه الله-.

- الشيخ أبو عفيف صالح بن محمّد بن ويران :
نسخ له تلميذه: الشيخ أحمد بن أبي القاسم بن محمّد النّفوسي كتاب "اللام "في شهر ربيع الأوّل سنة 1060 هـ /1650م .

- الشيخ أبو الفضل قاسم بن يحي بن ويران:
قال الحيلاتي :
"كان عالما، متضلّعا في فنون العلوم. وخاصّة علم المنطق وغاية في المعقول، وخاصّة علم الميزان ".
وقال آبن تعاريت :
" وفد على جربة عالم من مصر. وعرضت عليه رسالة الشيخ قاسم الويراني التي وضعها في شكل أسئلة : في قضايا عقليّة، ومنطقيّة فنظر فيها. وتأمّل. ولكن، عسر عليه فهمها، وحلّ مشاكلها، حتّى

من مؤلّفاته :

-شرح على المنظومة النّونيّة في أصول الدّين، للشيخ أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي .

-تعليقات على جزء المعاملات من كتاب الإيضاح، للشيخ عامر الشمّاخي.

-رسالة في المنطق .

-رسالة في المسائل الخلافيّة .

توفّي-رحمه الله -سنة 1073 هـ /1662م. وضريحه بروضة جنوب منزله بحومة آجيم .

- الشيخ عمر بن ويران :

هو الشيخ أبو موسى عمر بن أحمد بن سعيد بن ويران .

أخذ العلم عن والده: الشيخ أحمد، بمدرسة بن ويران. ثمّ اشتغل بالتّدريس فيها.

وفي سنة 1110 هـ /1698م، ذهب إلى مصر، للدّفاع عن أملاك والده، هناك. حيث ادّعى أحدهم ملكيّة بعضها. فتبيّن للمترجم له أنّ المدّعي أدلى بشهادة مزيّفة. وسانده في ذلك كلّ من: الحاج يحي بن محمّد الجملي، وعبد الرّحمان بن سليمان، التّاجرين بطولون، بالقاهرة .

- الشيخ محمّد بن أحمد بن ويران:

هو الشيخ أبو عبد الله بن محمّد بن أحمد بن سعيد بن ويران .

أخذ العلم عن والده: الشيخ أحمد، بمدرسة حومته. ثمّ ذهب إلى مصر. وأخذ عن الشيخ عمر بن رمضان التّلاتي بالجامع الأزهر، وبالمدرسة الإباضيّة بالقاهرة . ثمّ تولّى التّدريس بمدرستهم، إلى أن توفّي في شهر محرّم سنة 1143 هـ /1730م -رحمه الله-.

- الشيخ عمر بن ويران :

هو الشيخ أبو حفص عمر بن علي بن ويران.

درس المبادئ بحومته. ثمّ أخذ عن الشيخ محمّد بن زكرياء الباروني، بجبل نفوسة. وعن الشيخ محمّد بن عمر بن أبي ستّة بالجامع الأزهر، بالقاهرة. ونسخ هناك، حاشية شيخه المحشيّ على القواعد سنة 1067 هـ /1657م .

وذلك قبل أن يشتغل بالتّدريس بمدرستهم .

من مؤلّفاته :

-كتاب مناسك الحجّ .

-حاشية على كتاب النّكاح ،لأبي زكرياء يحي الجنّاوني .

-حاشية على جزء البيوع من كتاب الإيضاح، للشيخ عامر الشمّاخي.

-مجموعة فتاوى .

أبرز تلاميذه :

-أبو يعقوب يوسف بن محمّد المصعبي .

توفّي سنة 1085 هـ /1675م- رحمه الله -.

علماء مدرسة المثانية

ينسب مسجد المثانية إلى عائلة المثني، بحومة آجيم، لاعتنائها به . وقد بني في أوائل القرن 4 هـ /10م، من طرف الشيخ امحمّد المثني، المشهور: "ببوسبعة" (1).
ويحتوي على بيت للصّلاة مستطيلة الشكل، بطول 11.5 م، وعرض 6.5م ومرتفعة بارتفاع 4.5م، وعلى رواق بطول 12.5م، وعرض 4.5م. ويوجد غربيه كهف لخزن محصولات الأوقاف من زيت وحبوب. كما يحيط به خمسة صهاريج.
وتأسّست به مدرسة علميّة، من علمائها المتأخّرين نذكر :

- الشيخ أحمد بن سعيد المثني:

هو الشيخ أبو العبّاس أحمد بن سعيد المثني .
أخذ العلم عن والده: الشيخ سعيد، بمدرسة المثني. وعن الشيخ سليمان بن عمر بن بلقاسم الشمّاخي، بمدرسة ليمس. ثمّ تولّى التّدريس بمدرستهم .

أبرز تلاميذه :

- أبو حفص عمر بن أحمد المثني (1080 هـ /1670م).
- أبو عفيف صالح المثني .
- إبنه: أبو الفضل قاسم .

-الشيخ قاسم بن أحمد المثني:

هو الشيخ أبو الفضل قاسم بن أحمد بن سعيد المثني.
أخذ العلم عن والده: الشيخ أحمد،بمدرسة حومته .ثمّ ذهب إلى مصر .وأخذ عن الشيخ عمرو بن رمضان التلاتي بالجامع الأزهر، وبالمدرسة الإباضيّة، بالقاهرة وذلك قبل أن يتولّى التّدريس بمدرستهم.
ثمّ انتدبه القائد حميدة بن عيّاد، للتّدريس بمدرسة "مسجد القايد" الذي بناه سنة 1200 هـ /1785م، بحومة صدغيان.

- أبرز تلاميذه:

إبنه أبو عفيف صالح الذي خلفه في التّدريس.

-الشيخ قاسم بن صالح المثني:

هوالشيخ أبو الفضل قاسم بن صالح بن قاسم المثني .
أخذ العلم عن والده: الشيخ صالح، بمدرسة المثني. ثمّ التحق بمدرسة الجامع الكبير.
وأخذ عن الشيخ محمّد بن يوسف المصعبي .
وفي سنة هـ 1180 /1766م ، ذهب إلى مصر. وأخذ عن الشيخ عمر التلاتي، هناك .
ثمّ تولى التّدريس بمدرستهم، إلى أن توفّي في شهر ذي القعدة سنة 1249 هـ /1834م.- رحمه الله-.
وخلفه إبنه: أبو عبد الله محمّد.

---

(1) اشتهر ب"بوسبعة " لأنّه ذهب إلى الحجّ: سبعة مرّات.

علماء مدرسة الباسي

يقع مسجد الباسي شمال حومة والغ. وينسب إلى العائلة التي أسّسته. وأصلها من مغراوة، من نسل عبد القويّ بن الباسي .
بناه أبناء الحاج يحي الباسي: سالم، ومحمّد، وعثمان، سنة 1197 هـ /1782م.
ويحتوي على: بيت للصّلاة مربّعة الشكل: طول ضلعها 16م. ومأذنة يبلغ عدد درجاتها 63 درجة، ومكتبة، وبيوت للطّلبة، ومسكن للمدرّس.
و به مدرسة، من المدرّسين بها:

- **الشيخ أبو القاسم بن عمر الباروني:** كما كان يدرّس كذلك بمدرسة تيفورجين .
-**أخوه الشيخ صالح** :عضو مجلس العزّابة سنة 1246 هـ /1831م .
- **الشيخ سعيد بن عبد الله بن يحي الباروني.**
-**إبنه: الشيخ يحي** (1275 هـ /1858م) ،أخذ العلم عن الشيخ قاسم بن سليمان الشمّاخي .
-**إبنه :الشيخ عبد الله** (1290 هـ /1873م) .
- **الشيخ عمر بن إبراهيم بن مرزوق:**
إشتغل بالتّدريس بهذه المدرسة بعد أن كان مدرّسا بمدرسة بن يعلى، بحومة بني ديغت-الرّياض حاليا-

وقد حضرت دروسه هناك. وممّا درسته: ألفيّة ابن مالك في النّحو، إلى جانب مادّة الفقه. وممّن درس معي:

-أبو الحسن علي بن يعلى، وأخوه أبو زكرياء يحي، وأبو الحسن علي بن قاسم بن عبد الله، وغيرهم.

وسبب تنقل الشيخ عمر بن مرزوق للتّدريس بمدرسة الباسي، يعود إلى أنّ أهل الرّأي بالجزيرة اجتمعوا، بجامع الشيخ، بحومة السّوق. وتدارسوا وضع الطّلبة والعلماء. ففكّروا في جعل مدرسة الباسي متخصّصة في تدريس الأصول والتاريخ، وعلوم العربيّة . وذلك لاتّساعها، وكثرة بيوت الطّلبة فيها، وابتعادها عن ضوضاء السّكان. وممّن حضر هذا الاجتماع:

-الشيخ محمّد بن يوسف بن تعاريت.

-الشيخ رمضان اللّيني.

-الشيخ يحي المعدّي .

-الشيخ علي المثني .

-الشيخ عمر بن إبراهيم بن مرزوق.

وكنت بحمد الله أوّل المسجّلين فيها، إلى جانب الطّلبة الآتي ذكرهم:

- أبو حفص عمر بن رمضان القلاع .
- أبو البركات رمضان بن صالح المعدّي، وميلاد بن علي المثني .
- أبو حفص عمر بن رمضان بن جمعة.
- أبو النّجاة يونس بن قاسم المثني، من حومة آجيم .
- أبو حفص عمر بن يحي بن عمر، من حومة التلات.
- أبو عبد الله محمّد بن منصور، وجمعة بن عيسى، من حومة قلالة.
- عمر بن تازيري، من حومة سدويكش.
- أبو عفيف صالح بن أحمد بن ميمون، من حومة والغ.
- أبو حفص بن محمّد بن تعاريت، من حومة صدغيان.

وكان كلّ طالب يتلقى إعانة ب40 فرنكا، في الشهر. والمدرّس يتحصّل على ألفي فرنك، في السّنة. أمّا مقدار ما تمّ جمعه من المال، فبلغ عشرة آلاف فرنك، في العام الأوّل، لتكوين المدرسة. وأكبر قسط دفعه صالح بن صالح ويبلغ خمس مائة فرنك.
وكانت إقامتنا بهذه المدرسة تدوم خمسة أيّام: من يوم السّبت صباحا، إلى يوم الإربعاء بعد العصر. وكلّ ليلة إربعاء نقيم سهرة ثقافيّة، احتفالا بنهاية الأسبوع الدّراسي. ويتخلّل الحفل تنشيط بالأناشيد، والشعر، والحكم، وغيرها.
ويحضر معنا المدرّس الشيخ عمر بن مرزوق، ومقرئ القرآن الكريم: الفقيه محمّد زكري.
ومن الكتب المعتمدة في الدّراسة :
-منظومة مخارج الحروف، في القرآن الكريم.
-المنظومة الجادويّة وشرحها ،في الفقه. وكذلك كتاب الوضع .
-شرح الشيخ خالد على الأجروميّة، في النحو .
-"القطر" لابن هشام.

الشيخ أبو حفص عمر بن إبراهيم بن مرزوق:

ولد بحومة والغ يوم 15 أفريل 1310 هـ /1890م.
حفظ القرآن الكريم في كتّاب جهته. ثمّ انتقل مع أخيه: حميدة، إلى مصر. حيث اشتغلا في التّجارة، بمدينة الفيّوم.
وذات يوم ذهبا إلى وادي النّيل ،على ظهر فرس. فأسقطهما في الماء. وكانا لا يحسنان السّباحة. فكادا يغرقان، لولا رجل صعيدي أنقذهما. وإثر هذه الحادثة، أحسّ المترجم له بوجع في عينيه. فاستعمل دواء عرضه عليه أحد المتطبّبين ففقد بصره بسببه.

ثمّ أدخله خاله إلى مدرسة الفيّوم. ولمّا لاحظ عليه قوّة في الذّكاء، والحفظ والفصاحة ،أرسله إلى جامع الزّيتونة سنة 1333 هـ /1914م. فكدّ. واجتهد. وحفظ فنون الكتب.

وكان يحضر كذلك دروس الشيخ :عمر العوّام الآجيمي (ت1335-1916م) بمدرسة جامع الهنتاتي، بتونس .

ثمّ عاد إلى جربة .واشتغل بالتّدريس في عدّة مدارس :

-مدرسة الملاّق.

-مدرسة الماي.

-مدرسة بن يعلى.

-مدرسة الباسي.

وكان من عادته القاء الدّروس ،في المناسبات .

توفّي -رحمه الله- يوم 20 جمادى الثانية سنة 1381 هـ /28 نوفمبر سنة 1961م. وضريحه بروضة قرب منزله، بحومة والغ.

علماء مدرسة بني داود

مسجد بني داود أو "محراب لواتة" كما كان يسمّى- نسبة إلى قبيلة لواتة- يقع في حومة صدغيان القديمة، التي هجرها أهلها لملوحة الماء بها. وانتقلوا إلى الجهة الجنوبيّة -الغربيّة، حيث المياه العذبة. بني في أواخر القرن 4 هـ /10م، من طرف الشيخ: أبي عثمان سعيد بن الحاج يحي وكانت به مدرسة علميّة، من المدرّسين فيها:

-الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن يحي بن زكرياء بن عبد الرّحمان التّندميرتي

-نسبة إلى بلدة تندميرة- بجبل نفوسة.

نسخ ثلاثة أجزاء من كتاب الدّيوان، في ربيع الأوّل 980 هـ /1476م .

- الشيخ سليمان بن محمّد بن يوسف الصّدغياني:

نسخ كتاب الضّياء في شهر ذي الحجّة سنة 1080 هـ /1670م.

- الشيخ عمر بن سليمان بن الحاج يحي:

هو الشيخ أبو حفص عمر بن سليمان بن الحاج يحي .

أخذ العلم عن الشيخ قاسم بن سليمان الشمّاخي، بمدرسة بوليمان بصدغيان وعن الشيخ سعيد بن عيسى الباروني، بمدرسة الجامع الكبير. ثمّ ذهب سنة 1237 هـ /1821م، إلى مصر. ودرس بالجامع الأزهر، وبالمدرسة الإباضيّة بالقاهرة.

ثمّ رجع إلى جربة. وتولّى التّدريس بثلاثة مدارس :
-مدرسة بوليمان.
-مدرسة تلاكين.
-مدرسة بني داود.

توفي -رحمه الله- سنة 1280 هـ /1863م.

ورثاه شيخه قاسم بن سليمان الشمّاخي، بقوله :

من لابن داوود شهر الصّوم يلزمه تلاوة الذّكر والاحسان والخول
ومثل ذاك أبو الإيمان عمّره درسا وفهما وبحثا غير ذي كسل
من للمشائخ من للعلم يطلبه ومن لطالب حفظ الذّكر ذي أمل
من للقناطر من للعدل من لهما من للقواعد والإيضاح ذي الخلل

ويقصد بابن داود : مسجد بني داود .
وبأبي الإيمان : مسجد بوليمان، بحومة صدغيان.

الشيخ عيّاد بن أبي القاسم الدّجوي:

درس بجامع الزّيتونة، بتونس.
له قصيدة كتبها هناك، سنة 1309 هـ /1892م .
وقد تولّيت التّدريس بهذه المدرسة من سنة 1360 هـ /1940م إلى سنة 1390 هـ /1970م.

منظومة للشيخ عيّاد بن قاسم الدجوي

الحمد لله ربّ لا شريك له — سبحانه واحد ذو الملك والمكمل
ثمّ الصّلاة على النّبي سيّدنا — محمّد صادق الأقوال والفعل
ثمّ الرّضا عن أبي بكر وعمر — أهل التّقى والوفا وكلّ مهلّل
إنّي غريب عن الأوطان منفردا — كالأسد في أقصى القفار والجبل
قد لم الشّيب بنا من غير أوقاته — من أجل غربتنا والقلب منهزل
أهلا بما قد اتى من ربنا مرحبا — يا ربّ هب لي الرّضا والصّبر والمنعزل
كلّ غريب بعيد الوطن منفردا — فكن له حافظا من سائر المغتل
يا ربّ رد غربتي لجاهك ارتجي — للوالدين والأخوان تنتقل
وقلبي معشوق يحبّ الوالدين — وبرّهما احفظني من سائر الزّلل
يا مالك الملك فرّج لهما آلاما — واشفهما من سائر العمل
فقد دعاني عبيد الله ملتجا — إليك يا سيّدي تبلغ له الأمل
بحرمة المصطفى يكون ذا عاجلا — بجاه ما أنزل عن أفضل الرّسل

إنّي أريد بذا علما ومنفعة ... من الله له الخالق في النّحو والأصل

بجاه سيّدنا محمّد المرتضى ... ترشدني للوفاء والعلم والعمل

يكون ذخرا في دار لا فناء لها ... لنا ولكلّ من أقرّ بالرّسل

العلم أفضل شيم هو يطلبه ... الله شرف أهل العلم والعمل

أسكنهم في قصور لا نظير لها ... قد جاوروا الأنبياء وسائر الرّسل

العلم منفعة والنّحو زينة ... يا ربّ نلنيها بعزّة الجلل

من أخذ العلم من أربابه النّبلاء ... قد حاز موثه من سائر الرّسل

إن كان ممثلا لله خالقه ... قد حاز ثمرته وصار معتدلا

يا ويل من كان في عصيانه مبدلا ... لما قضى ربّه وزاغ للزّلل

ياربّ ترزقني شكرا وقناعة ... عن نعمة قد أتت من ربّنا العادل

يا ربّ ترحمنا وتقبل تضرّعنا ... بحرمة المصطفى وخاتم الرّسل

نفوس نسبتنا دجوي لقبنا ... وهبي مذهبنا لحزبه ننتحل

دل وعين ويا نجل أبي القاسم ... إذ قد نطقت فاحذر ألا تعتدل

إلاه أختم لنا بحسن أعمالنا ... واحفظنا يا ربّنا من يسائر الشلل

النّظم قد تمّ لي والشّيب قد عمّ بي ... إلاه يكون ذا في طاعة الجلل

صلّي وسلّم على المختار سيّدنا ... محمّد المرضي أشرف الرّسل.

- قصائدي -

للـــدّيـــن أهـــــل [1]

للدّين أهل وللأوطان أهلونا ... لا يهدم الدّهر ما هم فيه بانونا

وللبطولة عشّاق يقدّسها ... من لا يزالون عن ذكراها حامينا

فالله أنشأهم أسدا غطا رفة ... فسرّ أسرارهم قد كان مكنونا

لم يلههم في العلى إبن ولا نسب ... ولا زخارف دنيا فيها لا هونا

لا تثني عزماتهم عن نيل مكرمة ... نوائب الدّهر أو كيد المظلّينا.

ولا معاكسة الأوغاد تفشلهم ... أو تصرفنّ عزمهم عمّا يريدونا

هماتهم قد علت فوق السماء فلن ... يصدّهم عن مناهم ما يلاقونا

إن أغضبوا صارت الأجواء مظلمة ... والجوّ بالشهب يرمي من يناوينا

أو أبرقوا ارتجّت الأرضون واضطربت ... أو أرعدوا انشقّت الدّنيا براكينا

أوخطوا يوما رأيت الحقّ منبلجا ... حقائقا نورها الوهّاج يسبينا

أو راموا أمرا أتى وفق المراد فلا ... شيء يحلّ بينهم وما يرمونا

قوم إذا سكتوا تغنّي مهابتهم ... وهم إذ نطقوا قالوا براهينا

ومن أوصافهم حلم إذا قدّروا ... أمرا بسطوا حكمهم على المعادينا

وهم إذا ما رأوا ضيما رأيت لهم ... صواعقا تهلك الأعداء وتحمينا

لا غرو إذ أنّهم فاقوا الأنام فهم ... بقايا تيهرت نسل الرّستميّينا

ميزاب سدت على الأقطار قاطبة ... مجدا وخلقا ودينا نال تمكينا

ميزاب كنت من البيداء قاحلة ... لا تنبت الزّرع لا تحيي البساتينا

لكنّك المنبت الخصب الوحيد الذي ... قد أنبت العظما الأبطال حامينا

أنتم لها فانهضوا والحقّ ينصركم ... وفي جبين العلا دمتم موازينا

أحييتم الدّين والأخلاق في زمن ... قد مات فيه الحيا والدّين قد هينا

حيّ النبوغ وحيّ العلم والهمم حيّ العزائم ... في نفس من اصبحوا للمجد ساعينا

زكّ النفوس التي لا ترضى ذلّة ... زكّ العقول التي ضاءت دياجينا

واشكر صنيع الأولى بما في عزماتهم ... قد جدّدوا مجدنا وعزّ ماضينا

وارفع لهم راية في الجوّ خافقة ... بالحمد رغم الذين باتوا يشنونا

يزقن المجد نلت الفخر والسّؤددا ... والعزّ والنّصر والأخلاق والدّينا

حيّ الأريب الأديب الفاضل المرتضى ... القطب الكامل لازلت موصونا

اطفيّش عندك بان العلم وانتشرت ... حقائق الدّين سارت في نواحينا

طفيّش دمتم حليف النّصر في شرف ... لا زلت في طالع الأيام ميمونا

دم في جهود وقيت الشر مرتقيا ... أعلى المراتب بالعلياء مفتونا

---

(1) نظّمتها بمناسبة زيارة القطب إلى جربة سنة 1303 هـ/ 1886 م

ميزاب(1)

ميزاب دمت مكرّما بالعلم والآداب
والدّين فيك معزّز بالسّادة الأنجاب
والعلم فيك مهذّب بالنّخبة الأقطاب
أمثال شيخ العصر ذي الأخلاق والأحساب
ذاك المعظّم يوسف هو من بني ميزاب
حاز العلوم وبثها للنّخبة الطّلاب
نعم الصنيع وخير ما يسعى ذوو الألباب
والشيخ – بابان- الذي هو سبب الأسباب
قاد الذين تتلمذوا في المنهج المصواب
وسقاهم من علمه الوهبي خير شراب
شدّ الجميع بحكمة تعلو عن الأرباب
جدّا وكدّا والدّيا نة آذنت بذهاب
ضاعت علوم الدّين واستهزئ بالمحراب
قل الحياء وسخر الشبان بالشيّاب
حاشى الذين أمامي الإخوان والأصحاب

******

كمل الأنس وفاح مسك جمع وانتشر
محفل مزهر ضمّ سادات غرر

أهل جدّ وحجى وصلاح ونظر
أهل هدي وتقى ونشاط مستمرّ
أهل حزم فتراهم من دناهم في حذر
لا ينال حظوة عندهم من قد فجر
فهو منبوذ طر يد ومهان محتقر
ليس يلقى مجرم إلاّ ما يلقاه غرّ
يا بني ميزاب يا حزب سعي معتبر
يا بقايا أنجم في زمان قد غبر
كونوا دوما هكذا في علوّ مشمخر
واحيوا مجدا طالما شتّته يد الغير

---

(1) نظمت هذه القصيدة في علماء وادي ميزاب سنة 1351 هـ /1932م. وألقيتها على الحضور بمناسبة الحفل الذي أقيم على شرفهم بدار الطلبة ببئر الأحجار.

الدّهر يفنى (1)

الدّهر يفنى والزّمان يبيد ... وجلال دينك خالد وجديد

لازال غضا وإن تقادم عهده ... في كلّ مرحلة له تجديد

جاءت به رسل تجدّد عهده ... من عهد آدم مرشد ورشيد

نوح وإبراهيم ثمّ كليمهم ... موسى وعيسى صالح أوهود

يا أحمد صلّى عليك الله ما ... دامت لدينك عزّة ووجود

قد جاء شرعك كاملا ومكمّلا ... جاد الإله به فنعم الجود

وخلت بيوت الشرك من أصنامها ... وأشاع فيها نوره التّوحيد

يا مرسل للعالمين جميعهم ... أنت المعلّم والهدى المنشود

وأتتك أهل الأرض تصلح دينها ... ممّا حباك الواحد المعبود

قرآنه هو الهدى فامسك به ... والعروة الوثقى هي المقصود

جاءت رسالتك العظيمة رحمة ... تدعو إلى نهج الهدى وتقود

فتحت مغاليق العقول فحلقت ... في العلم تبدع ما تشا وتزيد

خضعت له قمر السّماء فراضه ... ومحاولا ما فوقه ويريد

ظلموا شريعتك التّي نالوا بها ... ما لم تنله قساوس ويهود

لكنّهم تاهت بهم أفكارهم ... وطغى عليها الشكّ والتّرديد

وهداية القرآن مصباح الدّجى ... عن وهج نوره لا يحيد رشيد

يهدي إليه الله من شاء الهدى ... ويضلّ عنه الضّال والمطرود

1- نظمت هذه القصيدة في مدح الرسول الكريم سنة 1399 هـ /1979م.

شيخي الثّميني

تـأنّ لا تعجل لحكمك في رجال ذي الدّنيا وأحوالها
فلا تعتبر قولهم إنّما تقاس الرّجال بأعمالها
فما القول إلاّ سحابة صيف أتتها رياح من شمالها
تكون البطولة في شخصيّات إذا كانت فيها من تمثالها
إذا قيل زيد سما بالفضائل فانظر هل فيه من مثالها
وإنّما الأمّة بالمخلصين والمجاهدين من رجالها
وقيمة كلّ إمرء ما سعى من قرّة عين أو قذالها
وللفضل ناس سمت من أصول فنعم الفروع من أصولها
ثميني ثمين الخصال العوالي وربّ المكارم وأفعالها
من دوحة مجد علت في الوجود قد جمع كلّ فضائلها
تفيأ الظلال من مجد الجدود فشبّ وهبّ من ظلالها

سليل الأماجد وابن الأسود فأنت الأعزّ من أشبالها
لتونس جئت فكان الفخار في عرض البلاد وفي طولها
جمعت العلوم فأنت المبرّز زقيها وفقت فطاحلها
قدمت تواصل جهدك في هدي أمّة رغم عذالها
وهذبت جيلا علا كعبه فكان المرجى في آمالها
ونهضة علم زكت وتجلّت وبان جلال من جلالها
فذي الإستقامة قد ظهرت أزحت الغيوم عن هلالها

(1) هو العلاّمة الشيخ مجد بن صالح الثميني وقد نظمت فيه هذه القصيدة ، سنة 1351 هـ/ 1932 م.

شيخي الثميني (1)

إن رمت رأيا متلالي ... وعلوما كاللآلي

وحياة العزّ حقا ... وبلوغا للمعالي

زر كريم النّفس محمود ... المزايا والفعال

محمّدا ابن عريق ... المجد والأيدي الطوال

صاحب النّفس الأبيّة ... وعزيز النّفس غالي

همّة علياء لا ... ترضى بذلّ وابتذال

لا يروم الذلّ لا لا ... طبعه طبع الكمال

غير عزّ وصلاح ... أو قناء في عوالي

فهو قس في بيان ... حضر ميّ في النّزال

وإذا ما رام وعظا ... ذرفت عين الجهال

منطق كالشهد يحكي ... أعذب الماء الزّلال

لا تضف إن ساء ناس ... إنّهم أهل الضّلال

أهل خطل ومجون ... وعيوب كالجبال

لا تظنّ أنّ كلامي ... هذيان بالمجال

أم مبالغا بمدح ... لوداد أو نوال

لا ولكنّه بحقّ ... وهو أولى بالمقال

---

(1) هو العلاّمة الشيخ محمّد بن صالح الثميني. وقد نظمت فيه هذه القصيدة - سنة 1352 هـ/ 1933م.

الشيخ علي معمّر

هو العلي بن يحي المحيي ما ذهبت ... به الأيّام وأتلفته أيادينا
هو المعمّر ما خلا من التّراث الذي ... قد كان مشتهرا وراسخا فينا
في كتبه العشر إيقاظ وتذكرة ... لمن وعى ودرى الغرّ الميامينا
أجليت عنهم غبار الحقد فانقشعت ... سحائب الكتم ممّن كان يرمينا
لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم ... وأن نردّ الأذى عنكم وتؤذونا
حاججت في الحقّ من قد زاغ وانحرف ... عن الصّواب وقد عاب المصيبينا

صديقي عيسى(1)

لا تلمني إن بدا منّي جفا ... واعف عمّن جاءك معترفا
واذكر أنّ عهدا لذيذا زاهرا ... عيسى يا خير صديق عرفا
لست أنسى زمانا كنّا به ... إخوة والدّهر فيه قد صفا
كنّا فيه في وفاق دائم ... وسباق ووداد ووفا
أين ذاك العهد لم يبق سوى ... ذكريات قتلتني أسفا
إنّ للأيّام أحكاما ولم ... تر الأيّام إلاّ عسفا

---

(1) نظمت هذه القصيدة في صديقي عيسى العلواني، في شهرسبتمبر سنة 1354 هـ /1935م.

الشيخ رمضان اللبني(1)

أبك الدّماء وقل لجربة ترتدي ... ثوب السّواد على الفقيد الأوحد
المرتضى رمضان عالم عصره ... في شرعنا أنعم به من سيّد
هلعت لموتك يوم نعيك أنفس ... أسفا لفقد العالم المتهجّد
قد كنت فيهم مرشدا ومعلّما ... ومقوّما للمائل المتشرّد
ولقد علمت بأنّ موتك لازم ... لم يبق حيّ في الدّنا لم يفقد
كلّ يوافي يومه لا مهرب ... من ذلك اليوم الرّهيب المرعد
لكن فقدك لا يعوّض مثلكم ... لا سيّما في ذا الزّمان الأنكد
قد كنت ملجأ قاصد ومناهلا ... للواردين وكنت أحسن مرشد
من للعويص من المسائل إن بدت ... من يرشد الحيران إن لم يهتد
لم يبق بعدك عالم متضلّع ... يشفي الغليل إذا تجاسر معتد
نالوت قد لبّيت دعوت أهلها ... لما تنادوا: هل لنامن مرشد
فأجبت دعوتهم وقمت مبادرا ... ترسي العلوم بقوّة وتجلّد
فأقمت فيها كالمنارة هاديا ... ولكم لفضلك في الجزيرة من يد
وأقمت فيهم ما قدرت متوّجا ... بالعزّ والاكرام غير منكد
جعلوا بمقدمك الكريم بجمعهم ... بحفاوة وكرامة وتودّد
أخذوا علومك يستنار بنورها ... في ظلمة الجهل المميت المبعد
قد كنت فيهم في عزيمة مخلص ... تبدي النّصائح في نشاط مجدّد
وبك الجزيرة قد زهت بعلومكم ... في طيلة العمر المديد الأسعد
قاربت بل علّمت بل سدّدت بل ... قد كنت خير معلّم ومسدّد
نم مطمئنا في ضريحك هانئا ... في رحمة أكرم به من مرقد

(1) نظمت هذه القصيدة في شهر جمادى الأولى سنة 1366 هـ /1947م.

الرّوضة اليانعة (1)

أيّها السّابح في بحر الأمل ... نبّه القلب فإنّ القلب زلّ

اترك الدّنيا ولا تفخر بها ... إنّما الفخر بدين وعمل

إنّما الفخر لنفس نهضت ... تصلح المعوجّ من خلق الرّجل

وأزاحت ظلمة قاتمة ... عن قلوب وأجلتها بالعقل

حبّذا النّفس ذا هي حلت ... من سرور وتخلّت عن جلل

وتعالت عن دنايا سفلت ... تورث الأكدار والفكر خبل

أمّة المسجد ترجو عفو من ... ملك النفس وأهداها السّبل

تطمئن النّفس فيه أبدا ... تترك فيه خلاصا من وحل

إنّ بيت الله أعلى مجلسا ... ومقاما واحتراما وأجل

فاعمروها وارفعوامن شأنها ... إنّها روضات جنّات الحلل

أما إن نحن تركناها خلت ... فهو حرم وحرام لا يحل

إن فعلنا دلّنا الفعل على ... أنّ ما بالقلب من صدق رحل

أيا صدغيان هذا روضكم ... فاعكفوا فيه بقلب مبتهل

هذه روضتكم يانعة ... فاحفظوها في نشاط لا كسل

متعوا الأنفس في نزهتها ... واقطعوا الأزهار من ورد دبل

هذه الأزهار أنواع التّقى ... طاعة للخالق المولى الأجل

هذه فرصتكم فاغتنموا ... عمركم من قبل أن يأتي الأجل

وهو غيب ليس يدري أبدا ... لا تقل حتّى وحتّى لا تقل

يفجأ الإنسان في نوم وفي ... يقظة من غير سهو وعلل

إنّما العاقل من بادر في ... فسحة من عمره حتّى يصل
كم صحيح مات من غير عنا ... وسقيم عاش حينا في وجل
وصغير مات وهو يافع ... يأمل الدّنيا ويرجوأن ينال
فاجأته الموت وهو لاعب ... راح منها تاركا ما قد خول
بادر الفرصة لا تهمل فما ... بعدها إلاّ خمول وكسل
ربّي وقّفنا جميعا أحينا ... في سلام وقنا شرّ الزّلل

وقد قلت فيها أيضا (2)

لا تبتئس لا تقل فلّت مواضينا ... أوالعزائم خارت والقوى فينا
بل نحن في عنفوان من شبيبتنا ... عبر السّواعد نحيي مجد ماضينا
إن شئنا قلنا فكان القول صاعقة ... أو إن فعلنا ترى التّأييد يحدونا
لازال فيها رجال إن نووا فعلوا ... طبق الحقيقة لا غشا وتدهينا
وياشباب لقد فقتم بنهضتكم ... كلّ الجهات فأصبحتم عتادينا
كانت جهودكم فيها موّفقة ... فاشية زادها التّفريق توهينا
فاتّحدت فغدت والاتّحاد قوى ... عتيدة هزّت جيش المناوينا

---

(1) نظمت هذه القصيدة في شهر جمادى الثانية سنة 1374هـ/ 1954م.

(2) نظمت هذه القصيدة سنة 1324 هـ /1906م.

مـرحبـا بالمـولـد [1]

يا ربيع جئتنا تذكرنا رحمة في يومك المستسعد

مولد قد هلّ في أنواره مرحبا بالشهر شهر المولد

تأتنا في كلّ عام مرّة مبشّرا ومذكرا بمحمّد

جاء بالقرآن أعيى لفظه كلّ ذي علم بليغ مفرد

أرشد الأفكار للأمر الذي كان غيبا فاهتدى للمقصد

خاب من قد حاد عنه والتوى ذاك من أوصاف دين الملحد

جاء بالإسلام يهدي للتي هي خير في الحياة أوغد

فاتّبعه لا تحد عن نهجه والتزم منهاجه واستنجد

يا شباب اليوم يا كهل الغد ينقص الكون شباب يهتد

فاستقيموا واسلكوا سيرته وأروه دينكم ليقتدي

دين علم دين صدق وتقى دين عقل وضمير ويد

يا شباب العزم والصّبر الذي يثبت الأقدام يوم الموعد

عرّفوا الإسلام بالمعنى الذي كان معروفا في عهد الأسعد

هو اعمال بصدق وامتثال واقتداء بالنّبي الأمجد

صائحا : غالب وطالب وادأب صارخا : كن أبدا بالمنجد

ربّ بالإسلام قد هديتني مستنيرا بليالي المولد

فعلى العهد ما أحييتني بالتزام عهدك المؤكد

لا اجتماع وكلام ضائع راح بالوقت الثمين المسعد

ليس يجدي النّاس أقوال فقط لا اطمئنان الخائفين الشّرد

وإنّما الإسلام أعمال خلت من رياء وفساد أنكد

---

(1)- نظمت هذه القصيدة سنة 1401 هـ/ 1981 م .

وطني

وطني يا وطني
ناجيا من فتن
عشت دوما في اتّحاد
إنّها للاضطهاد
أموت ليحي قومي
في مأمن من عدوّ
من اغتصاب حقوق

عشت دوما في وفاق
وانخذال وافتراق
تاركا سبل الطّراق
موصلات وشقاق
حياة عزّ وفخار
يذيقهم كلّ مرّ
إلى هوان وقهر

******

يا ابن آدم لا تلهيك عافية
ما أنت إلا كزرع عند حضرته
وإن سلمت من الآفات أجمعها

من الزّمان فإنّ العمر معدود
لكلّ نوع من الآفات مقصود
فأنت عند تمام العمر محصود

******

أنت يا جربة العزيزة عندي
تربة المجد والفخار قديما
تربة أنبتت فطاحل في العلم
سادة سادوا في عصور فكانوا
جموع للغائرين أرادوا
اسأل البحر عنهم والبرّو

يا بلادي ومهجتي وتلادي
عشت حينا في عزّة وعتاد
وفي المجد والتقى والجهاد
مضرب المثل في العلا والسّداد
الفتك أمسوا أشلاءفي كلّ وادي
الطّيروكيف اضمحلّ جيش الأعادي

******

جزيرة في خليج قابس برزت
صديقة المغرب الأدنى وزهرته
أحاطها البحر من جهاتها حذرا
ريحانة مالها مثيل تقاس به

تزهو بأنوارها في عين رائيها
وفصّ خاتمه سبحان منشيها
أن يطأ أرضها ممّن يعاديها
ولالها في الشطوط مايضاهيها

- شكر وتقدير -

إنّني أسال الله – تعالى- أن يجازي بجزيل الثواب، كلّ من شارك في انجاز هذا العمل، بأيّ وجه من الوجوه، حتّى يرى النّور. والله لا يضيع أجر المحسنين.

تقبّل الله من الجميع . آمين ياربّ العالمين.

إبنه محمود بن يعقوب

أهمّ المراجع

-رسالة في ذكر علماء جربة، للشيخ سليمان بن أحمد الحيلاتي (ت1099هـ/1687م).

-رسالة في تراجم علماء جربة ، للشيخ سعيد بن علي بن تعاريت (ت 1289هـ/1872م).

-مؤنس الأحبّة في أخبار جربة : محمّد أبو راس. تونس 1960.

-السّير: أبو العبّاس الشمّاخي (ت928 هـ /1521م).

-السّير: أبو الرّبيع سليمان الوسياني (ق 6 هـ /12م) .

-طبقات المشائخ بالمغرب: أحمد بن سعيد الدّرجيني (ت 670 هـ /1271م).

-المقدّمة: عبد الرّحمان بن محمّد بن خلدون (ت 808 هـ /1405م).

-الرّحلة : عبد الله بن محمّد التيجاني (ت 717 هـ /1317م).

-تاريخ إفريقيا والمغرب : إبراهيم بن الرّقيق القيرواني (ت 425 هـ / 1033م).

-الإباضيّة في موكب التاريخ : علي يحي معمّر. بيروت 1966.

- الإباضيّة بالجريد : صالح باجية. تونس 1976.

-أخبار الأئمّة الرّستميّين : ابن الصغير (294 هـ /906م) .

الفهرس

– تقديم	1
– التعريف بالمؤلف	3
– تقديم الطبعة الأولى	7
– تقديم الطبعة الثانية	9
– مقدّمة	12
– جيولوجيّة جربة	19
– جغرافيّتها	25
– أشباه الجزر المتصلة بها	27
– الجزر المنفصلة عنها	29
– آثارها (أبراجها، أسواقها القديمة)	32
– اقتصاديّاتها (الفلاحة، الصناعة، التجارة)	43
– حظّها من الحضارات القديمة	50
– سكّانها	56
– القبائل الأمازيغيّة التي سكنها بعضهم	59
– الفتح الإسلامي للجزيرة	64
– قبول أهلها للإسلام	68
– استقلالها الدّاخلي بعد الفتح	71
– عهد أئمّة طرابلس	72
– عهد أئمّة تيهرت	76
– عهد مشائخ جربة	81
– مشيخة آل بني سمومن	83
– مشيخة آل بني حلود	89
– قادة آل بني عيّاد	92
– الحركة العلميّة	94
– القصيدة الجربية	97
– ديوان الأشياخ	105
– مخمسة الباروني في علماء جربة	108
– علماء مدرسة الجامع الكبير	118
– علماء مدرسة تلاكين	178
– علماء مدرسة تيفروجين	195
– علماء مدرسة الماي	203

- علماء مدرسة تيواجن	205
- علماء مدرسة ولحي	210
- علماء مدرسة ليمس	233
- علماء مدرسة مدراجن	272
- علماء مدرسة القصبيين	279
- علماء مدرسة بن يعلى	286
- علماء مدرسة تاجديت	287
- علماء مدرسة بوليمان بجعبيرة	298
- علماء جامع الشيخ بحومة السوق	303
- علماء مدرسة بوستة	309
- علماء مسجد الشيخ بالقشعيين	318
- علماء مدرسة بوليمان بصدغيان	324
- علماء مدرسة القبليين	330
- علماء مدرسة بن ويران	334
- علماء مدرسة المثانية	337
- علماء مدرسة الباسي	339
- علماء مدرسة بني داود	343
- قصائدي	347
- أهم المراجع	362

طبع الشركة التونسية لفنون الرسم 2009



المؤلّف

الشيخ سالم بن يعقوب: مفتي ومؤرّخ جربة، وإمام الإباضيّة بها.

ولد بحومة غيزن يوم 20 مارس سنة 1903م /1321هـ . أخذ العلم عن الشيخ عمر بن إبراهيم بن مرزوق، بجربة، ثمّ درس بجامع الزّيتونة بتونس، طيلة خمس سنوات(1929-1934م). حيث بلغ درجة "التّطويع". كما أخذ عن الشيخ محمّد بن صالح الثميني، ثمّ درس بالجامع الأزهر، وبالمدرسة الإباضيّة بالقاهرة، مدّة خمس سنوات، أيضا (1934-1939م). ولازم دروس الشيخ إبراهيم اطفيّش الذي سلّمه شهادة في "الافتاء والتّدريس" لتضلّعه في الفقه، وتحلّيه بالورع والأمانة ". وزيادة على كونه مؤرّخا، ومفتيا، هو شاعر عصامي.

وإنّ مكتبته العامرة بنفائس الكتب المخطوطة، والمطبوعة، لخير دليل على قيمته العلميّة، فهو مرجع في تاريخ علماء الإباضيّة، وآخر حلقة من السّلسلة الذهبيّة لأئمّة الإباضيّة، بجربة، وهو علم من أعلام الجزيرة.

توفّي ليلة الأحد 27 جانفي سنة1991م، الموافق لـ11 رجب سنة 1411 هـ -رحمه الله-.